الفصحى
و
نظرية الفكر العامي

تأليف
الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الضحى
ونظرية الفكر العامي

تأليف الدكتور
مرزوق بن صنيتان بن تنباك

١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفصحى
ونظريّة الفكر العامي

تأليف الدكتور
مرزوق بن صنيتان بن تنباك

موقع المؤلف مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

قام مركز البحوث بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، بتمويل هذه الدراسة

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب يرد على هذا السؤال :

ما الذي يمنع من إعادة النظر في قواعد اللغة العربيّة من أساسها لتكون كاللغة اللاتينية تنبثق منها عدة لغات يكون أساس كل لغة قواعد عربية لكل لهجة في كل دولة عربيّة ؟

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

إهـــداء

إلى من دفعني في سبيل العلم طفلاً وكفاني شؤون الحياة من أجله شاباً .

إلى من حقّق لي ما لم يتحقق لنفسه، وإلى من سبق أجلها أملها .

إلى أبي وأمي في عليين أهدي أجر هذا العمل .

مرزوق

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

مقدمة

في عام ١٣٩٦هـ قررت جامعة الرياض ــ الملك سعود حالياً ــ إقامة ندوة للتراث الشعبي وكنت يومها معيداً في أحد أقسامها بل في القسم الذي تولى التحضير للندوة وعلى وَشْك الإبتعاث لإكمال دراستي العالية فلم أرض عن ذلك خشية أن يخرج الأمر عما حددته الجامعة للندوة من أهداف وكتبت مقالاً طويلاً في مجلة اليمامة في ١٣٩٧/٥/١٨هـ قلت فيه:

«واليوم نسمع ونرى لوناً آخر تحت ستار الأدب الشعبي...وهذه إحدى الجامعات تنظم أول مهرجان كبير لدراسة الفولكلور الشعبي وهو أمر معقول إن اتخذ الحيز المناسب له واقتصر على تسجيل النماذج المشهورة لتبقى دالة على خطوات التطور اللغوي ورصد نمو اللهجات ليستفيد منها اللغويون والباحثون المهتمون بذلك، لكننا نشفق أن يتحول الأمر إلى اهتمام مركز على هذا النوع من الأدب يصاحبه موجة إعلامية تعطيه أهمية أكبر مما يجب فيتحول إليه اهتمام الناس ...وعيبنا أننا نبالغ في كل جديد وننـدفع إلى كل حادث ونعطي أحكاماً مسبقة على الصورة الذهنية قبل تجسيمها على الواقع وتضيق عندنا منطقة الوسط حتى تصبح كخصر الحسناء» إنتهى.

وقد حدث ما توقعت، وتوسعت دائرة الإهتمام بأدب العامية وانجذب الناس إليه واستجابت وسائل الإعلام لرغبة جمهور المهتمين بالأدب العامي فانقسمت الآراء حول الاهتمام به إلى مؤيد ومعارض وطال الجدل وتشعبت وجهات النظر وكانت الصحافة ميداناً واسعاً للتعبير عن رأي الفريقين.

وقد شجعني الجدل الحاد والخلاف بين هذين الطرفين على بحث قضيَّة انتشار العامية في وسائل الإعلام وغيرها ومحاولة تتبع مقدماتها ونتائجها وانتهيت إلى حقائق لم تكن واردة عندي وأنا أضع مخطط هذه الدراسة،

www.mtenback.com

سيجدها القارىء في ثنايا هذا البحث، وها أنا أقدم ماوصلت إليه في هذا المجال إلى قراء العربية، سائلاً الله أن يجعل أجره على قدر ما بذل فيه من جهد ووقت.

ولابد في النهاية من أن أشكر كل من قدم نصيحة أو رأياً جعل هذا العمل يظهر و يكتمل، وأخصّ أخي وزميلي الدكتور عوض حمد القوزي الذي منذ أن اكتملت مسوَّدة هذا الكتاب حتى خرج بصورته الحاضرة وهو يتابع و يقرأ و يصلح و ينصح فله مني جزيل الشكر وقليل ذلك في حق أبي محمد فجزاه الله خيراً.

أما سعادة الدكتور أحمد عمر الزيلعي مدير مركز البحوث في كلية الآداب جامعة الملك سعود، وزملاؤه أعضاء المركز الذين أقرُّوا بالإجماع تمويل هذه الدراسة تعبيراً عن قناعتهم بأهميتها فلهم مني جزيل الشكر ووافر الثناء.

كما أشكر كلّ من ناقشتُ له رأياً أو فكرة سواء من اتفقت معه أو من خالفت رأيه، وأرجو أن يعفوا و يصفحوا و يرضوا مني بمثل مارضيت به منهم.

وأشكر أيضاً أساتذتي وزملائي الذين شاركوني الشعور وشجعوني على السير في دهاليز هذا البحث ومشاق هذا العمل وخففوا بعض ما لقيته من نقد واعتراض من أحبَّة صدقتهم القول ومحضتهم النصح ورجوت أن يتبيَّنوا صوابه قبل ضحى الغد.

والله المستعان.

مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

المدخل

تعيش اللغة العربية الفصحىٰ مشكلة لا تقل عن حجم مشكلة الثقافة العربية نفسها، وتمر بظروف مؤثرة في نظر الدارسين لها والمهتمين بتاريخها وتجتاز مرحلة دقيقة في حياتها ما أظنها مرت بمثلها من قبل، ومشكلتها اليوم تعدُّ واحدة من أخطر المشكلات التي تواجه العرب في الوقت الحاضر، وذلك أن اللغة العربية هي الوعاء للتراث العربي الإسلامي بمختلف صوره من دين وثقافة وتاريخ وغير ذلك، فعن طريقها حفظ ماضي الأمة العربية كله، وعن طريقها تلقينا وسنتلقى الموروثات الحضارية للأمة الإسلامية، تلك الموروثات التي نرجو أن نعيدها حية نشطة نحياها وتحياها أجيالنا المقبلة، كما كانت تحياها أمتنا الإسلامية المجيدة في صدر تاريخها الزاهر، علَّنا نستمد منها قوة وحياة جديدتين.

وبالرغم من أن اللغة العربية الفصحىٰ أمضت قروناً كثيرة تقاوم تيار الأمية الجارف، وانطلاق عنان العامية في مجالات الحياة الخاصة والعامة، ورغم ذلك كله تمر اليوم بمخانق شتىٰ كلها تقف في سبيلها وتسد الطرق أمام مدها الواسع وتتحداها في كل جوانبها، الأمر الذي لم تعرفه من قبل.

لقد مرت اللغة العربية والثقافة العربية بظروف كان من نتائجها أن انحسرت نسبة القادرين على القراءة والكتابة بحيث أصبح عدد الذين يحسنون القراءة والكتابة بله الثقافة، يعدون في البلد الواحد على أصابع اليد ومع هذا الانحسار لم يكن لهذه القلة مصدر للثقافة غير القرآن يقرأونه، وعنه تنطلق أقلامهم محاكية رسمه وأسلوبه فيما تكتب.

وكانت الأميّة التي مرَّت في الزمن الماضي لازماً من لوازم الضعف

www.mtenback.com

والتخلف اللذين أصابا ثقافة العرب وأثَّرا فيها وفي لغتها، لكن هذه الآثار زالت بزوال مسبباتها، وانتهت بنهاية المؤثرات فيها.

أما مشكلة الثقافة العربية ولغتها اليوم فلم تعد مشكلة الجهل ولا مشكلة الأميَّة، كما لم تعد مشكلة مصادر الثقافة وانحسارها في مصدر واحد كما كان عليه الحال في القرون القليلة الماضية، إذ إن اللغة العربية استطاعت خلال تلك القرون أن تتخطى الصعاب وأن تقطعها بأمان، وما كان ذلك ليكون لها لولا أن حبها كان متمكناً في نفوس أهلها بمقدار تمكن حب الثقافة العربية ذاتها في نفوسهم.

أما حالها اليوم فيختلف عن تلك الحال العابرة التي انتشرت فيها الأميَّة، تلك الحال التي مرت وانتهت دون أن تمحو الأميَّة مكانتها، مشكلتها اليوم أنها تقع بين خطرين أولهما: مزاحمة اللغات الأجنبية لها، حيث أصبح الكثير من أبناء هذه اللغة يرغب عنها ويزهد في تعلمها والتفقه فيها، ويحرص الموسرون منهم ــ وهم كثير ولله الحمد ــ على أن يرسلوا أولادهم إلى المدارس الأجنبية الخاصة وهم لايزالون في سن مبكرة جداً، ويرون أن اللغة الأجنبية التي يتعلمونها قد تحل محل لغتهم وتغني عنها، فتنصرف هذه الفئة لا عن اللغة العربية وحبها فحسب، بل عن الثقافة العربية التي تحتويها اللغة الفصحى، وتصبح حصيلتهم من اللغة والثقافة قليلة محدودة، مع أنهم لايستطيعون مجاراة أبناء اللغة الأجنبية التي تعلموها ولا مساواة أهلها في إتقانها فيبقون أنصاف متعلمين في كلتا اللغتين.

أما الخطر الثاني فهو التوجه إلى العامية، الذي نشط في الجزيرة العربية والخليج، في السنوات القليلة الماضية وما زال مستمراً متزايداً حيث أخذ يعلن محبو العامية أن تراثنا وتاريخنا وماضينا كلَّه هو هذا الفكر العامي، وأكثر هؤلاء اعتدالاً من يجعل العامية وثقافتها حجر الزاوية في تشكيل القيمة الفنية لتراثنا وحضارتنا. وقد اتخذ محبو الفكر العامي والثقافة العامية الأسلوب العملي في توسع دائرة الإنتشار للأفكار العامية، وأخذوا يروِّجون

www.mtenback.com

لها ويثنون عليها، فاستجابت لهم وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، وشرعتْ تسوَّد بالعامية صفحاتُ الصحف اليومية والأسبوعية، بشكل يدل على خطأ في فهم القائمين بهذا النشاط وضعف في إدراكهم لخطر مايقدمون عليه، وهذا دليل على الإختلال في مسير الثقافة والتفكير السليم نحوها.

وحركة العامية فكراً وثقافة وأدباً في الجزيرة والخليج في هذا الوقت وتحت الظروف الراهنة التي تمر بها الأمة العربية من محيطها إلى خليجها، أمر يزيد الخوف ويبعث هاجس الريبة في نيّات الذين يسعون لنشرها بهذه القوة. ومن يعرف حقائق الأمور، ويستقرىء بوعي وعلم حركات الأمم من حولنا، ونيَّاتها نحونا نحن العرب المسلمين، يدرك الحقيقة التي لاجدال فيها، وهي أنه ماكان للفكر العامي أن يظهر قبل هذا الوقت وماكان ينبغي له أن يتأخر عنه كثيراً، لأن الظروف التي تمر بها الأمة العربية في هذا الوقت هي أنسب الظروف لانتشار العامية في المنطقة رغم كثرة الجامعات، ووفرة خريجيها بالإضافة إلى عوامل أخرى مساعدة ومشجعة، كطغيان حركة التجديد في الشعر والركود الثقافي، والسطحية في التفكير، وغلبة الأميَّة الفكريَّة على السكان، والوضع المادي الممتاز الذي يقتضي أن يزامنه وضع أدبي قوي، كل هذه الظروف جعلت نشاط العاميَّة قوياً وقبولها ممكناً.

وقد قامت بالفعل بعض المؤسسات التي تهتم بنشر العاميَّة وتسخر المال لتشجيعها وتحثُّ على البحث والنشر والتأليف بها، وأفسح المجال لها في صحف الجزيرة، والخليج [1].

ووجد محبو العاميَّة ومشجعو فكرها أن ذلك يعود عليهم بمردود مادي ومعنوي جيد، فنشطوا للدعوة إلى تفهم فكر العاميَّة وتذوق أدبها وفنها، ودعوا إلى التأليف بها واستحوذوا على عدد ثابت من المطبوعات التي تهتم بالتراث العامي فصارت لهم منبراً ينطلقون منه في الترويج للعاميَّة، ويحثُّوْنَ على

---

(١) أسس مركز إقليمي لدول الخليج في قطر منذ عامين واسمه مركز التراث الشعبي.

www.mtenback.com

زيادة الإهتمام بها، وينشرون الأدب العامي الذي يعدُّ أقوى ركيزة تستند إليها حجتهم في تمثل العامي بجانبيه الفكري واللغوي. فارتفعت أصوات قوية تطالب بفتح مجالات الثقافة والأدب للأفكار العاميَّة المحلية، وعقد لهذا الغرض العديد من الندوات والمؤتمرات عبر قاعدة عريضة تشمل معظم دول الخليج وبعض الدول العربية الأخرى، سعياً من محبي هذا الفكر العامي لنشره وتوسيع دائرة أدبه، وأظهروا إهتماماً بالشباب فنشروا لهم ماليس شعراً، تشجيعاً منهم واستقطاباً للمزيد من المؤيدين، وتقربوا إلى بعض الوجوه ممن لهم تأثير اجتماعي قوي في الأمة محاولين كسبهم إلى جانب العاميَّة التي يستميتون في سبيلها، وفي سبيل الدفاع عنها، حتى أصبح رواجها أمراً لابد منه في هذا الوقت الذي تواجه فيه الثقافة العربيَّة واللغة الفصحىٰ حرباً من أعدائها وإعراضاً وتنكراً من أبنائها. وحجة محبي العاميَّة اليوم تكاد تنحصر في قولهم: إن العامية كان لها دور بارز في ماضي الجزيرة القريب، وإن شعرها قد عبَّر إبَّان عصور الأميَّة الفكرية عن عواطف أهل الجزيرة وأحاسيسهم وسجلوا فيه المعارك العشائرية التي كانوا يشنونها على بعضهم في تلك الحقب الخوالي.

والحقيقة أن دعواهم في حفظ التراث العامي وحفظ أدبه ــ إن كان فيه أدب ــ كلمة حق يراد بها باطل كما يقال. فحفظ شعر النبط الذي قيل في الماضي، ودرسه بطريقة علمية منظمة، والإستفادة منه ــ إن وجدت ــ أمر مختلف عن التوجُّه الفكري إلى قيم العاميَّة في الوقت الحاضر، ودرس الشعر النبطي يقتضي أن يسند أمر الإهتمام به إلى علماء اللغات والمختصين في الدراسات الاجتماعية، فهم أقدر الناس على فهم تلك الظواهر، وماتمثله في المرحلة الماضية من تاريخ الجزيرة؛ وبعد الدرس الواعي والتمحيص الدقيق يفسح المجال لنتائج أبحاثهم، لتتبوأ مكانها، لا في الصحف اليومية التي أغلب قرائها من غير المتخصصين بل في المجلات العلمية المتخصصة في مثل هذا النوع من الدراسات. عندئذ تكون الدعوة لحفظ التراث العامي في عصور التخلف والجهل أمراً معقولاً ومرغوباً فيه ولن

www.mtenback.com

يشكل خطورة على موروث الأمة ولا بلبلة لأفكار الناشئة التي ترى ــ اليوم تحت ضغط الإتجاه العامي ــ أن الأدب العامي والفكر العامي والإهتمام بهما يقتضيان التقليل من قيمة الفصحىٰ، وإضعاف الإهتمام بها وبدراستها، والتنكر لها وقد حمل الحماس بعضهم إلى مقارنة العامية بالفصحىٰ وهي مقارنة عاجزة.

والذي يحصل في الواقع العملي غير مايقال تحت ستار المحافظة على التراث الشعبي. الذي يحصل الآن هو إهتمام عملي بالعاميَّة المعاصرة. والمهتمون بها وبأدبها ينحون منحى التقعيد والتقنين، فبينما هم يرفعون شعار المحافظة على الماضي تجدهم يستميتون في الدفاع عن حاضر العامية، ويخططون لمستقبلها من أجل أن يكون لها وجود حي في حياة الناس اليومية، ومن أجل أن يكون لها بعد ثقافي معروف.

واستقراء حركة العامية ومتابعة نشاطها في الوقت الحالي، ومايصرح به محبوها، يدل على أن المقصود في ذلك هو الرقي بها إلى مستوى الفصحىٰ وجعلها لغة فكر وثقافة وأدب وفن.

ونتائج حركة العاميَّة ونشاطها الذي يقوى يوماً بعد يوم، لن ينحصر في الحفاظ على التراث العامي وصونه من الضياع كما يظن محبو العامية وطيبو القلوب من هواتها المعجبين بشعرها وأدبها، بل سيتعدى ذلك إلى تأصيل الفكر العامي والدفاع عنه بقوة بعد قليل من السنوات. والذين ينطلقون من منطلق حب التراث العامي والمحافظة عليه لايقفون عند حدود الماضي، بل هم مخلصون في العمل على استمراره.

إن الهدف من انتشار العاميَّة في الجزيرة والخليج هو الهدف نفسه من المحاولات التي سبق أن تكرر مثلها في أجزاء من الوطن العربي والإسلامي وهو فصل الأمة في نهاية المطاف عن تأريخها الحضاري القوي وحتى عن دينها، ثم قطع صلة الحاضر الضعيف الذي تعيشه عن الماضي الذي يجب ألا

www.mtenback.com

ننساه، وسد المنافذ التي يتسرب منها الفكر الإسلامي والتأريخ الأصيل للدولة الإسلاميَّة، وليس الأمر تخميناً ولا رجماً بالغيب ولكن محاولات حدثت في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي منها ماحقق النجاح ومنها مامني بالفشل الذريع.

فبعد الحرب العالمية الأولى التي قوضت أثناءها الممالك الإسلامية، وقطِّعتْ أوصال العالم العربي والإسلامي وجزئت أوطانه، أصبح الاستعمار الغربي سيد الموقف الذي يملى إرادته على المنهزمين الضعفاء من أبناء المسلمين، وأصبح هدف الاستعمار الغربي والشرقي حجب الثقافة والحضارة العربية الإسلامية عن الأجيال المقبلة. وكانت محاولاته واضحة في تغيير الوجه الإسلامي للدول التي دانت لسلطانه، وكان أول هذه المحاولات ماقام به «أتاتورك» بعد أن أتاح له أسياده المستعمرون فرص الإنتصار الجزئي، فأوهموا أبناء الأمة المغلوبة بصدق بطولته ووطنيته الكاذبة، حتى يتهيَّأ للدور الكبير ويصلح للأمر الخطير الذي استقر رأي الغرب على إسناده إليه، وهو القيام بتغيير وجه تركيا الحضاري والثقافي، ووضع برزخ بين الأتراك ومعين ثقافتهم الإسلامية، فأطاح بالعثمانيين أول الأمر لأنهم يمثلون الرمز الباقي للمجد الإسلامي في تركيا. ووجد هو وأسياده الذين يملون عليه آراءهم وأفكارهم أن اللغة هي الموصل القوي الذي يربط الأمة الحاضرة بماضيها، فأحكموا المؤامرة على الحرف العربي الذي كانت تكتب به اللغة التركية العثمانية، وأحلوا الأبجدية اللاتينية محل الأبجدية العربية، وأصبح التأريخ العثماني الذي دوخ المسيحيين سبعة قرون والفكر الإسلامي الذي قامت عليه دولتها، معزولين مفصولين عن حياة الأمة التركية وأجيالها المقبلة، واستطاع الغرب بتزيينه لرجلٍ واحدٍ وبدسائسه، استطاع أن يقطع في جيل واحد صلة الأتراك بتأريخهم ومصدر ثقافتهم، وأصبحت اللغة العثمانية التركية التي كتبت في الحرف العربي، لغة أجنبية عن اللغة التركية الحديثة، التي دوِّنت بالحرف اللاتيني. والشابّ التركي اليوم ووالده يتكلمان لغة واحدة ولايستطيع كل منهما أن يقرأ مايكتبه الآخر، ولا تستطيع

www.mtenback.com

أجيال الأتراك اليوم أن تقرأ ديوان شاعر تركي وضع قبل ١٩٢١م، ولا تعرف شيئاً مما دونه الأتراك أنفسهم قبل هذا التأريخ إلا أن يترجم لها ذلك. وأصبح الأتراك يواجهون المشكلات، وتتحمل الأمة التركية الأعباء الكبيرة من أجل أن تترجم تراثها من لغتها قبل عام ١٩٢٨م إلى لغتها المعاصرة. وقد تحملت النفقات من أجل أن تنقل ماضيها إلى حاضرها. لكن الأجهزة التركية المسؤولة أقامت عقبات في وجوه الشبيبة التي تتوق إلى معرفة الماضي، فنبهت بعدم السماح بترجمة شيء من الثقافة الإسلامية والعربية إلا بعد إذن من السلطة وموافقة الإستعمار.

كل ذلك تحقق بفضل حماقة رجل واحد، حطمت حماقته تأريخ أمة بكامله، فحرم أمته من الإطلالة على تاريخها، وصدها عن ثقافتها، ولم يستطع نقلها إلى ثقافة غيرها، وحجب عنها كنوز تأريخها المجيد الذي دوختْ به عدوها.

ولعل هذا المثل يكفي للذين يلعبون بالنار، ولانريد أن نمثل بشرق أفريقيا، زنجبار، والصومال، وتنزانيا وغيرها وما أصاب اللغة العربية والحرف العربي فيها من كوارث أهمها ماجاء على يد القس المتعصب نيريري الذي لم يكن حرباً على الحرف العربي. وإنما كان حرباً على الثقافة العربية الإسلامية التي يمثلها هذا الحرف وعلى أهلها الذين يكوِّنون خمسين بالمائة من السكان قبل سلطته في تنزانيا.

والإهتمام بالتراث العامي في بلاد الجزيرة والخليج يعد شكلاً آخر من أشكال العدوان على لغة العرب، اللغة التي جمعتهم بعد الفرقة والضياع، والإهتمام بالفكر العامي والثقافة العامية مهما اختلفت صوره سوف يؤدي في النهاية إلى النتائج التي تمخضت عنها جهود أتاتورك ونيريري وغيرهما من أعداء الأمة العربية وأعداء لغتها وثقافتها شئنا أم أبينا. والأحكام إنما تقوم على النتائج لا على النيات، والوسائل قد كثرت وتعددت ونتائجها واحدة وهي إضعاف وحدة العرب وهدم كيانهم والتصدي لموروثهم الحضاري.

www.mtenback.com

والعرب لايختلفون في وضعهم القائم عن تركيا أثناء حركة أتاتورك. واختلافهم المذهبي والفكري عامل مشجع يدفع كل محاولة تضر بهم إلى الأمام، وعامتهم منقسمون إلى فئات حول قضية الفكر العامي وثقافته:

فئات محبي العامية :

قلة واعية مدركة لخطر الموروث العامي ــ بفكره وأدبه ــ على ثقافتها ولغتها الفصحىٰ ووحدتها الكبرىٰ وعلى دينها، ولكن هذه الفئة تعرف سلفاً أنها عاجزة عن المواجهة وعاجزة عن حسم الموقف لصالحها فرأت أن من مصلحتها الوقتيّة والشخصيَّة عدم المواجهة مع الكثرة الساحقة التي يرقِّصها التطبيل الأخرق للعامية.

وكثرة تنطلق من منطلق حب العاميَّة التي تعرفها وتألفها وتجد أن التأليف فيها سهلاً ميسوراً، وهو أقرب الطرق إلى الكسب، وليس لهذه الكثرة من الثقافة والعلم بحقائق الأمور مايمكنها من معرفة مايراد بها، ومايحاول أعداؤها أن يحققوه ضدها ولا تدرك الخطر الذي سينال الأمة، وترى هذه الكثرة أن في العامية تحقيقاً لذاتها أمام الإنفصام الثقافي الذي تعيشه.

أما **الفئة الثالثة** فقلة مدركة تمام الإدراك لما تريد، وهي تسير على مخطط مدروس هدفه قطع الصلة بين ماضي الأمة وموروثها الحضاري الضخم، أولاً، وبين آلته وأداته التي احتوته ونقلته إلى وجدان العرب عبر مراحل التأريخ ثانياً. فاللغة بدأت تفقد الكثير من مكانتها في نفوس محبي العامية وبدأ يلوح في أفق محاولاتهم زحزحتها عن مكانها ووظيفتها.

ومايتردد من شعارات تنادي بحفظ التراث العامي إنما يقصد منها نشر الفكر العامي في كل قطر عربي وهي شنشنة سمعناها تتردد في دعاوىٰ بعض المستشرقين الذين يظهرون الإهتمام بالموروث العامي لحاجة في نفوسهم، وهي مشكلة عاشها العرب منذ أصبح أعداؤهم مسيطرين في مطلع هذا القرن الذي نعيش آخره.

www.mtenback.com

لكن في غير الجزيرة والخليج تنبه لخطر الفكر العامي، والدعوة إليه علماء المسلمين في كل من مصر والشام وغيرهما من البلاد العربيَّة وبرز رجال غُيُرٌ على لغة التراث الخالد والحضارة العربية وفندوا مزاعم دعاة العامية وكشفوا ماوراءها من أغراض، ومن يقف وراءها ويدعمها وينتصر لها.

أما منظرو العامية في الجزيرة والخليج فقد استفادوا من التجارب التي سبقتهم والمحاولات المشابهة لمحاولاتهم التي حدثت في أقطار أخرى من البلاد العربية ومامنيت به من فشل ذريع وذكر سيء لأصحابها، فأدركوا أهمية الحذر في الأمر ولم يسلكوا الطريق الذي سلكه المستشرقون والحاقدون من العرب على الإسلام ولغته وهو التصريح بالدعوة إلى إحلال العاميَّة محل الفصحىٰ رغم أن أولئك الدعاة قد قدموا أمام دعوتهم الصريحة مبررات إعتقدوا صوابها لتحقيق مآربهم، وأظهروا شيئاً غير قليل من التعاطف مع اللغة العربية وادّعوا أنهم ينطلقون من منطلق الغيرة على حاضر العرب ومستقبلهم وتقدمهم، ولذلك رأوا أنه لابد من إحلال العاميَّة محل الفصحىٰ ليتحقق للعرب التقدم المنتظر بعد التأخر الذي أصابهم، وأوحوا إلى العامة أن مرد الحال المتأخرة التي يعيشها العرب هي اللغة التي لاتواكب معطيات الحضارة.

ولا أظن أن من أنصار العامية في الجزيرة من يعتقد إحلال العامية محل الفصحىٰ ولكنهم مندفعون بحبها بغض النظر عن نتائج هذا الحب.

وقد حدث أن خاض العرب خلال الثلاثين عاماً المضاية الكثير من الإتجاهات الفكرية والسياسية والدعوات المذهبية والنظريات الطارئة على الأمة، وكانت كلها تستهدف التشكيك في صلاح الموروث العربي وقدرته على البقاء والحياة، وكان التوقيت لهذه الزعازع توقيتاً مدروساً ومحكماً من قبل مصدريها إذ اختاروا أن تواكب استقلال البلاد العربية التي كانت مستعمرة، وكأن المستعمرين أرادوا أن يجعلوا ثمن الحرية التي وهبوها

www.mtenback.com

للشعوب العربية ابتعادها عن لغتها ودينها فأعدوا الزعماء الذين سلموهم القيادة على هذا الأساس. وماكاد يفيق العالم العربي من صرعة الإحتلال والاستعمار وينال الحرية التي كان يحلم بها ويتطلع إلى اليوم الذي يأتي بها، حتى داهمه زعماؤه الجدد بكثير من الأفكار والمبادىء الغريبة والمنكرة التي أوعز بها المستعمرون قبل رحيلهم، وظنوا بل استيقنوا أن نظرياتهم التي لقنوها زعماء العرب ستبقى نائبة عن وجودهم العسكري وستستمر بعد رحيلهم، وظنوا أن حال الأمة العربية لايسمح بالمعارضة ولايستطيع الرفض، وأن الظروف التي كانت سائدة والحال التي تمر بها الشعوب العربية كفيلة بترسيخ تلك المذاهب في أعماق الشعب الأعزل. وقد اختير شعب مصر ليكون ضحية التجربة الأولى لأن نجاحها في مصر كفيل بنجاحها في كل أقطار العالم العربي واختير زعيم مصر إذ ذاك ليكون بوقاً ينادي بتلك المذاهب، وشايعة أكثر زعماء العالم العربي وصمم بعضهم على فرض الجديد من النظريات بقوة السلاح. وسرعان ماباءت بالفشل تلك المحاولات وتحطمت تلك الأفكار الغربية على صخرة صمود المجتمع العربي المسلم. وقد بهت مصدرو تلك المذاهب لما أصاب أنصارهم من فشل وهزيمة، وبدأوا يعيدون النظر في سياسة التحدي للقيم العربية الإسلامية التي فشلت ودبروا حيلاً بارعة وخططاً محكمة بدأ العمل بها منذ عشر سنوات، وانحصر منحاهم الجديد في فهم عقلية العرب والدخول إليها عن طريق الألفة والميل النفسي ومايعتقد العرب صوابه لا مايفرض عليهم، واحترزوا من المكاشفة والوضوح أو الطرح الجريء للدخيل من الأفكار التي لاتوافق البيئة والمجتمع ولاتناسب حياته وميوله العقلية ولاتطابق مداركه ووعيه. ومنحاهم الجديد يقوم على مبدأ إلباس الأفكار التي فشلت من قبل ثوباً جديداً يوافق ذوق العرب، ويتسق مع ثقافتهم ولايعارض أسس حياتهم فظهر في المحيط العربي الصمت عن التبشير بالمذاهب المستوردة بينما يتم عملياً تطبيق الأفكار السابقة بصمت وهدوء لايثير النفوس التي ترفض مثل ذلك، وأصبحنا نرى من زعماء العالم الإسلامي العربي من يتبع في سياسته هذا المبدأ وقد نجح في ذلك.

www.mtenback.com

هذه النظرية السياسية وثيقة الصلة بما نحن بصدده من حيث الإستفادة من الصمت وعدم إعلان الدعوة إلى العامية، فقد إستفاد محبو العاميَّة من هذه النظرية وأعلنوا أنهم من أنصار الفصحىٰ وأنهم غُيُرٌ عليها، وقاموا إلى مباشرة التطبيق العملي للعامية فسيطروا على وسائل الإعلام وسخروا بعض الأقلام لمساعداتهم وأخذوا يكتبون ويؤلفون وينشرون بالعامية، وكأنهم ينفذون وصية «ولمور» بحذافيرها عندما أوصىٰ من يسعى إلى نشر الفكر العامي بأن «خير الوسائل لتدعيم اللغة العامية هي أن تتخذ الصحف الخطوة الأولى في هذا السبيل»[1].

وقد أدرك أنصار العامية في الجزيرة حقيقة هذا القول وهو أن الصحافة وسيلة ناجحة تخاطب الناس كلهم، وتستقطب الشباب الذين لايدركون أبعاد الاندفاع إلى الفكر العامي. وتجعل القراءة والكتابة باللغة العامية أمراً معروفاً شائعاً مستساغاً سهل التطبيق والمتابعة الشيء الذي لايتحقق فيما يذاع على الهواء مباشرة، فالمادة المذاعة أخف ضرراً بالنسبة للعامية. والعامية في أصلها لغة منطوقة غير مكتوبة. وكتابتها أو كتابة مادتها تعتبر تقعيداً وتقنيناً وتثبيتاً لصورة إملائها في الأذهان حتى يألفها الناس.

ثم إن الصحافة واجهة الأمة التي تنشر ثقافتها وتصورها للناس، وماينشر فيها يلقى قبولاً لدى قطاع كبير من القراء على المستويات جميعها، وفي الجزيرة والخليج ليست هناك ثقافة متميزة مثلما هو حاصل في البلاد العربية الأخرى. فالثقافة العربية الأصيلة في مصر، لها وجه متميز ولها رجال مشهورون على طول البلاد العربية وعرضها. وفي لبنان تهتم دور النشر بالقيمة العلمية لما تنشره حتى يضمن لها الجانب المادي، وهذا لايتحقق إلا عن طريق النشر بالعربية الفصحىٰ. وفي العراق وسوريا كان مبدأ التزام العربية الفصحىٰ شيئاً متبعاً وهدفاً من أهداف حزب البعث.

---

(١) زكريا، نفوسه، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ص ٢٨.

www.mtenback.com

أما في الجزيرة والخليج فالأمر مختلف كل الإختلاف، ومحبو العامية ومروجوها يعرفون الحقيقة التي يعرفها الناس كلهم وهي أن الصورة الثقافية غير واضحة الإتجاه، وهدف المعجبين بالعامية هو أن تكون الثقافة العامية التي تذاع وتنشر هي الوجه الثقافي المتميز لهذه البلاد، وهذا الهدف تكشفه ضمناً الأقوال التي تردد في كل ماينشر على الناس وفي الأحاديث التي يُدلى بها على نحو قول بعضهم: إن معرفة ماضينا الإجتماعي والتأريخي يتوقف على معرفتنا للأدب العامي، أو قول بعضهم: إن الشعر العامي يسجل تأريخ فترة لانعرف عنها غير ماسجلتْ العاميَّة، وإن جذورنا التأريخية وأصالتنا ومنابع ثقافتنا هي ماسجل في أدب العامية وفكرها، وغير ذلك من الأقوال التي سوف نعرضها بالتفصيل في ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

لكن قبل أن نصل إلى ذلك أود استطلاع آراء مطلقي هذه الأقوال الادعائية عما إذا كانت العامية في رأيهم هي منبع الأصالة وفيها الجذور الثقافية لهذه الأمة، وأنها مصدر التأريخ وسجله الذي لانعرف غيره لتأريخنا، إذن فأين نضع تأريخ القبائل العربية في الجاهلية؟ وأين نضع تأريخ الأمة في عهد محمد صلى الله عليه وسلم، وهل القرآن الذي نزل عليه مصدر ثقافة ودين وأصالة؟ إذا كان كذلك، فأين نضعه من العاميَّة؟.. هل نحسبه رافداً من روافدها التي يعدونها الأصالة والجذور؟ وأين يكون تأريخ أبي بكر وعمر؟.. أين نضع دولة بني أمية التي فتحت الدنيا المعروفة كلها في ذلك الزمان؟ وأين نضع حضارة دولة بني العباس في عصورها الزاهرة والمنحدرة على السواء؟ تُرى ماذا نقول عن تأريخ أمة خليفتها يتوجه إلى السحاب مخاطباً: أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك؟. وأين نضع تأريخ القوة الإسلامية يوم كان صوت المستجيرة في سجون الروم يسمع في بغداد، فيقول لها الخليفة: لبَّيك. أيريد مفكرو العاميَّة أن يبدأوا تأريخاً جديداً لايتصل بتأريخ الأمة الإسلامية العربية في عصورها التي خلت؟ ماذا يقصدون بوصفهم للعاميَّة بأنها منبع ثقافة وجذور تأريخ أمة وسجل لأحداث لامصدر لها غير العاميَّة؟ أيريدون أبعد من ذلك التأريخ المجيد الذي يكادون بتعميتهم الأمور نسيانه؟ اللهم لا.

www.mtenback.com

دعاة العاميّة في البلاد العربيّة ومحبو العاميّة عندنا :

كان الدعاة إلى العاميَّة في أول الأمر من غير العرب وانطلقت دعوتهم من منطلق عداوة الدين الإسلامي والعرب، مما دفعهم إلى إعلان حرب على اللغة العربية الفصحىٰ، ولم يلبثوا إلا قليلاً حتى وجدوا من أبناء البلاد العربية من شايعهم وأخذ بآرائهم وكان أغلب المشايعين من غير المسلمين. وأصحاب هذا الميل يودون أن تنشر العاميات في البلاد العربية وتموت الفصحىٰ لأغراض لايستطيعون الكشف عنها ولا الإعلان أو التصريح بها، ولحسن حظ اللغة العربية وأهلها أن هؤلاء الدعاة يعيشون في أبراج عاجية كما يقال بعيدين كل البعد عن فهم العامية التي يسعون لنشرها ويودون لها السيادة، الأمر الذي حال دون نجاح دعوتهم، بالإضافة إلى أسباب أخرى، منها:

- إنهم لايحسنون العامية رغم حبهم لنشرها، ولم يكن حماسهم هذا إلا لعدائهم الشديد للغة الفصحىٰ ومحتواها الثقافي.
- ثقافة فئة الداعين إلى العامية في كل من مصر والشام وتعليمها وأسلوب حياتها الخاصة لا تؤهلها لدعوة ناجحة[1] . فهم إما مثقفون

---

(١) مثل الدكتور سبيتا الألماني بريطاني الجنسية الذي ألف وحاضر عن العامية وهو غربي اللسان والثقافة والدين، ومثله عدد من المستشرقين منهم «كارل لندبرج» وهو سويدى الجنسية طالب بإحلال العامية محل الفصحى و«وليم ول كوكس» و«سلدن والمور» وكل هؤلاء غربيون لايحسنون العربية الفصحى ولا العامية، وليس فيهم من يفقه خصائص مايدعو إليه.

أما العرب فيأتي على رأسهم كبار الأدباء الذين كانت ثقافتهم عربية فصيحة ودعوتهم إلى العامية تأثراً وهم لايستطيعون العمل للعامية بدليل أنهم ينادون إلى نبذ الفصحى وأخذ العامية، ولكنهم يكتبون باللغة الفصحي إلا بعض المحاولات القليلة، ومنهم سلامة موسى وثقافته العربية والغربية معروفة ومعلوف اسكندر، وعبدالعزيز فهمي وهو عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وقاسم أمين وغير هؤلاء من كبار أدباء العربية الفصحى.

انظر عن هؤلاء: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ودفاع عن الفصحى لأحمد عبدالغفور عطار، ومؤلفاتهم ومحاضراتهم في سبيل دعوتهم.

www.mtenback.com

ثقافة غربية وحصيلتهم من الثقافة العامية محدودة جداً، وإما أن يكونوا قد تثقفوا بالثقافة العربية الأصيلة واستوعبوها قبل صرعة الدعوة إلى العاميَّة أكثر من استيعابهم للعامية.

- لم يستطيعوا النزول إلى الشارع العامي حيث معترك العوام ليؤثروا في جماهير الأمة ويشاركوا في نشر العامية عملياً. فقدراتهم تقف بهم عند التنظير المجرد وحسب.
- إنهزموا أمام ضعف الحوافز في نفوسهم وقوة اللغة العربية المتجذرة في نفوس الناس حتى العوام منهم فلم تجد دعوتهم إلى العامية قبولاً لدى الناس.
- الأدب العامي في تلك البلاد ليس له بعد فني ولا تقوم فيه بواعث الجمال الأدبي، وأكثره من الأزجال التي يصعب بقاؤها أو حفظها ولغته ركيكة بعيدة عن الفصاحة بعدها عن جذور اللغة العربية، ولايساعد هذا النوع من الأدب العامي على الاستمرار والعطاء والحياة.

وقد تعاونت كل تلك الأسباب على إجهاض الدعوة إلى العامية في البلاد العربية ومنيت بالسقوط في حضيض الترك والإعراض. هذا بالنسبة لهم في البلاد العربية حيث لم يقدر لدعوتهم النجاح فيها.

أما محبو العامية في الجزيرة والخليج فالحال بالنسبة لهم مختلف والباعث غير الباعث لأمثالهم في الأقطار العربية. فمحبو العامية هنا ليس للكثير منهم حظ من الثقافة العربية الأصيلة وليس للكثير منهم معرفة بالثقافات الأخرى المعاصرة والماضية ولاعلم لهم بتطور اللغات وأسباب حياتها وموتها ولايعلمون عن المؤثرات فى بنيان اللغة شيئاً[1].

---

(١) أغلب من يندفع للتأليف بالعامية في الجزيرة وخصوصاً في المملكة العربية السعودية، شباب لم يحصلوا إلا على مستويات مبتدئة في التعليم وعدد من كبار السن الذين يؤلفون في شتي الفنون دون أن يكون لهم تخصص محدد وليس فيهم من مارس الدراسة المنظمة =

www.mtenback.com

ثم هم يجيدون العاميَّة سليقةً وطبعاً ويحسون بجمالها لخلوّ أذهانهم من أي ثقافة أو جمال فني غير جمال العامية الذي يجدونه فيها ويحسّون بطعمه عندما يسمعون مافيها من أدب وقصص وحكايات. وهم مندفعون تحت حب البحث عن الجديد الذي يستطيعون عمله وقدرتهم على تشكيل الفكر العامي وفهمه والدفاع عنه بداهة لاشك فيها. والأهم من ذلك كله هو أنهم لا يستطيعون إدراك الخطر الذي يهدد الأمة العربيَّة ويهدد فكرها ووحدتها وكيانها لو قدر للعاميَّة النجاح في الأقطار العربية وعلى الأخص في الجزيرة العربية، لأنه لايدرك خطورة ذلك إلا الذي يستقرىء التأريخ، ويدرك بوعي حياة اللغات وأهمية وظيفتها وأسباب ضعفها وقوتها، ويعرف كيف تنقسم إلى لهجات تصبح مع مرور الزمن لغات شتى مستقلة ومختلفة كل الإختلاف عن الأصل الذي تطورت عنه وذلك لايتسنى إلا للمتخصصين الذين ينظرون إلى القضايا المتشابكة التي يؤثر بعضها في بعض نظرة علمية واقعية.

وليس من طبيعة الأشياء أن نطالب محبي العامية بإدراك مثل هذه القضايا الفكرية المعقدة التي لايعرفون منها غير الوجه الأول بينما تختفي وراء هذا الوجه مئات الوجوه الخفية السوداء تصقله وتحاول رفعه لتخفي أغراضها وراءه. وليس من الحزم في شيء أن ترضى الأمة كلها بالإنسياق وراء محبي العامية حتى يحدد مصيرها ويتحكم في مستقبل أجيالها عدد من المستفيدين الذين نقرأ نماذج تفكيرهم السطحي فيما ينشرون ويذيعون من آراء.

وليس فيمن تصدىٰ للدفاع عن الأفكار العامية مختص واحد في علم اللغات أو الفكر الإنساني بعامة وأغلب من يتحدثون عن قضايا الفكر العامي ويتصدون لإقناع الناس بعدم ضرر العامية على الفصحىٰ هم من أبعد الناس عن فهم أبعاد القضية الإنسانية ومضمونها الفكري، وهم لحسن

= في أصول اللغات وفروعها، ولهذا كانت أراؤهم انطباعاً ذاتياً وإعجاباً بالعامية دون معرفة بما قد يجره هذا الانطباع من خطأ.

www.mtenback.com

الحظ بعيدون عن التخصص والمعرفة الدقيقة، ولو أنهم كذلك لكانوا أقدر على طرح القضية واستهواء العامة.

والأمم ذات الوعي تجعل لرأي المتخصصين مكانة في الأمور المتعلقة بتخصصهم ولا تسمح أن يخوض فيه كل من هب ودب، لكن قضية الفكر العامي في العالم العربي تستثنى من هذه القاعدة، فترى الحديث فيها مشاعاً لمن يعرف ومن لا يعرف، وربما تضاءلت المعرفة والخبرة أمام الزخم الجدلي العامي. إذ يتحدث عنها كل من شاء وإن لم يعرف أبجديات الموضوع الذي يجادل فيه.

إن كل قضية يواجهها المجتمع الإنساني تحتاج إلى علماء متخصصين يعطون الناس خلاصة آرائهم، ولو سئل أحد الناس عن قضية في الطب أو في علوم الصيدلة أو الاقتصاد أو حتى علوم السياسة والتاريخ وهو غير متخصص فيها لقال بكل شجاعة إنه غير مؤهل للحديث عن ذلك وطلب من سائله أن يسأل أهل الاختصاص في هذه القضية، وهذا هو الأمر المعقول والطبعي.

أما قضية الفكر واللغة فهي الشاذة على مفهوم هذه القاعدة. فلم نسمع أحداً من محبي العامية وهم ليسوا من المختصين ــ على كل حال ــ يحيل مناقشة قضية الفكر العامي إلى أهل الاختصاص أو حتى يسمع آراءهم.

إن قضية اللغة أو قضية الفكر أهم من كل القضايا التي ذكرنا بعضاً منها. لأن النظريات في الإقتصاد والطب والسياسة وغيرها نظريات مرحلية تؤثر تأثيراً مرحلياً لعدد من السنوات ثم تزول ويحل غيرها، وتزول بزوالها كل آثارها ولاتخلف شيئاً يذكر. أما الفكر فهو قضية تحكم مستقبل الأمة وتمتد آثارها إلى أجيالها المتتابعة، وتؤثر في حياة تلك الأجيال وقد تحدد مصيرها إلى الأبد، وكل خطأ يحدث لاسمح الله في طور من أطوار الفكر قد يستمر خطأً دائماً لايمكن تعديله أو التخلي عنه.

www.mtenback.com

فالأمة التركية مثلاً مجمعة في هذا الوقت على أنها وقعت في خطأ قاتل عندما تحولت من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني ولكنها لا تستطيع تدارك الخطأ وإصلاحه بسهولة، لأنه خطأ وقع في محور الفكر وصميم ثقافة الأمة وأصاب لغتها، وأصبح من غير الممكن حله إلا بتضحيات ضخمة تماثل التضحيات التي حدثت عند بدء الخطأ الأول.

موقف العلماء منها :

هدم اللغة العربية والانتصار للعامية وحرمان الأجيال القادمة من فهم لغة الدين قضية يحملها المتشدقون بدعوى حفظ التراث العامي. وهي مشكلة تزامن مشكلاتنا السياسية والثقافية، وقد تكون مشكلة الفكر المزدوج والثقافة المزدوجة التي نعيشها جاءت نتيجة من نتائج الاتجاه إلى الفكر العامي والثقافة العامية. وقد بدأت عندما بدأ الضعف يدب في جسم الأمة الإسلامية وأخذ الاستعمار الغربي والعدو الشرقي يحتكران مسارب الثقافة العامة ويفرضان شيئاً من الضغط على المسلمين في كل أصقاع الأرض، منذ مطلع هذا القرن الذي نعيش آخره. ولم ترتفع أصوات جريئة تكشف كابوس العامية وملابسات الاهتمام المبطن بها وتزحزح العقبات التي توضع في طريق المد الثقافي العربي الأصيل حتى لايحول حائل دون أمل الأمة باستعادة القوة مرة أخرى تحت راية الدين ولغته وثقافته التي اعتبرت أقوى الروابط بين أبنائها. بينما ارتفعت في المقابل أصوات أصحاب الفكر العامي وطغت على الصوت الضعيف الذي تطالعنا به بعض الأقلام الغيرىٰ. لقد كان ليقظة علماء المسلمين في الماضي فضل لاينكر في ردِّ الدعاوىٰ المسعورة ضد اللغة العربية الفصحىٰ ولهم جهد يشكر في رد الحملة الشعواء التي قام بها المستشرقون وتلامذتهم المخلصون في مصر والشام، فوقف علماء المسلمين موقف المدافع عن العربية وكشفوا زيف العامية ومايراد من نشرها وأوضحوا أهدافها وعروها أمام الناس حتى عرفت على حقيقتها، كما أوضحوا أهمية الفصحىٰ دينياً وسياسياً واجتماعياً، وأدركوا أن الهدف من وراء الدعوة إلى

www.mtenback.com

سيادة العامية هو القرآن الذي لايفهم إلا باللغة العربية ويرتبط بها ارتباطاً عضوياً، فهب العلماء المسلمون الواعون لإحتواء الخطر وتمكنوا من تخفيف الضرر الذي كان من الممكن حدوثه لو سكتوا.

هذا هو الموقف الذي وقفه علماء المسلمين من الدعوة إلى العامية في الأقطار العربية، أما محبو العامية في الجزيرة فقد تعاملوا مع العلماء على قاعدة المألوف.

والعاميَّة لدى بعض علمائنا معروفة مألوفة و بعضهم يتذوقها بحكم الوراثة والبيئة ويسمع أشياء ألفها في حياته اليومية الخاصة والعامة ومعرفة بعضهم بالدس والمؤامرات التي يحيكها أعداء المسلمين ضد الدين واللغة والأمة قليلة، ولهذا السبب لم يدركوا ماوراء نشاط الفكر العامي من أهداف لم تتضح للعيان بعد وقد صدَّق بعضهم بغفلته وحسن نيته ماكان يقوله أحد زعماء النصارى وقساوستهم في زنجبار، الذي ابتلع دولة عربية إسلامية بعد قيامها وألغى اللغة العربية القائمة فيها وخلطها مع غيرها من لغات أخرى وحولها من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني وكان يخطب بالناس عندما فعل ذلك ويقول إن اللغة العربيَّة لم تعد مستعملة في غالبية البلدان العربيَّة في قلب الجزيرة العربية فكيف تريدونها تبقى في زنجبار؟ ولم يصدق العرب والمسلمون ماقال حتى قام وفد بزيارة إلى دولته، ويبدو أن هذا الوفد مع الأسف الشديد لايعرف شيئا عن مزاعم هذا القسيس ولايعلم شيئاً عن تاريخ الدولة التي يزورها ولاعن تكوينها السياسي رغم أنه لم يمض على بلوى إخوانهم العرب المسلمين فيها غير عدد قليل من السنوات، فاستقبلهم الرجل استقبالاً حاراً ذكياً، وأدرك أبعاد وعيهم من أول لقاء معهم فبالغ في إكرامهم وهيأ لهم طائرة خاصة يتنقلون عليها لزيارة اتحاد دولته العربية الإسلامية بالأمس والأفريقية العلمانية اليوم، وضم إليهم عدداً من رجال استخباراته يرصدون حركاتهم وكل مايقومون به من أفعال وهذا شيء يعرفه كل من له مسكة من عقل، فالوفد الذي يزور أي دولة لابد أن يصحبه هؤلاء، فما كادت تستقل بهم

www.mtenback.com

الطائرة وهم متوجهون إلى الدولة العربية المسحوقة حتى رفعوا عقائرهم بأبيات من الشعر العامي فسجل المرافقون عليهم ذلك واتخذوا هذا الموقف حجة يحتج بها على أن بعض العرب لايتكلمون العربية. فعل الوفد ذلك وهم في رحلة يدعون فيها إلى الله ويفترض في مثل حالهم أن يقرأوا **«سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين»** وأن يرعوا وقار العلم وسمو المهمة التي هم في سبيلها وأن يترفعوا عما هم فيه من لغو القول. لكنهم لايعرفون الدسائس والمؤامرات ولايدرون مايسجله عليهم مرافقوهم. وماكاد يعود المرافقون حتى ذكروا ذلك وحاضروا عما حصل تأييداً لما يزعم الرئيس.

حُدِّثْتُ عن ذلك فشككت في صحته وحملت الأمر على الدسيسة والخبث وقلت لمن حدثني: إن بعض علماء المسلمين لايرون الغناء ولايرضونه ولايمكن أن يحدث منهم هذا الذي تقول. وقد يكون تزويراً يراد منه تشكيكنا في علماء المسلمين حتى نفقد الثقة فيهم. ولم أشك بأن مانقل إليَّ كذب ودسٌّ حتى تحدثوا هم عن ذلك وكتبوه فيما كتبوا ونشروا. هذا مثال واحد استطعت إيراده لأنه موثق ولدي الدليل على صدق ماحدث، وغير هذا عشرات القصص والروايات عن غفلة بعض الناس ومايؤخذ عليهم من مواقف لا تدل إلا على السذاجة وعدم الإدراك، ولا أستطيع ذكر أكثر من ذلك لعدم رغبتي في تسقط شواهد النقص والأخطاء، ولكني أوردت ما أوردت مدللاً على أن السكوت من فئة لها قيمتها ومكانتها وإليها ينظر الناس إنما كانت له أسباب وله مبررات أقلها عدم معرفتها بخطورة مايحدث ضد ثقافة الأمة وضد لغتها وليس الأمر بالنسبة لهم تهاوناً أو عدم اهتمام.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفصل الأول

البداية ودور مدارس الاستشراق

ليس الغرض من البحث في هذا الفصل تتبع نشاط حركات العامية في الوطن العربي التي حركها الاستعمار عندما كان يخطط لغزو العالم الإسلامي. فذلك يحتاج إلى بحث مستقل والاستفاضة فيه قد تدعو إلى الخروج عن المجال الذي رسم لهذه الدراسة لكن تتبع حركات العامية في الجزيرة، وبدايتها الأولى أمر يقود إلى الإلمام بشكل سريع وموجز ببداية الاهتمام بنشر العاميات في الوطن العربي حين بدأ اهتمام أوربا بالعالم الإسلامي بعد أن شعرت بالقوة وتجلت أطماعها في بلاد العرب المسلمين، فحاولت فهم الفكر العربي وفهم المؤثرات في المجتمع وفي حياته وقيمه الاجتماعية والدينية والسياسية، فوجه الغرب جهوده إلى فهم عقلية العرب وأسس تفكيرهم إذ نظر إلى اللغة العربية والأدب العربي الفصيح ووجد قوة ارتباطها بالدين والثقافة الإسلامية، ونظر إلى حياة العرب في بداية هذا القرن فوجدها بعيدة عن الموروث الحضاري والثقافي العظيم ووجد أن العاميات منتشرة في كل أجزائه، ورابطته بأصول حضارته ضعيفة. فجعل التقليل من الموروث العربي الحضاري هدفاً من أهدافه، وأجمعت دول الغرب على محاولة التسلل إلى مقومات الحضارة الإسلامية وفكرها وأدبها، وتضافرت جهودها على حربها وتصويرها بصورة العاجز الذي لايقوم بأغراض الأمة وتطلعاتها ووجدت أن في العاميات منفذاً إلى أغراضها التي تسعى إلى تحقيقها. فتوجه الاهتمام الأوربي كله قبيل الوثبة الاستعمارية إلى دراسة العاميات العربية وفهمها ومحاولة طرحها بديلا عن اللغة الفصحى المملوءة بالروح الثقافية الإسلامية القوية، تلك الروح التي يسعى الاستعمار إلى إماتتها أو تفريغها من مكمن قوتها وصلابتها. وكانت مصر والشام أولى البلاد العربية الإسلامية التي توجه إليها اهتمام الطامعين والمستشرقين ودعاة العامية

www.mtenback.com

وخططوا على أن تكونا المحطة الأولى التي يمكن الإنطلاق منها بقوة إلى كل أنحاء العالم العربي الإسلامي، وبدأ انطلاق التشويش وزعزعة مكانة اللغة العربية ومكانة موروثها الذي يحتفظ بمقومات المجد الأصيل، ويدخر للأجيال صوراً مشرقة من تأريخهم التي يطمع الغربيون في طمسها. وكان من المستحيل التفكير في إحلال أى لغة أجنبية أو تشجيعها ولكنه من المعقول في رأيهم التفكير في اللغات العامية العربية وإعطائها فرصة للظهور على مسرح الحياة الثقافية والفكرية، ومن هذا الأمل في نفوسهم بدأت انطلاقة العامية الأولى.

وكانت البداية مبكرة جدا، وجاءت من الغرب لأنها بدأت من هناك كما تقرر المصادر التي بين أيدينا تلك المصادر التي تؤرخ لبداية العامية العربية. والسبب في بدايتها في الغرب هو ازدياد اهتمامه بالشرق ومحاولته الجادة في ابتلاع البلاد العربية المتاخمة لأوربا واحتلالها واحتواء ثقافتها حيث أحسّ بضعف الخلافة العثمانية وعجزها عن الدفاع عن ممتلكاتها مع عدم قيام أي قوة داخل العالم العربي يمكن أن تصد أطماع الغربيين. فبدأت أولى المدارس التي أصبحت تعرف بمدارس الإستشراق، وقد يتجه ذهن القارىء عندما نتحدث عن مدارس الاستشراق إلى اهتمام الغربيين الواسع بثقافة العرب ذلك الاهتمام الذي عرف به عدد من العلماء البارزين في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين واستمرت آثاره إلى وقتنا الحاضر، ذلك الاهتمام الذي اتجه بكل جوانبه إلى دراسة الثقافة العربية والإسلامية وتخصص علماء الاستشراق في الماضي تخصصاً واعياً في علوم اللغة العربية واهتموا بتراثها الإسلامي حتى صار هذا الاهتمام اتجاهاً ثقافياً وهو مانعرفه الآن باسم الاستشراق، ولهذا الاحتمال نصيب. لكن مانريد الحديث عنه وبيان أغراضه ليس هو الاستشراق بجملته وليست مضاره ومنافعه، لكن الحديث سيدور حول الاهتمام البالغ الذي خصصه بعض الغربيين لدراسة العاميات الدارجة في الوطن العربي حيث فتحوا المدارس المتخصصة في هذا المجال في أكثر من دولة من دول أوروبا

www.mtenback.com

الغربية والشرقية، وركزوا برامج تلك المدارس على التفقه في العاميات خاصة واستمروا على هذا الحال حتى أصلوا دراستها في نفوس عدد كبير من العرب الذين أخذوا مبدأ الاهتمام بالعاميات على أنه ثقافة إقليمية وبدأوا بنشرها في بلادهم على الطريقة والمنهج الذي سارت عليه مدارس الاستشراق سواء بسواء.

هذا الاهتمام يختلف عن الاهتمام بدراسة اللهجات كظاهرة لغوية صوتية. هذا العلم الذي أصبح جزءاً بارزاً من علوم اللغة لا علاقة له بمنهج العامية الذي نتحدث عنه، إذ إن الإهتمام بالعاميات كان جزءاً أساسياً من مهمة مدارس الاستشراق قبل أن يعرف علم اللغة الحديث أو اللسانيات الحديثة.

فمدارس الاستشراق القديمة كانت تحاول جادة في تأصيل العامية ومدها على حساب اللغة الفصحىٰ وإعطائها المساحة التي كانت للفصحىٰ وكانت العامية منتشرة في البلاد العربية الأمر الذي شجع الكثيرين منهم على التطاول على اللغة الأم أملاً في زحزحتها عن مكانها، لأن في البعد عنها بعداً عن مصدر القوة التي تخشاه أطماع الأعداء، ولأن حجبها عن الأجيال المقبلة في غاية الأهمية بالنسبة للغرب حتى يحقق مايريد إذا سد مسارب الاتصال الذاتي والأخذ المباشر من معين اللغة الفصحىٰ. وفي ذلك أيضاً فصل لوحدة الأمة وتفكيك أجزائها إلى أقاليم وأقطار لكل منها عاميته الخاصة به التي سينعكس عليها اهتمامه وتصبح لهم بمثابة الفصحىٰ بها يكتبون التراث الإقليمي الضيق وبها ينشرونه في الأقاليم المختلفة.

أولى المدارس :

بدأت أولى المدارس التي تدرس العامية العربية خاصة في إيطاليا عام ١٧٢٧م[١]، ولايخفى الرابط بين إيطاليا القريبة من البلاد العربية الواقعة

(١) اسكندر عيسى، اللهجة العربية العامية: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة م١، رجب ١٣٥٣هـ الموافق أكتوبر ١٩٣٤م. شعبان ١٣٥٥هـ الموافق اكتوبر ١٩٣٦م.

www.mtenback.com

على الساحل المقابل للبحر الأبيض وبين بدايتها الأولى واعتبارها رائدة في ذلك وقيمة اهتمامها بعاميات مصر والشام ومحاولة التأثير المباشرة عليها عن طريق فهم العامية. فقيام هذه المدرسة في هذا الوقت المبكر وسبقها وتخصصها في دراسة اللهجات الشامية والمصرية كان يخدم أهدافاً عريضة لأوروبا عرفناها بعد عشرات السنين. تلك الأهداف هى معرفة حال البلاد العربية التي يهم الأوربيون بغزوها واحتلالها، وقد استمرت هذه المدرسة بعض الوقت ثم توقفت وفي عام ١٨٨٨م، عادت مرة أخرى لتؤدي رسالتها ولكنها ليست وحدها هذه المرة بل سبق عودتها مدرسة أخرى في جزء من أوروبا، في النمسا عام ١٧٥٤م وكانت متخصصة في مهمة محددة وهي مهمة إرسالية وقد وضعت مناهجها على هذا الأساس حيث كانت متخصصة بإعداد المبعوثين الذين سيعملون في البلاد العربية، ولذا سميت مدرسة القناصل واهتمت بالعاميات العربية اهتماماً واسعاً واستعانت ببعض العرب ومنهم حسن المصرى للقيام بتعليم العامية التي لايحسنها غير أهلها وألف حسن هذا كتاباً بالعامية سنة ١٨٦٩م بعنوان «أحسن النخب في معرفة لسان العرب» وكان في العامية المصرية خاصة[١].

أما فرنسا فقد بدأت الاهتمام بالعاميات العربية في نفس العقد من السنوات فأسست مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس عام ١٧٥٩م وأظهرت اهتماماً خاصاً بالشام ولبنان بالذات لمكانة الأقليات الدينية فيه كما يقولون، وطلاب هذه المدرسة هم القناصل والتجار والمترجمون والعلماء المتصلون بشؤون البلاد العربية، ودُرِّست اللهجات العامية وكيفية نطقها وضبطها واضطلع بذلك المستشرق سلفستر دى ساسي الفرنسي وكان كتاب سلفه ومواطنه دي سفاري DE SIVARIE (أصول اللغة العربية العامية والفصحى) الذي قدمه إلى حكومة فرنسا خير معين له في مهمته حيث اطلع على اللهجات العربية العامية، ولكنه لم يكتف بذلك بل ضم إليه عربياً

(١) اسكندر، عيسى، اللهجة العربية العامية ، مجلة اللغة العربية القاهرة، ١٩٣٦م، ص ٣٦٨.

www.mtenback.com

آخر هو ميخائيل الصباغ وعينه مدرساً للعربية ومؤلفاً فيها[١]. فكتب عدة كتب منها: اللغة العربية العامية في مصر والشام، والرسالة التامة في كلام العامة، والمناهج في أحوال الكلام الدارج[٢].

أما روسيا فلم تغفل عن أهمية اللهجات العامية في سبيل خدمة مصالحها، وكان الباعث لها هو تربصها وعدوانها الذي كانت تبيته للدولة العثمانية وللغة العربية وثقافتها، وكان حال تركيا في ذلك الوقت حالاً يدعو جاراتها إلى الطمع فيها فأصبح كل عدو لدود لها يحرص كل الحرص على أن ينال حظه من ممتلكات الدولة الإسلامية المتداعية، فقامت روسيا بالواجب المطلوب منها تضامناً مع دول أوروبا وهو بعث النعرات القومية المسيحية ومحاولة تحريك الأقليات الدينية والعرقية حتى تستطيع خلخلة بنيان الإسلام المرصوص، ولم تجد أقرب إلى ماتريد ومايحقق أهدافها السياسية والدينية والعرقية من تشجيع اللهجات العامية والاهتمام بها فأقامت مدرسة لازارف LAZAREV الإكليريكية للغات الشرقية في مدينة موسكو عام ١٨١٤م وجمعت فيها بين تعليم العربية الفصحى وعامياتها واللغات الشرقية الأخرى. وكانت فرعاً من الجامعة الامبراطورية في بطرسبرغ. ولم تنس على بعدها ــ عن العالم العربي ــ أن تستعين بالعرب الذين يعرفون عاميات البلاد العربية فاستقدمت الأستاذ محمد عياد الطنطاوي وجعلته مساعداً للمستشرق الروسي نفروتسكي [M.NAWROTSKY] وأسند إليه تدريس العاميات والتأليف فيها. فألف في العربية العامية عدة رسائل وتزامن اهتمام روسيا القيصرية بالعامية مع اندلاع حرب القرم الشهيرة عام ١٨٥٤م التي كانت دولة الخلافة الإسلامية طرفاً فيها، وقد نالت كتب الطنطاوي عناية فائقة فطبعت في لبيسيك سنة١٨٤٨م[٣].

---

(١) اسكندر، عيسى، اللهجة العربية العامية.

(٢) اسكندر، عيسى، اللهجة العربية العامية.

(٣) اسكندر عيسى، اللهجة العربية العامية، مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٦م م٣ ص ٣٦٨.

www.mtenback.com

وفي المجر أنشئت عام ١٨٩١م الكلية الملكية لعلوم الاقتصاد واهتمت بالعاميات العربية أيضاً. وكيفية النطق بها ودرست أصواتها [١].

أما ألمانيا فقد كان اهتمامها بالعالم العربي والإسلامي وبتركيا خاصة اهتماماً كبيراً، فقد أسست مكتباً في مدينة برلين مهمته تدريس اللغات الشرقية ومنها اللغة العربية ولهجاتها العامية، وفيه تحددت التخصصات وأصبح هناك متخصصون في أكثر العاميات العربية من أهل الأقاليم نفسها ممن يحسنون عامية أقاليمهم ويعرفونها فالدكتور أحمد والي وهو طبيب مصري يعيش في ألمانيا قام بتدريس لهجات مصر العامية لاغير. بينما قام أمين معربس والدكتور مارتن هرتمن DR. MARTIN HARTMANN الذي كان قنصلاً لبلاده في بيروت يقومان بتدريس اللهجات الشامية العامية. ومن هذا المكتب تخرج معظم أساتذة أمريكا الشمالية. كما ألف المكتب الألماني سلاسل من كتب التدريس لحلقات الدوائر الشرقية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد اتسعت دائرة اهتمامه وامتدت إلى المغرب الأقصى، وأسس مجلة مختصة للبحث في هذه اللغات ولهجاتها العامية [٢].

أما مدرسة هامبرغ الاستعمارية التي كانت أهدافها تعليم السواح والتجار والموظفين لغات الشرق وعامياته، فلم تكتف بتعليم العاميات بل أصرت على أن ينطق بها الأوربيون بلا رطانة حتى لايلفتوا الإنتباه.

وقبل أن ننهي استعراض نشاط مدارس العاميات العربية التي عمل الأوربيون على تأسيسها وجعلوا منها مراكز لدراسة عاميات الوطن العربي الذي يهتمون به في ذلك الوقت لابد أن نذكر نشاط دولة استعمارية كبيرة هي بريطانيا، فما يلفت النظر أن دراسة العاميات فيها بدأت متأخرة نوعاً ما بالنسبة لغيرها من دول شرق أوروبا وغربها ولعل السبب يعود إلى

---

(١) اسكندر عيسى، اللهجة العربية العامية: مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٣٦م م٣ ص ٣٦٨.

(٢) اسكندر عيسى، اللهجة العربية العامية، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٣٦م م٣ ص ٣٦٨.

www.mtenback.com

اهتمامها بالهند وسكانه وسبق استعمارها وماكانت تقوم به من نشاط هناك بالإضافة إلى ماعرف عنها من أنها دولة استعمارية تعتمد الاستعمار الاقتصادي والسياسي ولا تعير الجانب الثقافي كبير اهتمام، خاصة في البلاد التي كانت خاضعة لسيطرتها، وكلنا يعرف أنها حلت في سواحل الخليج سنين كثيرة وخرجت دون أن تترك أثراً ثقافياً يذكر.

وأياً ماكان السبب في تأخر بريطانيا في فتح مدارس العاميات مقارنة بإيطاليا مثلاً فقد بدأت دراسة اللهجات العامية في لندن قوية في أوائل القرن التاسع عشر حيث أنشأت جامعة لندن فرعاً فيها تخصص في تدريس العاميات والعربية والفصحىٰ واستخدمت حبيب أنطون السلموني اللبناني الأصل في تدريس العاميات العربية ووضع لها معجماً بالعربية والانجليزية، كما انتهزت زيارة الأديب المعروف أحمد فارس الشدياق لبريطانيا واقترحت عليه المدرسة تأليف كتاب بالعربية المحكية أى العامية ليكون منهجاً لها في تدريس العاميات فأجاب إلى ذلك وألف كتابه العربية المحكية عام ١٩٠٦م[١].

هذه لمحة موجزة وتعريف مختصر في بداية الاهتمام الرسمي لدول أوروبا بعاميات العالم العربي والإسلامي وتركيزه على ماكان يصاقبه من عاميات البلاد العربية الموازية له وكان هذا الاهتمام بداية حقيقيه للإستعمار الذي حدث بعد ذلك، فحققت مدارس العامية مايراد منها عندما تقدم طلابها الجيوش الغازية التي تجتاح العالم الإسلامي يقودونها إلى حيث يجب أن تسير.

إن الغرض الذي كان وراء اهتمام الغرب بالعاميات وتعلمها وتأسيس المدارس لها واستقدام المعلمين من العالم العربي ومن الغربيين تجلت نتائجه وظهرت أهدافه عندما وقعت الحرب العالمية الأولى، واستعمرت البلاد

---

(١) اسكندر عيسى،اللهجة العربية العامية، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٣٦م م٣ ص ٣٦٨.

www.mtenback.com

العربية والإسلامية وقامت كل دولة مستعمرة بمحاولة تحويل الأمة عن لغة تراثها ودينها وحضارتها إلى لغات عامية ضعيفة ركيكة تضر ولا تنفع. وهذه التجربة التي حدثت وعرفت نتائجها كان من الأجدر بنا أن نحذر من تكرارها مرة أخرى وألا ننخدع بما جدّ من جديد في فنيّات القضية وتبريرات الدعاة الجدد إلى العامية اليوم، إذ كان الأولى بهم أن يأخذوا عبرة مما سبق لاسيما بعد معرفة نتائجه وانكشاف أهدافه. ولايجب أن تكرر المحاولات التي بدأها الأعداء.

أما مايظهر محبو الثقافة العامية عندنا من إهتمام بالعامية ونشرها ومحاولة تقعيدها فهو عمل لايهدف إلى شيء في واقع الأمر، إلا أن نتائجه ستصبح أكثر ضرراً على الأمة العربية وعلى مستقبل أجيالها وكيانها السياسي والإجتماعي والديني من ضرر الاستعمار الذي سخر العاميات لأغراض مؤقتة، تلك الأغراض قد زالت عندما ودع البلاد العربية وذهب إلى غير رجعة، وخلف آثاره الفكرية التي يتشبث بها اليوم محبو العاميات ومناصروها. وسيؤثر نشر العاميات على بنية المجتمع العربي إقليمياً وفكرياً وسياسياً لأن الأداة التي تستعمله ليست غريبة ولا أجنبية يشك في إخلاصها ونياتها ولكنها أداة محلية أبعد ماتكون عن الشك أو الريبة ومايحدث من اهتمام بالعاميات في الجزيرة والخليج يعبر عن غفلة شعوبها وعدم إدراكهم الخطر الذي سيؤول إليه الحال لاسمح الله بعد عشرات السنين إن استمر العمل على ماهو عليه اليوم.

التأليف والنشر باللهجات العامية :

ننتقل إلى نواة المؤلفات العامية التي بدأها الغربيون المسيحيون واليهود ومن كان يعمل معهم من أبناء العرب واستعراضنا للمؤلفات الأجنبية في عاميات اللغة العربية في أنحاء البلاد الإسلامية لايعني إعادة الماضي وتكرار مافرغ الناس منه وعرفت نتائجه، ولايراد من ذلك إدانة التأريخ الحديث ووصفه بكل بائقة، ولايقصد تعليق كل مشكلات الأمة الإسلامية العربية

www.mtenback.com

ومآسيها في تأريخها الحاضر على مشاجب الغرب والشرق وليس من العدل أن تعرض رؤية معينة على الماضين بعد أن تجلت ملابسات الماضي وأصبحت الرؤية في أعقاب الأحداث أكثر وضوحاً وجلاء عند جيل اليوم مما كانت عليه عند جيل الأمس الذي تورط في الكثير من الأخطاء، نظراً لانعدام الرؤية الصادقة الفاحصة أمامه. لكن الاستعراض الموجز لماضي العامية ودعاتها يأتي لغرض محدد تحتاجه الأمة في حاضرها علها تدرك بمقارنة واعية أن ماضي هذه الدعوة إلى العامية وحاضر تعشقها والاعجاب بها هما وجهان لعملة واحدة سوقها معروفة، ونتيجتها الضرر بالثقافة وبالعربية عن طريق إضعاف وحدة أهلها، وبالتالي يضعف تكوينهم السياسي والإقليمي.

ولعلنا هنا نوضح بجلاء لإخواننا وشبابنا الذين يندفعون إلى الإعجاب بالفكر العامي والثقافة العامية حقيقة المنشأ والمصدر الذي بدأت منه الإنطلاقة الواسعة إلى هذا الفكر، والمرجو منهم بعد ذلك أن يسألوا أنفسهم لماذا بدأ الاهتمام من هناك وماعلاقة الغربيين بما يسميه المعجبون بالعامية اليوم بالأصالة والجذور ومنابع الثقافة؟. إن الكثير من المعجبين بالعامية والفكر العامي يؤلفون وينشرون مااستطاعوا نشره ظانين أن إهتمامهم آت من اقتناع منهم بأهمية الفكر الشعبي فينشدون فيه الإبداع، وهم لايعلمون أنهم بعملهم هذا يسيرون على المنهج نفسه، الذي سار عليه الغربيون منذ أكثر من مائتي عام وليس لهم من فضيلة إلا التقليد. ومايقوم به أبناء العرب من نشر للفكر العامي والثقافة الإقليمية ليس نابعاً من اقتناعاتهم الشخصية وليس سداً لحاجة أدركوها ولا اكتشافا لأهمية الفكر الإقليمي، الذي بدأت طلائعه تظهر في السنوات القلائل الماضية، إنهم متأثرون تأثراً غير مدرك ولامحسوس بأفكار ودراسات غربية حديثة، في عالم يختلف فهمه ونظره وقيمه الدينية والاجتماعية عنا، وتختلف نظرته للحياة عن نظرتنا. فثقافتنا تتميز بخصوصية الدوام والاستمرار لأنها مرتبطة بوشائج لايوجد مايماثلها في حضارات الغرب أو الشرق، وفي تمسكنا بها مايثير شجن الذين

www.mtenback.com

لايودون أن تكون لنا وحدة مستقلة، ولاشخصية متميزة، ويعملون على دمجنا بحضاراتهم ومفاهيمهم الفكرية التي لن نحسنها ولن نستفيد منها غير التقليد الأبله، الذي طبق في دول غير دولنا، فلم تستفد شيئاً. إن الحقيقة المعروفة للناس هى أن الاهتمام بالفكر العامي ومحاولة تأصيل المضمون الإقليمي لم تنبع من نفوسنا ولا كانت اقتناعات لشبابنا ابتداءً ولا أتت من منظوره الخاص ونتاج تفكيره، إنما أخذها متأثراً بالاتجاه القوي نحو تقديس المأثورات العامية والمحلية. وإذا كان المفهوم السائد في العالم هو الاتجاه إلى تقديس المأثور الشعبي فإن لنا نحن المسلمين خصوصية توجب علينا الرفض لهذا الاتجاه. والموقف الذي يجب أن يقفه المفكرون من الفكر العامي والثقافة الإقليمية لايعني عدم الإدراك لأهمية الجديد ومواكبة الحياة في البحث الجاد عن أفضل الطرق للرقي بفكر الأمة ووعيها. إن في اللغة وإن في الأدب وإن في غيرهما من موروثات حضارية مادية، فاللغة العربية الفصحى والفكر العربي الأصيل لم يخلوا من جديد في كل العصور التي مرت منذ بدء تدوين اللغة الفصحى حتى يومنا هذا. ولكن الجديد دائماً يكون متسقاً مع مسير العربية ومنبعثاً من حاجة الأمة ومواكباً لتطورات الحياة التي تعيشها ويعتبر رافداً من روافد حضارة الأمة الحية التي لاغنى عنها ولايكون متعارضاً مع مصالحها. والكل يعرف ماقام به علماء الأمة الأولون من جهود في تتبع أخطاء العامة وأهل اللحن فألفوا الكتب الضخمة وكان أكثرها في الأخطاء التي تشيع على ألسنة الناس في كل جيل، وتصدى لدراسة ذلك عدد غير قليل من المؤلفين واللغويين. ومنذ القرن الثاني الهجري حتى قبيل فترة وجيزة جداً، وقافلة العطاء مستمرة، ولن تقف وإن وضع المعجبون بالثقافة الإقليمية والعامية العثرات في سبيلها.

منهج القدامى في إصلاح العامية :

والهدف من ذلك هو إصلاح مايطرأ من لحن وفساد في اللغة على ألسنة المتكلمين، ورده إلى أصله في اللغة لا بالسكوت عنه حتى يكتسب صفة

www.mtenback.com

الاستمرار والقبول. ومن أوائل الكتب التي وصلت إلينا في موضوع إصلاح العربية «كتاب ماتلحن فيه العامة»[١] لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي المتوفى عام ١٨٩هـ على أرجح الأقوال[٢].

وجاء أبو عبيدة المتوفى عام ٢٠٩هـ فصنع كتاباً بعنوان لحن العامة، وبعده كتب أبو عثمان المازني المتوفى عام ٢٤٨هـ «لحن العامة» أيضاً ومثله ألف السجستاني المتوفى عام ٢٥٥هـ، الذي ألف كتاباً بعنوان «لحن العامة» وأبو حنيفة الدينوري المتوفى عام ٢٩٠هـ كتب في الموضوع نفسه، ثم جاء الزبيدي بعد منتصف القرن الرابع وألف في لحن العوام كتاباً[٣] تتبع فيه أبسط الأخطاء التي يقع فيها عامة الناس وأقلها خطراً وحاول بيان الاستعمال الصحيح وأتى بالدليل على صحة مايذهب إليه من القرآن ومأثور كلام العرب.

ولو تتبعنا ماكُتِبَ حول أخطاء العامة والحوافز من وراء التأليف لوجدنا أن تلك الأخطاء شبيهة بما يستعمله اليوم خاصة الخاصة، ولايرونه خطأ ولاعجمة، وسنورد أمثلة من بعض الكتب محاولين السير مع المهتمين باللسان العربي لنرى كيف تطورت مناهج إصلاحهم للعربية مع تطور الخطأ ووجود العامية، يقول الكسائي[٤]: تقول مانَقَمت منه إلا عجلته، بفتح القاف، لايقال غيره. قال الله عز وجل: «**ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله**»[٥] وتقول: دعه حتى يسكت غضبه بالتاء، لا تقول «يسكن» بالنون، قال الله عز وجل: «**ولما سكت عن موسى الغضب**»[٦].

---

(١) حققه الدكتور رمضان عبدالتواب، ونشره عام ١٤٠٣هـ.

(٢) الزبيدى، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٣٠.

(٣) حققه الدكتور عبدالعزيز مطر ونشره عام ١٩٦٨م.

(٤) ماتلحن فيه العامة، ص١٠٠.

(٥) البروج، ٨.

(٦) الأعراف : ١٥٤.

www.mtenback.com

ويقول في موضع آخر مصححاً قول العامة ومحاولاً وضع الصحيح مكان الخطأ حتى يعوِّد مستعملي اللغة على الصواب من قريب ولايترك لهم حرية الاستعمال حتى إذا بعد بهم الزمان صعبت عليهم العودة إلى الصحيح: (وتقول قد شغلني فلان عن عملي وشغلته بغير ألف قال تعالى: «**شغلتنا أموالنا وأهلونا**»[1] وتقول: قد وعدت فلاناً خيراً، ووعدته شراً، بغير ألف، قال تعالى: «**إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم**»[2]، فإذا لم تظهر الخير والشر، وأردت الوعيد، قلت: أوعدته، قال كعب بن زهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول[3]

فالأخطاء التي نبه إليها الكسائي لم تكن بعيدة عن الصواب والأصل وذلك لقرب عهد المتكلمين بها من عهد صلاح اللغة، ومع ذلك رأى أن الأمر يحتاج إلى تصحيح. ومثل الكسائي فعل معاصروه الذين أشرنا إليهم وهم جميعاً في أزمان متقاربة وماتعرضوا له من تصحيح شبيه بما أشار إليه الكسائي، لكن عندما نسير مع الزمن قليلاً إلى النصف الثاني من القرن الرابع نجد أن الزبيدي «متوفى عام ٣٧٩هـ» قد عالج الخطأ في اللغة معالجة فيها الكثير من الاستطراد والتوسع وذلك لأن المادة اللغوية في عهده تطورت وأخذت أبعاداً أوسع منها عند الكسائي ومعاصريه، يقول الزبيدى: (ويقولون: بزيم للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج يسرج بها، وقد تكون في طرف المنطقة قال محمد: والصواب: إبزيم على مثال: إفعيل، وفيه لغة أخرى: يقال: أبزام والجمع، أبازيم، قال العجاج: «يدق إبزيم الحزام

---

(١) الفتح : ١١.
(٢) إبراهيم : ٢٢.
(٣) انظر ديوانه ص ١٩.

www.mtenback.com

جشمه «والجشم عكن البطن، ويقال أيضاً: إبزين ويجمع على أبازين قال أبو داود الإيادي:

من كل جرداء قد طارت عقيقتها وكل أجرد مسترخي الأبازين

ويقال للإبزيم أيضاً: زُرفين وزِرفين، في الحديث أن درع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانت ذات زرافين، إذا علقت بزرافينها سترت، وإذا أرسلت مست الأرض، قال مزاحم يصف ناقة:

يباري سديساها إذا ماتلمجت شبا مثل إبزيم السلاح المؤسل

والمؤسل الذي رققت أسلته. ويقال للقفل أيضاً: إبزيم.

وهذه العبارات أيضاً كلها متفقة، لأن الإبزيم إفعيل، من بزم إذا عض، أبو زيد: بزمت «على الشيء» أبزم بزماً إذا عضضته بالثنايا دون الأنياب والرباعيات، وكذلك البزم في الرمي، وهو أخذك الوتر بالإبهام والسبابة، ثم ترسل السهم. فأما قول تميم ابن أبيّ بن مقبل[1]:

على كل ملواح يزل بريمها تعاطى اللجام الفارسي وتصدف

فهو البريم بالراء، وكذلك أنشدنيه قاسم بن أصبغ، عن السكري عن أبي حاتم، عن أبي عبيده، والبريم حبل مفتول يكون فيه لونان، وربما شدته المرأة على وسطها وعضدها وأنشد الأصمعي:

(إذا المرضع العوجاء جال بريمها)

وليس الإبزيم الذي ذكرنا والبريمان أيضاً الكبد والسنام[2] ثم ينتقل إلى موضع آخر يخطّىء فيه العامة كما يقول، وإلى مادة أخرى فيصحح ذلك

---

(١) انظر ديوانه، ص ١٩٣.

(٢) لحن العامة، ص ٥١، ــ عبدالعزيز مطر وقارن عند رمضان عبدالتواب، ص ١٥.

www.mtenback.com

الخطأ ويأتي بالدليل على مايذهب إليه وخطأ مايستعمل الناس في عصره يقول: (ويقولون للقُضُب التي يتخذ الملوك منها المخاصر، ويعمل منها الأطباق خاصة: خيزران.

قال محمد: والصواب: خيزران، بالضم، قال الشاعر:

في كفه خيزُران ريحه عبق في كف أروع في عرنينه شمم[1]

والعرب تسمى كل قضيب لدن ناعم خيزراناً. قال الشماخ:

إذا عيج منها بالجديل ثنت له جراناً كخوط الخيزُرَان المعوج[2]

وذكر بعض اللغويين أن الخيزُرَان ليس من نبات أرض العرب وأنشد للجعدي[3]:

أتاني نصرهم وهم بعيد بلادهم بلاد الخيزُرَان

وواحده خيزرانه. والخيزرانه أيضاً سكان المركب، والكوثل أيضاً قال النابغة الذبياني[4]:

يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنجد

ويروى بالخيسفوجة وهو الخشب البالي، والخيسفوج أيضاً في غير هذا الموضع: حب القطن[5].

---

(١) البيت منسوب للفرزدق من قصيدة يمدح بها علي بن الحسين زين العابدين انظر ديوانه، جـ٢، ص ١٧٩.

(٢) انظر ديوانه، ص٨٥.

(٣) شعره، ص ١٦٥.

(٤) ديوانه، ص ١٨٨.

(٥) لحن العامة ت، عبدالعزيز مطر، ص ٨٧، وانظر رمضان عبدالتواب ص ٥٤.

www.mtenback.com

لقد كان الهدف من الكتب التي تناولت موضوع اللحن هو رد اللسان العربي إلى معين اللغة العربية الفصحىٰ وتجديد عهده بها حتى لايبعد عنها ويطغى الأسلوب العامي والاستعمال الرديء على فصيح الكلام، والقارىء يرى في هذه المحاولات الأولى فشو اللحن وانتشار العامية.

ولكن العلماء لم يأخذوا ذلك حجة على التعامل مع الفساد اللغوي ولم يقولوا كما يقول الناس اليوم: إن العامية موجودة ولابد من التعامل معها وإحيائها ودراستها والاهتمام بأدبها وثقافتها.

لو قال العلماء في القرن الثاني الهجرى وماتلاه من قرون مثلما يقول الناس اليوم لكانت اللغة الفصحىٰ خبراً بعد عيان منذ القرن الرابع أو الخامس لكنهم عرفوا أهمية العمل على الحد من سرعة انتشار العامية وسعوا إلى إثراء العربية الفصحىٰ حتى تسد الطرق على منافذ العامية، واستمروا يؤلفون في الفصحىٰ ويعالجون أخطاء العامية ولم يمر عصر لم نقرأ عدداً من أسماء الكتب التي تحاول إصلاح الخطأ ومن تلك الأسماء:

حواشي درة الغواص على أوهام الخواص[1]. للإمام الحريري صاحب المقامات يرد فيه بعض الأخطاء.

«**تثقيف اللسان**» للقاضي ابن عمر الصِّقلي من أهل القرن السادس الهجري.

«**الجمَّانة في إزالة الرطانة**» تأليف محمد بن القاضي التونسي من أهل القرن التاسع الهجري.

ولايكاد يمر قرن لم يؤلف فيه عدد من المؤلفات التي تعالج الأخطاء وتحاول الإصلاح حتى إذا ماجاء القرن الحادي عشر وجدنا مؤلفات فيه مثل

(١) اسكندر، عيسى، اللهجة العربية العامية، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، م٣، ١٩٣٦، ص٣٥٢.

www.mtenback.com

«الطراز المذهب في الدخيل والمعرب» لمحمد الحلبي المتوفي عام ١١٤٧هـ «وقصد السبيل فيما في العربية من الدخيل» تأليف محمد الأمين المحبي الدمشقي[١]، وغير ذلك عشرات المؤلفات التي يظهر فيها الاهتمام جلياً بلغة القرآن ومحاولة تجديد شباب العربية حتى تواكب مسيرة الحياة وتؤدي رسالتها صافية نقية من الشوائب قريبة من المنبع الصافي الذي لا تلتاث فيه ألسنة أبنائها عندما يبعدون عن لغة القرآن ويبعدون عن ثقافته العريقة التي حوتها اللغة.

في عصر النهضة :

انتهى الحديث إلى القرن الحادي عشر وأشرنا إلى بعض ما ألف فيه من مؤلفات حول العربية ومايعتريها من أخطاء تأتي على ألسنة العامة. وفي بداية القرن الثاني عشر الهجري وماتلاه من قرون إلى عصرنا هذا هبت على البلاد العربية ريح التجديد وأتت المخترعات وكثرت الوسائل وأقدمها وأهمها في ميدان اللغة والفكر واللسان هي الصحافة التي بدأت في مصر وفي غيرها من البلاد العربية، ونشأة الصحافة كانت ثورة عارمة في الحياة الفكرية والأدبية في بلاد العالم كلها والبلاد العربية جزء منها. وكان لابد أن يكون للاتصال المباشر وغير المباشر آثاره الحسنة ومنافعه التي لا تنكر، مع بعض السلبيات التي لابد منها. ورغم أن ماضي الصحافة حقق فائدة للثقافة والأدب واللغة لاينكرها أحد، إذ حركت عجلة العربية ودفعتها إلى الأمام، وخلصتها من شوائب الأمية التي لامستها في الفترة التي سبقت النهضة العلمية وسبقت عصر الصحافة. إلا أن طبيعة العمل الصحفي جلب معه أضراراً كثيرة. فالصحافة تحتاج إلى السرعة والالتزام بمادة محددة ووقت محدد للصدور أيضاً، وهذه المتطلبات تحتاج إلى كفايات قادرة متمكنة من اللغة تواكب السرعة وتلبي الالتزام حتى تحافظ اللغة على سلامتها والصحيفة على التزامها. ولم يكن ذلك متوفراً في البلاد العربية عندما بدأت بها

(١) أنظر اسكندر عيسى، اللهجة العربية العامية، مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٦٦م م٣ ص ٣٥٥.

www.mtenback.com

صناعة الصحافة. والمتتبع لتأريخ الصحافة ونشأتها يعرف أنها بدأت بأساليب ركيكة هي إلى العامية أقرب منها إلى الفصحىٰ[1].

فكثرت أخطاء الكتاب والمحررين في بداية الأمر وصعب الاستعمال عليهم وتمنع قياد اللغة على كثير منهم، فدخل أساليب الصحافة كثير من الأخطاء والاستعمالات العامية **والركيك**[2] غير البيِّنة وكذلك جاءت التراجم وصيغة الجمل المترجمة بقوالب غير عربية وإن عربت الألفاظ. فتصدى العلماء، وأهل الحمية على لغة القرآن إلى هذا الطارىء الجديد ونهض عدد من الكتاب وألفوا في صحيح العربية وتتبعوا أخطاء الصحافة وأساليب الكتاب، ومن أول من اهتم بتقويم أساليب الجرائد وكتابها وحاول تصحيح مسار اللغة في هذه الوسائل الهامة هو الشيخ إبراهيم اليازجي في كتابه «لغة الجرائد» وعنوانه يدل على مضمونه وفيه قال: (تقدم لنا في الجزء الأول من مجلة الضياء كلام في بيان موضع الجرائد من الأمة ومالها من تأثير في مداركها وأذواقها وآدابها ولغتها وسائر ملكاتها ولاسيما مع كثرتها وانتشارها في عهدنا الحالي حتى أصبحت بحيث تصدر الألوف منها كل يوم وتوزع بين أيدي القراء فيتناول كل قارىء منها على حسب وسعه واستعداده. وليس من ينكر أن ذلك كان سبباً في انتشار صناعة القلم عندنا وتدريب الكتاب على أساليب الإنشاء واقتباسهم صور التراكيب المختلفة وإحياء كثير من اللهجة الفصحىٰ حتى بين عامة الكتاب مما أذن بانتعاش اللغة من كبوتها وإحياء الآمال في عودها إلى قديم رونقها. بل إذا تفقدت الجرائد نفسها وجدتها قد انتقلت إلى تطور جديد من الفصاحة وجزالة التعبير كما تتبين ذلك من المقابلة بين حال الكثير من جرائدنا اليوم

---

(١) انظر دراسة الدكتور محمد الشامخ عن تأريخ الصحافة في الحجاز والنماذج التي عرضها.

(٢) الركيك: هو القليل، ورجل ركيك العقل: قليله. ورجل ركيك أو ركاكه: إذا كان النساء يستضعفنه فلا يهبنه ولايغار عليهن. وفي الحديث: أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن الركاكة

انظر: الأزهري، تهذيب اللغة (ر كّ).

www.mtenback.com

وما كانت عليه عامة الجرائد منذ نحو سنوات أو دونها، والفضل في ذلك ولاشك عائد إلى هذه الكثرة نفسها بما نشأ عنها من المباراة بين الأقلام وازدحام القرائح في حلبات السبق فضلاً عما تهيأ بها من انتشار أسلوب الفصاحة ورسوخ ملكة الإنشاء، بيد أننا مع ذلك كله لانزال نرى في بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذت عن منقول اللغة فأنزلت في غير منازلها أو استعملت في غير معناها فجاءت بها العبارة مشوهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السبك فضلاً عما يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم، والخطأ ولاسيما إذا وقع في كلام من يوثق به فتتناوله الأقلام بغير بحث ولانكير. ولايخفى أن الغلط في اللغة أقبح من اللحن في الإعراب وأبعد من مظان التصحيح لرجوعها إلى النقل دون القياس فيكون الغلط فيها أسرع تفشياً وأشد استدراجاً للسقوط في دركات الوهم. والعجب هنا أنك كثيراً ماترى أناساً من متقدمي الكتاب وذوي القدم الراسخة في اللغة والإنشاء يعتمدون أحياناً على التقليد وربما قلدوا من هو دونهم من أصاغر أهل الصناعة حتى فشا النقل بين تلك الطبقات كلها وأصبح كثير من ألفاظ الجرائد لغة خاصة بها تقتضي معجماً بحاله. ولما كان الاستمرار على ذلك مما يخاف منه أن تفسد اللغة بأيدي أنصارها والموكول إليهم أمر إصلاحها وهو الفساد الذي لاصلاح بعده رأينا أن نفرد لذلك هذا الفصل نذكر فيه أكثر تلك الألفاظ تداولاً وننبه على مافيها مع بيان وجه صحتها من نصوص اللغة وفي يقيننا أن رصفاءنا الأفاضل يتلقون ذلك منا خدمة إخلاص لهم لانقصد بها إلا المحافظة على اللغة وصيانة أقلامهم من مثل هذه الشوائب مع كفايتهم مؤنة البحث والتنقيب في كتب اللغة على ماهو معلوم من وعورة مسلكها.... نسأل الله أن يوردنا جميعاً موارد الصواب بفضله عز وجل وحسن تسديده)[1].

بعد هذه المقدمة الطويلة التي أوردها المؤلف وعلل فيها أسباب تتبعه

(١) اليازجي؛ إبراهيم، لغة الجرائد، ص ٣، مطبعة التقدم، بدون تأريخ.

www.mtenback.com

للأخطاء التي جلبتها الصحافة معها إلى اللغة وخطورة الاستمرار فيها على مضمون اللغة وفصاحة معانيها مقارناً بين الخطأ في الإعراب الذي يجد من يصححه وبين الخطأ في الاستعمال الذي يلتبس على أكثر الناس. أتى إلى الاستعمالات التي جدت فذكرها كما هي في استعمال الصحافة ثم ذكر الصحيح في اللغة فقال:

(من تلك الألفاظ التحوير التي لم يبق كاتب جريدة ولا مؤلف كتاب إلا وردت في كلامه مئات من المرات يريدون بها معنى التنقيح والتعديل والتهذيب وماجرى هذا المجرى وذلك من الكلام على الشروط والمعاهدات والأحكام وأشباهها: ولم ترد هذه اللفظة في شيء من كتب اللغة بمعنى من هذه المعاني إنما التحوير في اللغة التبييض[1] يقال: حوّر الثوب إذا قصره وبيضه ومنه الحوري الدقيق الأبيض وهو لباب البرّ وأجوده وأخلصه وقد حوّر الدقيق إذا بيضه وغالب ألفاظ هذه المادة يرجع إلى معنى البياض فما ضرّ لو استعملوا في مكان اللفظة إحدى الكلمات التي ذكرناها في مرادفها[2].

واستمر اليازجي يتابع أخطاء الجرائد ويرد ماشذ من كلمات عربية إلى استعمالها الفصيح وينبه عليها ويقارن بين مايقول الكاتب ومايريد وبين مايذهب إليه معنى الكلام في أصل العربية، فيقول مثلا في موضوع آخر من كتابه:

(ومن ذلك قول بعضهم مزق الكتاب إرباً إرباً وقطع الحبل إرباً إرباً، أى قطعه قطعة وأكثرهم يقرؤها أرباً أرباً بفتحتين وليس شيء من ذلك بصواب، إنما يقال قطعت الذبيحة إرْباً إرْباً بكسر الهمزة وسكون الراء أي

---

(١) التحوير يأتي بمعنى التبييض كما ذكر المؤلف، ولكن نفي المعني الآخر لامكان له، فقد روى أبو عبيد عن الأصمعي: حورت الخبرة تحويراً إذا هيأتها لتضعها في الملة، فالتحوير في المعاهدات والأحكام ونحوهما هو من هذا الوادي.

(٢) لغة الجرائد، ص٣.

www.mtenback.com

إربا فإرباً ومعنى الإرْب العضو فهو خاص بما له أعضاء ولايجوز استعماله للحبل والكتاب وأمثالها. وأما الأَرَب بفتحتين فمعناه الحاجة)[1].

ولم يكن الصواب حليف اليازجي في كل آرائه التي رآها بل كان هناك من تتبع كتاب لغة الجرائد وصحح الكثير مما جاء فيه[2]، ولكن القصد هو استمرار التصحيح ومساره مع مسار العربية في كل عصورها ولاسيما عندما بدأت طلائع النهضة الحديثة وما أتت به من تغيير يعد أخطر ماواجه العربية ثقافة ولغة وأدباً، فاستمر التأليف في سبيل الإصلاح وألفت عشرات الكتب. ولا نستطيع إحصاءها لكثرتها، ولكن لابأس من ذكر بعضها لمن يريد أن يعرف عن نشاط المؤلفين العرب في العصر الحديث واهتمامهم بلغتهم ومحاولة المحافظة عليها.

من تلك الكتب «**تذكرة الكاتب**». لأسعد داغر و «**عثرات اللسان**، لعبد القادر المغربي «**وقل ولا تقل**» لمصطفى جواد رحمه الله، **ومعجم الأخطاء الشائعة**» لمحمد العناني و«**تقويم اللسانين**» لمحمد تقى الدين الهلالى. ثم «**العربية الصحيحة** «لأحمد مختار عمر، و «**المظاهر الطارئة على الفصحىٰ**» لمحمد عيد و «**الكتابة الصحيحة**» لزهدي جار الله، و بعد ذلك «**لغة الإعلام اليوم بين الالتزام والتفريط** «ألفه إبراهيم دردير وكلها بين أيدي الباحثين اليوم تهدف كلها إلى خدمة العربية ومواكبة سيرها و يصعب الاستشهاد وضرب الأمثلة من كل منها لكثرتها ولأن المادة المطروقة فيها واحدة ولكن نأخذ مثالاً مما أعده الأستاذ صبحى البصام استدراكاً على الأستاذ مصطفى جواد في كتابه «**قل ولا تقل**» يقول البصام:

(نسب المؤلف رحمه الله في مقدمة كتابه أغاليط إلى الدكتور طه حسين وجدها في كتابه الأيام فقال والمتجول بمعنى المجول، أراد أن

---

(١) لغة الجرائد، ص٥.

(٢) انظر كتاب: إصلاح الفاسد من لغة الجرائد لمحمد سليم الجندى.

www.mtenback.com

المتجول غلط وأن الصواب المجول، ولم يذكر سبباً لتغليطه إياه ولاشاهداً على وجه الصواب، وقد سبقه إلى ذلك الأستاذ أسعد خليل داغر في كتابه تذكرة الكاتب فقال «و يقولون، وأخذ يتجول في قراها ولمكاتبنا المتجول وفي كتب اللغة، جول الرجل تجوالاً، ولم يسمع تجويلاً، طوف فالصواب أن يقال يجول ومجّول، لأن تجوّل لم ينقل عن العرب.

قلت : «المتجول صحيح وهو مشتق من تجول الدال على تكرار حدوث الفعل، قد استعمل المرزوقي مصدره في شرح ديوان الحماسة وقال وتستغني عن السعي والتجول معه فتريح نفسك من الحل والترحال في طلبه. أما المجول فصحيحة كذلك وهي من جوّل قال في مختار الصحاح، وجول في البلاد بالتشديد أى طوّف ومن استعمال جوّل قول العديل يخاطب الحجاج:

ها أنذا ضاقت بي الأرض كلها إليك وقد جوّلت كل مكان(١)

و يصح أن يقال جوّال وهو من صيغ المبالغة وفي الأمثال: كلب جوّال خير من أسد رابض، و يصح أن يقال جوّالة وهو من صيغ المبالغة، قال المرزوقي في شرحه قول الشاعر:

في بعض تطواف ابن طعمة آمناً لاقى حمامه(٢)

قال فكأن هذا الرجل كان جوّالة، وقال الزمخشري في أساس البلاغة وجوّال في البلاد، وطوّف وهو جوّالة جوّابة)(٣) .

أظن أن هذا هو ماتحتاجه اللغة لتعيش وتحيا فالاختلاف بين آراء الكتاب في مادة واحدة أخرج لنا استعمالاً واضحاً جلياً وجعل القارىء

---

(١) الأغاني، جـ ٢٢ ص ٣٧٥، ط الثقافة.

(٢) شرح حماسة المرزوقي جـ٢ ص ٩٩٩، تحقيق عبدالسلام هارون ط٢.
والبيت منسوب لكعب بن زهير، ولم أجده في ديوانه ط٢ دار الكتب المصرية عام ١٣٦٩هـ. أما التبريزي فنسبها لمجهول.

(٣) صبحي البصام، لاستدراك على كتاب قل ولا تقل، ص١١، ط١ ١٣٩٦هـ.

www.mtenback.com

يعرف الصحيح في كل صيغة وكيف تستعمل. ولابد من إضافة كتاب آخر من هذا النوع ومحاولة أخذ جانب مما أورده المؤلف حول لغة الصحف والإعلام وماجدَّ فيها من استعمالات. والكتاب هو حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب ومؤلفه الأستاذ أحمد أبو الخضر منسي. وقد ذكر كتاب اليازجي وأثنى على سبقه إلى الاهتمام بالجديد في اللغة وأشار إلى أن اليازجي قد بدأ كتابته وتصحيحاته عندما استوطن مصر عام ١٨٩٤م، وذكر ريادته في تأسيس بعض المجلات كالبيان ومجلة الضياء في مصر ولم يحاول تتبع أخطاء اليازجي ولا الاستدراك عليه ولكنه سلك سبيله وأخذ بمنهج التصحيح وأظهر شيئاً من التواضع عندما ذكر الدافع له إلى صياغة مادة كتابه في الصحف المصرية مثل جريدة الأفكار عام ١٩١٥م والسفور عام ١٩١٦م والأهرام ١٩٢٨م وجريدة المقطم ١٩٥٠م، يقول المؤلف:

(فمن ذلك قولهم تعرفت بفلان ويريدون أنهم صاروا من شخصه على علم وصلة، والحقيقة أنه لم تقم معرفة، ولم يتحقق صلة بتعديتهم الفعل بالباء، فإنك إذا قلت: تعرفت بزيد، كان مرادك أنك سميت أنت بهذا الإسم وعرفت به في الناس. تقول: عرفته بالطول أو بالبياض مثلاً بفتح العين وتشديد الراء إذا نعته بالطول أو البياض. أما معرفة الناس والصلة بهم، فذلك أن تعدي الفعل بإلى فتقول: تعرفت إلى فلان، من لطيف ذلك أن تقول أتيت فلاناً متنكراً ثم استعرفت، أي عرفت نفسي إليه)[1].

هذا نهج الإصلاح الذي ينفع ثقافة العرب ويرقى باللغة العربية إلى مصاف اللغات في الوقت الحاضر ويرد الأخطاء والضعف الذي يعتري اللسان والفكر، والغريب أن بعض المؤلفين في العصر الحديث استغل أسماء الكتب القديمة التي أشرنا إلى بعضها وأوضحنا مناهجها وأغراضها فأوردها محاولاً الإيهام بأن الاهتمام بالعامية قديم قدم تاريخ اللغة نفسها وأن التأليف

(١) أبو الخضر أحمد منسبى، حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب ص٧، مطبعة المدني، ١٩٦٣م.

www.mtenback.com

فيها أمر لاخوف منه ولاخطر، لكنه لم يقف عند هذا الحد، بل أدخل كتب الغربيين ــ رغم إختلافها منهجاً وفكراً وهدفاً عن تلك المؤلفات القديمة ــ وأشار إلى الجميع إشارة مجملة وكأنه لا اختلاف بين القديم والحديث لافي المنهج ولافي الغاية[١].

مؤلفات المستشرقين بالعامية :

أذكر هنا بإيجار بعض كتب المستشرقين ومؤلفاتهم بالعاميَّة العربيَّة مبيناً الاهتمام الأول في عاميات الفصحىٰ ومن أين بدأ وماهى أسبابه. لقد بدأت مؤلفات المستشرقين بالعامية العربية مبكراً ومن أقدمها[٢] :

١ ــ أصول اللغة العربية العامية والفصحىٰ :

ألفه المستشرق الفرنسي الشهير دي سفاري De SAVARIE سنة ١٧٨٤م وقدمه إلى الحكومة الفرنسية وهو عمل مرتبط بسياسة فرنسا في البلاد العربية وكتبه بتكليف من الحكومة الفرنسية وهدفه مساعدة دولته على فهم روح الشعب العربي الأمي الذي يتعامل معه الإستعمار في ذلك الوقت. وقد نُشر هذا الكتاب بعد موت مؤلفه وعهد بنشره وتنقيحه إلى ميخائيل الصباغ أحد مدرسي العاميَّة في فرنسا في ذلك الحين.

٢ ــ أمثال المكّيّين :

ألفه المستشرق سنوك هورغرونجي الهولندي HURGRONGE

---

(١) اسكندر، عيسى، اللهجة العربية العامية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في مقالتين تحت هذا العنوان، الأولى في رجب ١٣٥٣هـ، الموافق اكتوبر ١٩٣٤م، والثانية في ١٣٥٥هـ الموافق ١٩٣٦م، وفيها أورد أسماء الكتب التي تناولت اللغة تصحيحاً وتصريفاً في القديم والكتب التي ألفها المستشرقون عن العامية خاصة وربط بين النوعين رغم اختلافهما غاية وأسلوباً.

(٢) للمزيد من الاطلاع على أسماء الكتب وأسماء مؤلفيها، انظر المقالتين السابقتين، وانظر، تأريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر للدكتور نفوسه زكريا سعيد.

www.mtenback.com

٣ ــ بحث في لغة نجد الحالية :

كتبه المستشرق هس J. HESS وقدمه لمؤتمر المستشرقين في أثينا في شهر نيسان عام ١٩١٢م.

٤ ــ الكلام الدارج بمصر القاهرة :

بحث قدم لمؤتمر لندن في سنة ١٨٩٢م وذكر فيه مؤلفه كثيراً من أزجال العوام وألحانهم وموشحاتهم وأدوارهم.

٥ ــ كتاب الفوائد في العوائد والقواعد والعقائد :

ألفه دسبارمي F. DESPERMET وهو باللغة العامية وضمنه أزجالاً وأغاني وخرافات وطبع في الجزائر عام ١٩٠٥م.

٦ ــ لغة الجزائر العامية :

تأليف هوداس HOUDAS

٧ ــ العربية ولهجاتها :

تأليف الكنت دى لاندبرج قدمه للمؤتمر الدولي في الجزائر عام ١٩٠٦م.

٨ ــ مباحث عامية :

تأليف جيوسب فورلاني DOTT. GUISEPPE FURLANI

٩ ــ قواعد في اللغة العامية المصرية :

تأليف الأمريكي فسك FASK

١٠ ــ نصوص عربية في لغة العرائس :

ألفه المستشرق مخيمليانوا سنطون MAXIMILIANO X SANTON

www.mtenback.com

ونشره في عام ١٩١٠م بعد تنقيحه وكتابته بالحرف المغربي والحرف الأفرنجي.

١١ ــ مواد لدرس لهجة عرب البدو في افريقية المتوغلة :

نشر في برلين سنة ١٨٨٩م وهو من تأليف جورج كمبغماير G. KAMPFFMEYER وللمؤلف أيضاً كتاب بعنوان :

١٢ ــ لهجة قبائل اليمن وماجاورها من جنوب الجزيرة العربية :

١٣ ــ اللهجة العربية العامية في أورشليم :

ألفه الدكتور مكس لوهر MAX LOEHR عام ١٩٠٥م، وهو يميز بين لهجات القدس والشام ومصر.

١٤ ــ ثلاث مقالات في اللهجات العامية :

تأليف الدكتور A. FISHER نشر في برلين عام ١٨٩٨م وعام ١٨٩٩م.

١٥ ــ معجم اللهجة المغربية العامية :

ألفه الأستاذ بوسييه BAUSSIER وكان أكثر مؤلفاته في اللهجة العامية في الجزائر والمغرب وتونس.

١٦ ــ حكايات وأشعار تونسية :

ألفها الأستاذ هنس ستومه HANS STUMME

١٧ ــ لهجة عرب هوارة :

للمؤلف مع أستاذه لبرت سوسن A. SOCIN

www.mtenback.com

١٨ ــ أشعار البدو بين قطري تونس وطرابلس الغرب :

المؤلف نفسه واعتنى بها الأستاذ CARLO. A. NALLINO ونشرها سنة ١٨٩٥م.

١٩ ــ أشعار قومية عربية :

تأليف الأستاذ أنولتمان E.LITIMANN وطبعه سنة ١٩٠٢م.

٢٠ ــ حكايات عربية عصرية :

بلهجة القدس جمعها المؤلف نفسه ونشرها عام ١٩٠٨م. ولا أريد الإطالة في ذكر أسماء الكتب التي بدأت بالعامية وألفها المستشرقون النصارى، واليهود ومن كان يعمل معهم من العرب لكن أردت التأكيد على تواريخ نشرها ووضعت أمام كل كتاب اسم مؤلفه، ثم متى نشر وأين، ولعل محبي العامية الذين يربطون بين الاهتمام بالعامية وبين الأصالة ومنابع التراث والجذور التأريخية العربية يُقرُّون بأصالة هؤلاء المؤلفين و يعترفون لهم بالحرص على منابع الثقافة والجذور التأريخية العربية فهم أسبق منهم وأقدم بالاهتمام و بإدراك قيمة الفكر العامي وأصالته.

وحتى يتضح هدف الغرب المحدد فإن كل الكتب السابقة ألفت إما قبيل الإستعمار الفعلي للبلاد العربية وإما أثناء الإحتلال وكلها بلا استثناء توضح حقيقة أطماع الغرب وأهدافه المحددة من نشر العامية في الوطن العربي كله وقد غطت المؤلفات التي ذكرنا بعضاً منها أجزاء البلاد العربية بلا استثناء وركزت اهتماماً خاصاً على البلاد التي كانت تخطط لاحتلالها[1] . وكما أشير آنفاً فبعضها ألف وقدم إلى وزارات الخارجية

---

(١) ذكر المستشرق سايمون جارجي في بحث ألقاه في ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي المنعقدة في قطر عام ١٤٠٥هـ أسماء سبعة من المستشرقين الألمان الذين خصوا الأدب العراقي بدراساتهم فنهم ادوار ساخو ED. SACHAU الذي نشر مجموعة عن =

www.mtenback.com

للبلدان والدول ذات الإهتمام أو بطلب منها مثل عمل الكونت دى لاندنبرج الذي قدمه إلى وزير خارجية بلاده، ومثله عمل السياسي البريطاني اللورد دفرين الذي وجهه إلى وزير خارجية بلده أيضاً ومثلهما فعل دي سفاري الفرنسي عندما كتب كتابه المشار إليه آنفاً.

ولم أذكر الكتب التي ألفت بالعامية بعد أن شرع المستشرقون بالدعوة لها وبدأوا الطريق وحققوا مأربهم وهو إستعمار البلاد العربية الإسلامية الذي كان هو هدفهم من نشر العاميات. أما هدف نشر العامية اليوم فهو بقاء البلاد العربية منفصلة ضعيفة حتى يقضى على مابقى لها من رابطة وصلة تمثلها اللغة الفصحىٰ. وتلامذة المستشرقين من أبناء الأمة العربية قد قاموا بالمهمة الآن خير قيام مما أربى على جهود الأجانب الغربيين. لكن الأجانب يعملون بتخطيط وأهداف معروفة وهؤلاء يعملون بلا أهداف وبلا تخطيط.

= الأدب الشعبي العراقي في عام ١٨٨٩م وتبعه البرت سوسين وشتومه نشرا مجموعة عنوانها ديوان وسط الجزيرة في عام ١٩٠١م، وفي عام ١٩٠٢، ١٩٠٣م نشر «بروثومايستر» حكايات من العراق وبعد ذلك بما يقرب من ثلاثة عقود أى عام ١٩٠٣م نشر «فرانزها يتريش فايساخ» دراسة في فنون العراق وقد سبقه مستشرق آخر هو هليموت ريتر» بدراسات مابين النهرين، وذلك عام ١٩٢٠م، ثم جاء ويليم ايلرس سنة ١٩٣٥م فنشر أغاني عربية من العراق».

انظر البحث الذي قدمه المؤلف إلى ندوة التخطيط لجميع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي، في ١٩٨٥/١١/٤م الموافق ١٤٠٥/٢/١١هـ.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفصل الثاني

بداية الأهتمام بالعامية

في الجزيرة العربية

كانت مصر والشام مسرحاً للدعوة السافرة إلى العامية وكان الألمان والانجليز الموظفون الرسميون للدولة البريطانية في مصر هم مخططي الدعوة والناشرين لها، وقد انضم إليهم عدد من رجال الفكر والأدب من العرب في البلدين (مصر والشام)، فقامت معركة حامية بين أنصار العامية ودعاتها من جهة وبين أنصار الفصحىٰ المدافعين عنها من جهة أخرى. وقد تصدت لأهداف الدعوة ومراميها أقلام الغُيُرُ من أبناء القطرين، واستطاعت أن تسكت الدعوة وتكشف أخطارها وتظهر أخطاءها.

وقامت دراسة علمية تناولت الدعوة إلى العامية في مصر ووضحت ملابساتها وأبعادها الثقافية والسياسية[1]، وليس هناك ضرورة لذكر ماقيل عن هذه الدعوة في مصر. ففي تلك الدراسة غنى لمن يريد الإطلاع على الأبعاد والمرامي التي كانت تستهدف الأمة العربية.

لكن الذي لابد من ذكره هو صدى الدعوة إلى العامية في مصر وما أحدثته في البلاد العربية وخاصة في الجزيرة العربية التي كانت في ذلك الوقت بعيدة عن أنظار الاستعمار وعن أطماعه وبعيدة عن مآرب أصحاب الدعوات إلى العامية، لأن مصر أثناء قيام الدعوة فيها كانت هى القلب الذي يضخ دم الثقافة الحديثة والأدب الحديث والقديم على السواء والفكر

(١) انظر، تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، نفوسه، زكريا سعيد، سيشار إليه فيما يأتي بتأريخ الدعوة إلى العامية.

www.mtenback.com

عامة وينشرها في أجزاء الوطن العربي من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه.

والأدباء والعلماء وأهل الرأي والفكر في البلاد العربية كلها يقيمون جسوراً ثقافية متينة بينهم وبين مصارد الثقافة في مصر على اختلاف مشاربها ومنازع عشاقها وأذواقهم.

وكل من درس سيرة أدبائنا في الحجاز يعرف أن مصدر ثقافتهم كان من مصر وأن الإطلالة الأولى لهم على الجديد في الثقافة بعامة والعلوم العصرية بخاصة كان مصدرها مصر[1]، ولا يحتاج أحد إلى كثير عناء لإثبات ذلك ولايجادل أحد بعدم صدق هذا القول. فالكل يعرفه، والكل يعرف أن أول البعثات في العهد السعودي كانت تتجه إلى مصر خاصة. وأن الصحف التي تباع وتقرأ في مكتبات مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة على قلتها هى صحف ومجلات مصر. كانت مصر والشام هى المنفذ الذي يؤمه أهل الجزيرة الأغنياء والمثقفون منهم للأصطياف والعلاج وطبع الكتب وشرائها.

وكانت المعارك الأدبية التي قامت بين شعراء مصر وأدبائها هي الزاد الذي غذى فكر جيل الرواد من الأدباء في المملكة العربية السعودية سواء كان ذلك عن طريق مباشر أو عن طريق غير مباشر[2]. وأكثر هؤلاء الأدباء يعيشون معنا اليوم ويكتبون لنا عن علاقتهم بالأدب والفكر والثقافة وأثر ثقافة مصر عليهم. وعن قراءاتهم الأولى في أدب المجلات والصحف المصرية والشامية.

---

(١) انظر ماكتب عزيز ضياء عن مكونات الثقافة الأولى للجيل الماضي، في تقديمة لمحاضرة حمزة شحاته «الرجولة عماد الخلق الفاضل» ص١٦ تهامة ١٤٠١/١٩٨١م.

(٢) انظر ماكتبه عزيز ضياء عن قراءة الجيل الأول في المملكة العربية السعودية للصحف والمجلات المصرية في وقت اشتداد الدعوة إلى العامية فيها. في كتابه عن صديقه بعنوان «حمزة شحاته» من اصدارات المكتبة الصغيرة، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

www.mtenback.com

يقول أحد رجال الرعيل الأول من أدباء المملكة: (أنا مولع بالقراءة وكنت أذهب إلى مكتبة الثقافة في مكة، وأطلب منهم الصحف المصرية وأقرأها بنهم، وكانوا يزودوننا بالمجلات. لقد كانت أول معرفتي بمصر عن طريق الصحف المصرية....والصحف التي تصل مكة منها المصور والهلال ومسامرات الحبيب والأهرام والمقتطف والرسالة وهذه بالذات كان لها دور مؤثر في فكر الشباب المتجه للأدب وكذلك مجلة الثقافة التي كان يصدرها المرحوم أحمد أمين في مصر[1].

والأهم من ذلك أن بعض من تولى تحرير الصحف الأولى في الجزيرة كان من أهل الشام[2]. ومعنى هذا أن مايحدث في الشام ومصر لابد أن يكون له صدى قوياً في انطلاق الثقافة والأدب لدينا، وسيؤثر الاتجاه الثقافي بكل محاوره في البلاد العربية في الاتجاه هنا بدون شك.

والدعوة إلى العامية في مصر وفي صحافتها كانت من القوة والظهور والطرح الجريء بمكان بحيث لن تخفى على من له اهتمام بالثقافة العربيَّة ونشاطها في ذلك الوقت وكان لابد أن يتأثر بتلك الدعوة بعض من كان يعيش في الجزيرة والخليج من الأدباء وأهل الاهتمام بمسار الفكر.

والاهتمام الذي أحدثته حركة العاميَّة ونشاطها في بلاد الشام ومصر على الجزيرة العربية لم يكن مباشراً ولا ظاهراً، ولكنه كان تأثيراً خفياً لطيفاً مأخذه، لأن الذين دعوا إلى العامية في مصر قد أكثروا من ترديد القول بأن العاميَّة موروث محلي لكل قطر عربي يجب الاهتمام به ورعايته وحفظه وعدم تضييعه ووصفوا العامية بأنها ألصق بحياة المجتمع الذي تسود فيه، وأشاروا في الكثير مما قالوا إلى أن يكون لكل مجتمع اهتمام بتراثه ومأثوره العامي فالعامية في رأيهم أوفى تعبيراً وأدق معان وأحلى ألفاظاً[3].

(١) العيسى، مقبل، ضيف الجزيرة، الجزيرة، عدد ٤٧٥٤ في ١٤٠٦/١/٢٠هـ.
(٢) الصحافة في الحجاز ص٤٤، ١٠٠، الشامخ، محمد عبدالرحمن، دكتور.
(٣) تار.يخ الدعوة إلى العامية، ص١١٩.

www.mtenback.com

وقد يكون هذا هو الأثر غير المباشر الذي حرك الاهتمام بالعامية في الجزيرة. لكن الذي لاشك فيه أن الاهتمام بالشعر العامي في بدايته كان بعيداً كل البعد عن مضمون الدعوة إلى العامية وإحيائها، الذي حدث في مصر والشام. والذين اهتموا به كانوا بعيدين عن فهم الدعوة ومراميها. والأمر الذي دفع بهم إلى تدوين أدب العامية إنما هو تأثير غير مباشر. وشعور خفي غير مدرك في واقع الأمر، عكسته الأحداث من حولهم فانعكس على إهتمامهم دون قصد.

وهذا الفصل من البحث سينحو منحى المؤرخ لبداية الاهتمام بشعر العامية «المعروف بالشعر النبطي» ولايعني ذلك ربط بداية الاهتمام به في الجزيرة العربية مع أهداف الدعوة إلى العامية المعلنة في مصر والشام. فالبواعث الظاهرة للاهتمام بالشعر العامي هنا مختلفة عن بواعث تلك الدعوة هناك.

الشعر العامي النبطي :

مرت الجزيرة بعصور تعاقبت عليها أشبهت عصور ماقبل الإسلام. انتشرت فيها العامية وغطت كل مجالات الحياة وبعد الناس عن اللغة العربية وعادت حياتهم في أغلب قيمها ومفاهيمها إلى مايشبه حياة العرب في الجاهلية، لولا تمسكهم بعرى التوحيد والإيمان على مافي ذلك من جهل، وبعد عن حقيقة الدين الصحيح. ومنذ القرن الحادي عشر ومابعده ثارت الفتن الداخلية بينهم وعادت الحروب كما كانت في عهدها الأول. وأصبح مجتمع الجزيرة قبيلة تحارب قبيلة وقرية تصول على قرية[1].

وشحت مع ذلك موارد الرزق وكثر العوز والفاقة بين الناس، فظهر الأجواد وأهل الفضل، وبرز رجال وأسر عرفوا بالكرم والشجاعة وتميز فارس

(١) انظر الفاخري، محمد بن عمر، الأخبار النجدية، تحقيق عبدالله الشبل ص٩١، في مواضع كثيرة، وانظر أيضاً، ابن بشر، عنوان المجد في تأريخ نجد.

www.mtenback.com

القبيلة وشيخها وشجعانها. كما تضوع الفقراء والمحتاجون وصوروا البؤس والفقر والشح وآلام الحياة ووجدت البطولة والشجاعة الفردية طريقها إلى ميدان الحياة الواسع. وكان لابد من وصف ذلك كله شعراً سواء وصف البطولات والإعجاب بها أو الثناء على أهل الكرم والجود ورد الجميل لأهل الإحسان، وتصوير الحياة بكل جوانبها النافعة والضارة. وأتاح الزمن فرص الظهور والتميز. والعرب - أمة شاعرة لا تترك الشعر كما في الأثر حتى تترك الإبل الحنين[1]. وقد حالت الأمية والعامية دون مجال القول الصحيح الفصيح فقال الناس شعرهم بلغتهم الدارجة وصور الشعراء بعاميتهم فضائل هذا المجتمع ومكارم أخلاقه. لأنهم يحسون و ينفعلون بالبطولات والكرم والجود ولايجدون القدرة على التعبير إلا فيما يعرفون من عامية. فعبروا عن انفعالهم ووصفوا شعورهم بعاميتهم وقال الشعراء شعراً جميلاً قوياً صادقاً بالعامية لأنهم عبروا عن لواعج صدورهم وزفرات وجدانهم فانتشر شعر النبط ببوادي الحجاز انتشاراً واسعاً وانتقل إلى وسط الجزيرة وأطرافها وكثر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين كثرة مفرطة وتميز شعراؤه بالجودة الفنية. وسنفرد له مكاناً في هذا البحث ونعطيه حقه إن شاء الله.

وعندما جمع الله شمل الأمة على الحق والصدق، ووحد الله أكثر أجزاء الجزيرة العربية في دولة واحدة وأخمد الفتن، وجعل أهلها يعودون إخوة متحابين متساوين في الحقوق والواجبات يرفعون شعار الأمة الواحدة كما أراد الله لها أن تكون، يوم أنزل كتابه وبعث نبيه. عند ذلك أصبح الشعر العامي ماضياً انتهى دوره البطولي وانتهى الإهتمام به ولكنه بقى صورة يعكس الماضي الذي ولّى بلا رجعة وغير مأسوف عليه.

وكان عامة السكان في المملكة عند بداية تكوينها أميين والقلة المتعلمة منهم كان تعليمها دينياً وحسب. وعندما استقرت الأمور واستتب الأمن

(١) الشعر طبيعة في نفس المرء، والعرب الذين عبروا عن وجدانهم بالشعر العامي كانوا لايعرفون غيره ولم يكن لهم وسيلة للتعبير عن واقع حياتهم غير العامية لبعدهم عن التعليم.

www.mtenback.com

واجتمعت الكلمة، ظهرت بوادر التعليم وانتشرت دور العلم واتجه الناس إلى منبع اللغة الصافي وبقي الماضي القريب عالقاً في الأذهان ولاسيما أن الكثير من السكان أنصاف المتعلمين يحفظون الشعر العامي ويروونه فأصبح يشكل مرحلة انفصلت عن حاضرهم أو كادت وظهرت في مصر الدعوة إلى العامية والاهتمام بالتراث العامي فكانت ايحاء غير مدرك صداه فزامنها اهتمام بعض الأدباء من وسط الجزيرة بجمع الشعر العامي ونشره وظهرت في الأفق بوادر الاتجاه إلى جمعه وتدوينه[1] ، وأول من فعل ذلك خالد الفرج الأديب المعروف الذي قام بنشر أول ديوان في الشعر العامي في الجزيرة العربية وذلك عام ١٣٣٩هـ[2] ، وهو ديوان ابن عمه عبدالله الفرج[3] ، وكان خالد الفرج ذا صلة بالهند وممن عمل فيها[4] ، ومثله كان ابن عمه عبدالله الفرج (صاحب الديوان)[5] ، وكانت بريطانيا تحكم الهند في ذلك الوقت وكلنا يعرف دورها في سبيل نشر العامية في مصر والبلاد العربية الأخرى وجهودها في محاولة زحزحة العربية الفصحى من مكانها أمام مدّ اللهجات العامية المحلية.

وفي الوقت نفسه كان الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد يتتبع مافي الجزيرة من أخبار الأماكن والآثار وكان ذا معرفة بها عرف الجزيرة وجال

---

(١) انظر مقدمة خالد الفرج لديوان ابن عمه عبدالله الفرج، ط٢ في ١٣٧٣هـ، نشر ذات السلاسل، الكويت.

(٢) انظر مقدمة ديوان النبط، جـ١، ط ١٣٧١، مطبعة الترقى، ١٩٥٢م.

(٣) ترجم عبدالله بن خالد الحاتم لعبد الله الفرج في كتابه خيار مايلتقط من شعر النبط ووصفه بأديب الكويت، انظر جـ٢، ص٢٠٦ ط١٣٧٢هـ، ١٩٥٢م.

(٤) انظر الجزيرة، عدد ٤٤٧٢ في ١٥٠٥/٤/٤هـ بقلم حمد الجاسر عن خالد الفرج.

(٥) وصفه خالد الفرج بمقدمة ديوان النبط، ط ١٣٧٢هـ بأنه أدخل على الشعر النبطى كثيراً من التجديد فأوجد أوزاناً اقتبسها من الشعر الهندي وموشحات، ولإتقانه صناعة الموسيقى استخلص مزيجاً من الألحان الحضرمية المشوبة بالألحان السودانية ومزجها بالأنغام الهندية، وغنى بها على العود والكمان، وهي هذه الأنغام الكويتية المنتشرة في الخليج [الفارسي] ولا تزال الإذاعات ترددها كل حين، انظر مقدمة ديوان النبط.

www.mtenback.com

في أنحائها إبان الاضطراب والتنازع السياسي[1]، وكان شاعراً في العامية في أول حياته ثم أحسن الفصيح بعد أن استوطن الحجاز[2] وأنزله منزلة العامي وقد غلب اعتناؤه بالفصيح على العامية وشعرها الذي كان ينشده في بعض الأوقات.

فجمع ابن بليهد شيئاً من الشعر النبطي العامي وضمنه ديوانه «ابتسامات الأيام» الذي طبع على نفقة ابن سليمان الخاصة»[3]. وكذلك استشهد في كتابه صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» بشيء من الشعر العامي.

والحقيقة التي يدركها الباحث أن غرض ابن بليهد من ذكر الشعر العامي كان غرضاً علمياً بحتاً فهو يتتبع في بحثه أسماء المنازل والديار في الجزيرة وكان هذا هو الباعث له على تأليف كتابه، حيث لاحظ أن بعض أسماء المواقع قد تبدل وتغير أو تكرر في أكثر من مكان وذكر اسم الموقع في الشعر العامي فأخذ النص وأورده شاهداً على مايذهب إليه، كما أشار إلى ما أصاب أسماء الأماكن من تبدل وتحول معتمداً على أبيات من العامية[4].

أما ديوانه «ابتسامات الأيام» فهو شعره هو لأنه كما سبق كان يقول الشعر العامي قبل أن يقول الشعر الفصيح وعندما جمع شعره العربي الفصيح وشحه بشيء من شعره العامي وهو قليل لايقاس بالفصيح لاسيما إذا أخذنا بالاعتبار أنه نظم العامي وهو في الثانية عشرة[5] وتأخر كثيراً قبل أن ينظم

(١) انظر صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، جـ٢، ص١٠٤.

(٢) كان يقيم في المدينة المنورة قبل توحيد الجزيرة جاراً لبني علي من حرب انظر صحيح الأخبار، جـ٢ ص١٠٥.

(٣) انظر مقدمة صحيح الأخبار، وكانت طبعة هذا الديوان سنة ١٣٧١هـ.

(٤) انظر مثال ذلك في كتاب صحيح الأخبار، جـ٣، ص٢٧٢، ط٢ في ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٥) الشيخ محمد بن عبدالله بليهد أثارة الأدبية تأليف الدكتور محمد بن سعد بن حسين ط١ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م جـ١، ص٣٣٤.

www.mtenback.com

الفصيح ومع هذا فقد جمع شعره الفصيح ولم يجمع من العامي إلا نماذج قليلة[1].

ويعدُّ عمل ابن بليهد عملاً جيداً وجديداً ومنهجاً محموداً للاستفادة من العامي في حدود مقتضيات المعرفة و بيان الحقيقة وهو بحث علمي منظم يدفع صاحبه إلى تلمس سبيل الوصول إلى الحقيقة والمعرفة مجرداً عن أي غرض آخر ولم يقصد إلى نشر العامية أو تعميمها أو تفضيلها على الفصيح.

وابن بليهد أديب اختار تسجيل شعره العامي فيما خلف من آثار وقد سبقه وعاصره شعراء في الفصيح والعامي، أهملوا العامي ولم يهتموا به ولم ينشروه. منهم على سبيل المثال الشاعر الكبير محمد بن عثيمين والشاعر[2] المبدع حسين سرحان[3] وغيرهما لأنهم كانوا يقولون العامي للتفكه ولايرضون أن ينسب إليهم شيء منه، ولأنهم يعرفون أن قيمة الشعر العامي قيمة وقتية وروايته شفوية وليس من أهدافهم تدوينه أو كتابته.

---

(١) نظم العامي في سن الطفولة المتأخرة وأقدم قصيدة عامية سجلها في ديوانه إبتسامات الأيام، نظمها وعمره سبع عشرة سنة في عام ١٣٢٧هـ ١٩٠٩م أما أول قصيدة فصيحة نظمها فكانت في عام ١٣٣٧هـ ــ ١٩١٨م، ولم يسجل في ديوانه غير منتخبات من الشعر العامي بلغت خمس عشرة قصيدة.
المصدر السابق ص ٢٨٦.

(٢) ذكر محقق الديوان أنه تعاطى القريض باللغة العامية وكان يسامر الشعراء العوام ولم ينظم بالشعر الفصيح حتى بلغ الخمسين من العمر.
انظر مقدمة الديوان، تحقيق سعد بن رويشد ص٢٠.

(٣) انظر ديوان حسين سرحان «أجنحة بلاريش» بيروت بدون تأريخ وديوانه الثاني «الطائر الغريب» من منشورات النادي الأدبي في الطائف عام ١٤٠٢هـ ولم يضمنها شيئاً من شعره العامي.

www.mtenback.com

ابن سليمان والعامية :

ربما بدا للوهلة الأولى أن الاهتمام بجمع الشعر كان مبادرات فردية من قبل المعجبين به أو من قبل الشعراء البدعين أنفسهم إلا أن البحث ساق إلى أن هناك اهتماماً منظماً وأن هناك شخصية كبيرة تقف وراء نشر الشعر العامي وتهتم به، هي شخصية الشيخ عبدالله بن سليمان. والشيخ عبدالله بن سليمان نفسه كان قد بدأ حياته العملية في الهند وكان ممن يعيش في كنف ابن فوزان رئيس تجار العرب هناك[1] وهناك اتصل بخالد الفرج الذي كانت له مطبعة واهتمام بالشعر العامي كما سبقت الإشارة.

وعندما تولى الشيخ عبدالله بن سليمان الإشراف على الشؤون المالية في الحجاز دعا خالد الفرج إلى جواره بمكة واستقر فيها وطلب منه القيام بطبع ونشر الشعر العامي في ١٣٧١هـ وقد سبق تكليف خالد الفرج هذا جمع للشعر العامي في وسط الجزيرة تحت إشراف ابن بليهد حيث أمر ابن سليمان الباحثين بحصر الشعر العامي وجمعه واستعان الباحثون بحفّاظ هذا الشعر ورواته ونقلوا كل ماكان يعرفه هؤلاء الحفاظ، واستدعي بعض هؤلاء الرواة من موطنه ليقيم أياماً في مقر الجمّاع الذين أرسلهم ابن سليمان حتى يفرّغوا كل محفوظاتهم في سجلات ترسل إليه تباعاً ليأمر بإرسالها وتزويد المؤلف بها لتستمر حركة النشر والطبع للتراث العامي. وقد حدد للمؤلف أربعين شاعراً أمره بجمع شعرهم[2] وقال له: (إنى سأمدك بما أستطيع الوصول إليه من هذا التراث وعليك ترتيبه وشرح كلماته وترجمة شعرائه والإشراف على طبعه وتصحيحه. وبالفعل فقد نهض ابن بليهد بذلك في فترات الربيع التي يستقر فيها في «الشعراء» فاستعان ابن بليهد بزائريه بحكم صلاته القوية إضافة إلى خبرته بهذا الأدب ومحفوظاته الكثيرة، وكان ممن جمع محفوظهم من هذا الشعر الشاعر الراوية المعروف ابن عويويد وكتب

---

(١) الجاسر، حمد، حديث حول الشعر العامي، الجزيرة، عدد ٤٤٧٢ في ١٤٠٥/٤/٤هـ.

(٢) ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، ضيف الجزيرة، الجزيرة عدد ٤٤٦٧ في ١٤٠٥/٣/٢٩هـ.

www.mtenback.com

منه كل مالديه من شعر ابن سبيل وراكان بن حثلين وغيرهما، والمرحوم عبدالعزيز بن عبود بن فائز المعروف بلقبه «رضا»... فمكث عنده في «الشعراء» اسبوعاً أكمل فيه بقية شعر ابن سبيل كما أخذ ابن بليهد عن آخرين و«كنت[1] أقوم بتفريغ كتابته في سجل كبير، وبعد أن اكتمل السجل أخذه ابن بليهد إلى مكة المكرمة وأعطاه ابن سليمان الذي أوصله إلى خالد الفرج وكان هذا العمل فاتحة الطريق إلى جمع هذا التراث)[2].

أول مايلفت النظر اختيار ابن سليمان لأربعين شاعراً من شعراء العامية، العدد الذي بنى عليه محمد بن سلام الجمحي طبقات كتابه (فحول الشعراء). وقد شرع المؤلف بنشر هذا العمل إنفاذاً للتكليف الذي كلف به، وخرج الجزء الأول وفيه الطبقة الأولى وهم أربعة شعراء طبقاً لتخطيط ابن سلام وتقسيمه، وهم حميدان الشويعر ومحمد بن لعبون وعبدالله بن ربيعة وعبدالله بن سبيل[3]. ثم تلاه الجزء الثاني. وقد اقتصر اختياره في كلا الجزأين على شعراء الحاضرة من أهل نجد، وهذا دليل على أن خالد الفرج لم يخرج عما قدم له ابن سليمان من مسودات مختارة من الشعر العامي في وسط الجزيرة.

وماكادت تخرج هذه الطبعة من عمل ابن سليمان حتى ثارت ثائرة العرب في الشام الذين كانوا يعرفون دسائس دعاة العامية عندهم وأهدافها ويرون في نشر الشعر العامي مشابهة لها، وثارت المجامع اللغوية العربية ومجلاتها، وأدركت خطورة هذه البادرة على مسير الثقافة العربية الإسلامية لاسيما أنها أتت من قلب الجزيرة العربية الذي كان يعرف عن أهلها قبل

---

(١) الكلام للشيخ سعد بن عبدالله بن جنيدل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ديوان النبط، جـ١ ط١، ١٣٧١/١٩٠٢م صدر بهذا النص: جمع ورتب وطبع بإرشاد وأمر صاحب المعالي الشيخ عبدالله السليمان الحمدان وزير المالية بالمملكة العربية السعودية.

www.mtenback.com

سنوات قليلة الترفع عن ذكر الشعر العامي في مؤلفاتهم، عندما يصفون المعارك التي يسجلها التأريخ ويشارك فيها الشعر الفصيح والعامي[1].

ونتيجة لجهود ابن سليمان هبت أقلام الغُيرُ على لغة القرآن وأخذت تندد بهذا العمل وتدعو لحربه والحذر منه وتبنت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق موقفاً صارماً ضده وضد مؤلفه وجامعه[2] فانكسر خالد الفرج نتيجة لهذا الموقف الذي اتخذه مجمع اللغة العربية بدمشق وعبرت عنه مجلته بقلم رئيس تحريرها[3] حيث ذكر ديوان النبط وعرف به وبمؤلفه ثم قال: (ونشهد لوجه الله شهادة خالصة إننا قرأنا هذا الديوان من بابه إلى محرابه، وتحملنا في ذلك مشقة كبيرة، ولكنا لم نجد فيه شيئاً يتنعم به الفكر أو القلب، وقد تعجبنا كثيراً من قول جامع الديوان في مقدمته «وبعد فلابد لمن يدرس الأدب العربي وتأريخه وتطوراته أن يبدأ بدراسة الأدب العامي في نجد في الوقت الحاضر لأنه صورة صادقة على ما كان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي» لا والله، ليس هذا الأدب أدب التطور، ولكنه أدب

---

(١) انظر عنوان المجد في تاريخ نجد جـ٢، ص١١٨ عندما ذكر وفاة الإمام تركى بن عبدالله قال: وقد رثاه ــ يعني الإمام تركى بن عبدالله ــ عدد من الشعراء لكن ليست على اللفظ العربي، فلا تليق بهذا الكتاب، وكرر مثل ذلك في مواضع من كتابه.

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٢٨، جـ٢، سنة ١٩٥٣م ص٣٠٢، وحمد الجاسر حديث حول الشعر العامي، الجزيرة عدد ٤٤٧٢ في ١٤٠٥/٤/٤هـ.

(٣) ذكر الشيخ حمد الجاسر في مقال كتبه في جريدة الجزيرة عدد ٤٤٧٢ في ١٥٠٥/٤/٤هـ أن الدكتور منير العجلاني كان يتولى رئاسة تحرير مجلةالمجمع العلمي في دمشق في ذلك الوقت. أما ما في المجلة فهو أن الدكتور العجلاني كتب عن ديوان النبط وكتابين آخرين غيره هما فلسفة غاندي الاقتصادية والملكية في الإسلام ووقع تعريفه ونقده لهذه الكتب في مجملة المجمع باسمه الصريح «الدكتور منير العجلاني». وفي مكالمة هاتفية معه أجراها أستاذنا الدكتور محمد الصباغ يوم السبت ١٤٠٦/١٠/٨هـ الساعة الثامنة مساءً في الرياض للتأكد من ذلك ذكر له الدكتور العجلاني: أنه لم يتول رئاسة تحرير مجلة المجمع وإنما كان المرحوم محمد كرد علي رئيس المجمع يكلفه بنقد بعض الكتب والتعريف بها، وقد اعتمدنا على ما ذكر الشيخ الجاسر في ذلك ولم نعلم إلا بعد أن انتهت المطابع من طبع هذا الكتاب فوجب التنويه وذكر الحقيقة كما قالها الدكتور منير العجلاني.

www.mtenback.com

التدهور... وحرام أن يشبه به شعر الجاهلية، وحرام أكثر من ذلك أن يطبع مثل هذا الزجل الغث للفخر... فما أجد لطبعه إلا فضيلة واحدة: العلم به، للحذر منه. إنه أدب العامة أدب الإنحطاط الذي يوجد مثله في كل قطر ولم توجد المجامع اللغوية إلا لتنقذ الشعوب من هذا اللون من الأدب)[1].

وكان خالد الفرج رحمه الله ذا اهتمام بقضايا العرب الفكرية والأدبية وله محاولة إصلاح نشرها بعنوان (علاج الأمية في تبسيط الحروف العربية) صبّ فيها جلّ اهتمامه على مشكلات الحرف العربي أمام الآلات الطابعة والكاتبة ومايكلف ذلك من جهد وعمل عندما يراد صف الأحرف العربية، يقول عن ذلك: «تكون المطابع العربية محتاجة إلى عمال أكثر عدداً وأكثر مهارة لتعدد حروفها وزياداتها مما يسبب زيادة النفقات وبطء العمل كما أن المطبوعات تستنفد ورقاً أكثر»[2] ثم تعرض في مقالته للنطق بالكلمات وصعوبة التهجي والأخطاء الإملائية التي يقع فيها بعض الناشئة وأرفق في نهاية مقالته مثالاً لشكل الكتابة في المطابع التي اقترحها ورجا أن تكون أسهل وأيسر على عمال المطابع، ونشرت المقالة بعد ذلك مستقلة[3].

وقد توقف عن الاستمرار في المهمة التي كلفه ابن سليمان بها وكان سبب توقفه إعتراض المجمع اللغوى عليه، يقول الشيخ سعد بن عبدالله بن جنيدل وهو أحد من استعان بهم ابن بليهد في استنساخ الشعر لابن سليمان: (ثم توقفتْ ــ يعنى أجزاء الشعر النبطي ــ بعد أن اعترض على نشرها أحد المجامع اللغوية على أساس أن الإهتمام بهذا الشعر سيكون سبباً في انصراف الناس عن الفصحى أو على الأقل دعماً للعامية ونشراً لها)[4].

---

(١) مجلة مجمعة اللغة بدمشق، مج ٢٨ جـ٢، سنة ١٩٥٣م ص ٣٠٤.

(٢) علاج الأمية في تبسيط الحروف العربية، ص١١، مطبعة الترقى في دمشق، تأريخ ١٣٧٢هـ.

(٣) انظر، المصدر السابق، ص٢٨ ــ ٤٤.

(٤) ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، ضيف الجزيرة، الجزيرة، عدد ٤٤٦٧ في ١٤٠٥/٣/٢٩هـ.

www.mtenback.com

ثم حاول ابن سليمان تكليف أديب آخر له باع في الأدب واللغة ويعرف الشعر العامي ويحسنه ويفهم مضامينه وهو صبور جلد في البحث والأهم من ذلك أنه عضو في المجمع اللغوي الذي اعترض على نشر الشعر العامي الذي كلف به خالد الفرج من قبل[1]. وقد أظهر ابن سليمان في تكليفه هذا اقتناعات فكرية في أهمية شعر العامية وقيمته وألمح إلى أن القيام بذلك يعتبر واجباً وطنياً إقليمياً ودارت بين الرجلين مراسلات في هذا الخصوص، وكان من بينها ماجاء على لسان ابن سليمان لكاتبه: (أبلغ الأخ الشيخ حمد الجاسر.... وأخبره أنني وقفت على خطابه بهذه الجريدة المشار إليها تحت عنوان «ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد» وأنني أشكره على اهتمامه في جمع هذه الأشعار النجدية النبطية التي صدرت من أناس وهبهم الله هذه القرائح الجيدة التي ملؤها الحكمة ولايعرف الكثير من الناس عنها شيئاً داخلاً وخاصة خارجاً وقد كلفني معاليه أن أكرر لكم شكره وتقديره وعنايته إذ شرعتم في إظهار ذلك إلى حيز الوجود ويرغب أن تواصلوا جهودكم في جمع الباقي لهؤلاء الشعراء الثمانية الذين ذكرتموهم في الجريدة. وفيه غيرهم مما لا يغرب عن بالكم وأن تذيّلوا بما يحل غوامض أشعارهم لاسيما وبين أيديكم الآن العطلة السنوية للمعهد وبعد فتحه تخصصون لكم وقتاً من أوقاتكم لملاحظة ذلك. ويقول معاليه: **أنا مستعد بدفع جميع ماينفقه من المادة في هذا السبيل**، كما قد أشرت له سابقاً، فمن غير ريب أنكم سوف تكونون عند حسن ظن معاليه بكم لاسيما وقد وهبكم الله علماً وقدرة. ويقول معاليه: يجب على الأخ حمد أن يفهم أن عليه واجباً تجاه بلاده وأمته ليس للمتأخرين فحسب بل للمتقدمين لأن هؤلاء المتأخرين هم أبناء المتقدمين ويجب أن نشيد بذكر آبائنا وأجدادنا لأن لهم الفضل الأكبر علينا. انتهى ما أمرني به وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان أن أبلغكم به)[2].

---

(١) هو الشيخ حمد الجاسر.

(٢) الجاسر، حمد، حديث حول الشعر العامي، الجزيرة، عدد ٤٤٧٢ في ١٤٠٥/٤/٤هـ.

www.mtenback.com

لكن حمد الجاسر رفض طلب الوزير واعتذر إليه وبرر أن صداقته لخالد الفرج تحول دون مايظهر عمله بمظهر النقص وألمح إلى أن هناك من هو أعرف منه بالشعر العامي[1].

وبعد ذلك بقليل قام الأديب الأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس بدراسة الشعر النبطي في الجزيرة العربية. وكانت أول دراسة علمية منهجية. مهد لها بمقدمة ضافية تناول فيها أساس الشعر العامي ومشكلة بناء القصيدة العامية وقارن بينه وبين الشعر الفصيح. وانتهت هذه الدراسة إلى نتائج مذهلة حقاً وهي أن الشعر العامي يختلف كل الاختلاف عن الشعر العربي الفصيح وأن نهجه وطريقة إلقائه بعيدة كل البعد عن نهج الفصيح وإلقائه أيضاً يقول الباحث: «ينفرد هذا الشعر بخصائص تنأى به عن الشعر الفصيح، ونظراً لأنه لم تقعد له قواعد ولم يوضع فيه دراسات يفهم على ضوئها، وقد جانب كثيراً من قواعد اللغة العربية واصطلاحاتها نحوية كانت أم صرفية أم إملائية أم عروضية. لذا فإنه من العسير على الدارس لهذا الشعر ــ وهو بعيد عن بيئته ومحيطه أن يركز فهمه فيه أو يخرج منه بكبير فائدة مالم يؤده الأداء الصحيح بلهجته الخاصة به ومن ثم يتذوقه و يتأثر به... ثم يقول (ولا تحاول وأنت تقرأ هذا الشعر أن تسلك جادة اللغة الفصيحة فتسلط العوامل على معمولاتها، وتحاول الرفع أو النصب أو الجرّ أو السكون بالعلامات الأصلية أو الفرعية أو الحذف أو السكون أو تحاول أن تقول عن هذا الفعل: إنه مثال، أو عن الآخر إنه أجوف أو عن الثالث إنه ناقص أو مهموز أو واوي أو يائي الخ)[2].

وأشار في معراض تدليله وتتبعه للشعر العامي ولهجات شعرائه أن العاميَّة الإقليمية قد استبدت، وبعدت كل لهجة عامية عن الأخرى حتى كادت تصبح لغات لايفهم المتكلم بواحدة منها الأخرى وأن سكان الجزيرة أصبحوا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن خميس، عبدالله بن محمد، الأدب الشعبي، ص٨١، ط ١٤٠٢هـ.

www.mtenback.com

لايفهم بعضهم بعضاً إلا بالإشارة والإيماء وفحوى القول وقال مدللاً على ذلك: (فهذه العجمة التي تسربت إلى موطنها واكتنفت حدودها خليط من لغات شتى أخذ كل طرف من الوطن العربي بما مازجه وتشرب به، وورثه الخلف عن السلف ومن ثم فقدت الوحدة التي تجمع اللسان العربي بالنسبة إلى سواد الناس، ودهمائهم **وأصبح النجدي لايفهم عن العماني «بضم العين» إلا القليل، بالإشارة والقرائن التي تدل على فحوى الحديث**، الحديث المتبادل المعروف، أما غيره من الأغراض الخاصة، المتعلقة ببيئة كل، فلايكاد يفهم، قل مثل ذلك عن اليمني مع الحجازي، وعن البدوي مع الكل حتى ليشك الباحث من أنهم ينطقون لغة واحدة)[1].

هذه النتيجة التي توصل إليها الباحث الأستاذ عبدالله بن خميس في كتابه الشعر الشعبي في جزيرة العرب، تدل على بعد اللهجات العامية عن الفصحى من جانب، وبعد كل لهجة عامية عن اللهجة العامية الأخرى. وكل اللهجات العامية التي نص المؤلف عليها وعلى أهلها وحدد أقاليمها هي عاميات سكان الجزيرة العربية. وأغلب من ذكرهم بقوله: (إنهم لايتفاهمون بعامياتهم ولايستطيع أحد منهم ذلك إلا بالإشارة والقرائن) هم الآن من سكان دولة واحدة هي المملكة العربية السعودية. وكتابه لهذا السبب لم يطرق إلا لهجة عامية واحدة من هذه اللهجات العامية المتباعدة على حد ماوصل إليه من حقائق في بحثه.

أما بقية اللهجات العامية فلم يتعرض المؤلف لها، والحكم الذي وصل إليه لايترك للمهتمين بفكر الأمة الواحدة والداعين للمجتمع الواحد مجالاً للتقليل من خطر العامية على لغة الوحدة ولغة الأمة ولغة العرب عامة. لاسيما إن تحرك أصحاب اللهجات الذين لايفهمون هذه العاميَّة التي كتب بها الكاتب الشعر العامي وحاكوا المؤلف وغيره بالاهتمام بعامياتهم التي يفهمونها ويعرفونها واهتم أهل كل إقليم بلغتهم العاميَّة ولهجاتهم الأخرى بدل

(١) ابن خميس، عبدالله بن محمد، الأدب الشعبي في جزيرة العرب، ط٢، ١٤٠٢هـ، ص٤٧.

www.mtenback.com

العربية الفصحى التي تجمع الناس وتوحد الأمة. والأمر الذي يدرك بالحواس الخمس والذي لابد منه منطقياً هو أن نشاط العامية في إقليم من أقاليم الدولة لابد أن يسبب نشاطاً مماثلا لدى الأقاليم الأخرى بلغاتها وعامياتها وقد حدث مثل ذلك وألف عدد من الكتب عن اللهجات العامية في أجزاء متعددة من البلاد[1].

وإذا كانت دراسة ابن خميس منهجية علمية فإن ماتوصل إليه من نتائج يجب أن نستفيد منها لاسيما وقد صرح بأن للهجات في الجزيرة أصبحت لغات مستقلة لا يستطيع المتحدث بواحدة منها أن يفهم الأخرى. وماكاد ابن سليمان يعرف عن هذه الدراسة شيئاً حتى سارع كعادته في دفع تكاليفها ونشرها على حسابه الخاص يقول المؤلف: (ولهذا لم يكن معالي الشيخ عبدالله السليمان آل حمدان ليسقط من اهتمامه هذا الجانب، فلقد دأب على إحياء آثار الجزيرة وإبراز معالمها إلى جانب ماتنطوي عليه شخصيته من جوانب عرفها له الناس فذكروها وشكروها. من هذه الآثار التي قدمها لأمته طبع كتب العلامة ابن بليهد.. وهو أول من وجه عنايته للأدب الشعبي، فقرب رواته وأثاب عليه وجمع دواوينه ثم دفعها للأستاذ خالد الفرج ليرتبها ويعلق عليها ثم طبعها على نفقته. ولقد سمع معاليه بهذا الكتاب، بعد أن طبع منه ملزمتان فتبرع بطبعه على نفقته وهذه الجهود التي يقوم بها معاليه في هذا المجال سوف تذكرها له الجزيرة بعاطر الذكر)[2].

وإذا كان ابن سليمان قد إهتم بالعامية وكان مشجعاً قوياً لجمعها وتدوينها وإحيائها والاهتمام بلغتها وأدبها. فإن هناك اهتماماً مماثلاً واكب

---

(١) ألف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، الأدب في الجنوب، ومعجم اللهجة المحلية لمنطقة جيزان، كما اختار محمد سعيد كمال الشعراء الذين أهملهم ابن سليمان فبدأ بهم وهو رد ضمني على اهمال ابن سليمان لهم بالرغم من شهرتهم وشاعريتهم، ونشر الدكتور حسن نصيف شعره بلهجة عامية ثالثة وغير ذلك من المجموعات والمؤلفات العامية التي كانت مجموعة ابن سليمان باعثاً لها.

(٢) ابن خميس، عبدالله بن محمد، الأدب الشعبي، ١٤٠٢هـ، ص٤٨٨.

www.mtenback.com

هذه الحركة ولم يكن مصدر هذا الإهتمام غير الإعجاب بالشعر العامي وبقيمته الفنية. وهذا الاهتمام قام به بعض الأفراد الذين أعجبوا به فكتبوا بأيديهم وجمعوا بجهودهم الخاصة عشرات الدواوين الشعرية وحفظوها واعتنوا بها أيما عناية ولابد من أن نذكر واحداً من هؤلاء المعجبين بالشعر النبطي العامي لكثرة ماجمع بخط يده وهو الأستاذ محمد الحمد العمري والأستاذ محمد العمري مثل ابن بليهد ولد في وسط الجزيرة وتنقل مع والده في البادية ولاسيما في أيام الربيع ولكنه لم يكن مبدعاً للشعر ثم سلك طريق ابن سليمان وخالد الفرج إلى الهند وانضم إلى الجامعة الملية في دهلي في الهند ودرس فيها وحصل على شهادتها عام ١٣٥٢هـ ودرس اللغة الألمانية وأجادها[١] وكان من أساتذته الأستاذ ذاكر حسين الذي تولى المنصب الشرفي لجمهورية الهند بعد ذلك كما درس اللغة الألمانية على يهودية ألمانية. ويجيد عدداً من اللغات منها الأردية والإنجليزية والفارسية والألمانية، والتحق بالعمل في المملكة مترجماً للغة الإنجليزية والأردية وعمل في الهند وفلسطين. وكانت له عناية فائقة بجمع الشعر العامي وقد حوت مكتبته أربعة عشر ومائة مخطوط من الدواوين الشعرية النبطية قام بجمعها وكتبها بيده، ثم باع مكتبته على جامعة الملك سعود ومن ضمن محتوياتها الدواوين الشعرية ولم يمض وقت قصير بعد ذلك حتى استطاع جمع أكثر من ثمانين ديوان شعر عامي[٢].

هذا جهد فردي قام به أحد المعجبين بالعامية. وغيره عشرات من أمثاله والذي يظهر أن الدافع لذلك لم يتجاوز حد التسلية والترويح. ولم يلبث الأمر إلا قليلاً حتى بدأت طلائع النهضة في الجزيرة العربية وبدأت دور

---

(١) اتصلت بابنه عبدالرحمٰن هاتفياً وقرأت عليه ما يتعلق بترجمة أبية وصدَّق ذلك كله إلا أنه أشار إلى أن والده ــ شفاه الله ــ لا يجيد الألمانية وإنما يعرفها فقط. كان ذلك الإتصال يوم الجمعة ١٤٠٦/١٠/٢٠هـ الساعة العاشرة صباحاً في مدينة الرياض.

(٢) العمري محمد الحمد، قراءة في مكتبة، الجزيرة، عدد ٤٤١٨ في ١٤٠٥/٢/٩هـ.

www.mtenback.com

النشر تأخذ مكاناً بارزاً في واقع مجتمع الجزيرة وأصبح الجيل الجديد يحسن القراءة والكتابة وظهر اهتمام آخر بالشعر العامي والعامية، ليس مثل ذلك الاهتمام شبه المنظم الذي دعا إليه ابن سليمان ولا ذاك الذي بدأه الأفراد المعجبون بالعامية وبشعرها، ولكن كان لهذا الاهتمام الجديد غرض تجاري يبحث عن الربح قبل أي اعتبار، وبدأت مكتبة المعارف بالطائف لصاحبها محمد كمال نشر سلسلة من دواوين العامية تحت اسم «**الأزهار النادية من أشعار البادية**» ولقيت هذه السلسلة رواجاً لامثيل له مما دفع صاحبها إلى الاستمرار في هذه التجارة المربحة والكسب السريع ونشرت عدداً من الأجزاء التي لاقت رواجاً لابأس به. وقد اختارت شعر كبار الشعراء القدامى وأهل الشهرة والذيوع واستمر في جمع شعر الشعراء العاميين ونشره في دواوين تصدر تباعاً، واستطاع الأستاذ محمد كمال صاحب مكتبة المعارف ترتيب أجزاء ديوان الأزهار النادية حتى وصل بها إلى ستة عشر جزءاً[1]. بدأها بشعر بديوي الوقداني وبركات الشريف، وقد كان في اختياره هذا رد ضمني على اختيار من سبقه ممن أشرنا إليهم آنفاً. الشيء الذي لانريده لهذه الأمة ولا نريد أن تفتح أبوابه فيصعب إغلاق تلك الأبواب ولن تكون نتائج الاهتمام بالعاميَّة إلا من هذا النوع الذي لايودّ مخلص أن يراه يعود بعد أن أزاله الله وأبدلنا به أمة واحدة ودولة واحدة ومجتمعاً تتكافأ أقاليمه وأفراده. ولم تكن حركة النشر سريعة في بدايتها بل كانت بطيئة متأنية حتى عام ١٣٩٠هـ عندما بدأت تنشط حركة الاهتمام بالشعر العامي. وتحول الاتجاه من التأليف في الدواوين إلى اتجاه آخر معتمداً على وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وغير ذلك، وسلك طريق الدعاية والتمجيد للفكر العامي وليس الشعر. وهذا ماسوف يدور حوله موضوع الفصل الآتي.

---

(١) الأزهار النادية من أشعار البادية مجموعة مختارات من الشعر العامي، دار المعارف ١٩٦٠م.

www.mtenback.com

الفصل الثالث

دور الصحافة

أنجح الوسائل للقيام بحركة في سبيل تدعيم اللغة القومية (العامية) هى أن تتخذ الصحف الخطوة الأولى في هذا السبيل ولكنها ستكون بحاجة إلى عون قوي من أصحاب النفوذ فإذا نجحت هذه الحركة فإن وقتاً قصيراً في التعليم الإجباري وليكن سنتين سيكون كافياً لنشر القراءة والكتابة في البلاد)[1] سلدن ولمور.

يكفي الباحث أن ينعم النظر في هذا النص ليعرف الدور المهم الذي تقوم به الصحافة في سبيل نشر الفكر الذي يراد نشره إن في العامية وإن في الفصحى وهذه الوسيلة هي أخطر الوسائل وأهمها في تنشئة الأجيال وتعليمها وتثقيفها. وقد كشف عن دورها العظيم في سرعة التعجيل بنشر العامية والفكر العامي، داعية من دعاة العامية في مصر ذلك الرجل الذي دُرِّس في بلاده ثم أرسل ليرأس حركة الدعوة إلى العامية و يؤدي مهمته التي جاء من أجلها وهي نشر العامية مستغلاً عمله الرسمي[2] الذي يشرف عليه، ويقوم بالدور الذي رسم له وهو حرب الفصحى لغة الأمة العربية وإحلال العامية في القاهرة محلها مؤملاً قطع صلة مصر باللغة العربية ثم بالعالم العربي والإسلامي، الذي نجح الاستعمار في ذلك الوقت بقطع بعض أوصاله وعزله عن بقية العالم الذي كان قبيل الحرب العالمية الأولى يعتبر دولة واحدة ذات لغة وثقافة ودين واحد. وقد واكبت

---

(١) تاريخ الدعوة إلى العامية، ص٢٨.

(٢) كان يعمل قاضياً في مصر إبان الاحتلال البريطاني لها انظر تأريخ الدعوة إلى العامية، ص ٢٥.

www.mtenback.com

دعوته إ لى العامية في القاهرة وإحلالها محل اللغة العربية الفصحى، الدعوة إلى تغريب مصر التي خطط لها كرومر في كتابه مصر الحديثه MODERN EGYPT وتلقفها المولعون بالثقافة الغربية ودعوا إليها من أمثال طه حسين وسلامه موسى وغيرهما من كتاب مصر وسياسييها في ذلك العهد ومثلها حركة التمصير التي دعا إليها لطفي السيد وبنى عليها كثيراً من نظرياته فكان هناك من وافقه وسار معه.

وإذا كانت مكانة الصحافة وأهمية دورها التوجيهي قد اتضحت في مصر عام ١٩٢١م ومابعده وعدد الصحف لايقارن بعددها اليوم وعدد قرائها حينذاك لايقارن بعدد قرائها اليوم أيضاً فما بالك بدورها الذي ستقوم به لتوجيه الناشئة إلى العامية والفكر العامي ومامدى أثرها في ذلك إذا أطلق لها الرسن والقياد وسارت بلا وعي وانحرفت عن دورها المهم وهو تثقيف الأمة.

وقبل أن ينتقل الحديث إلى دور الصحافة في الجزيرة العربية والمواقف التي تقفها من العامية لابد من الإلمام بتاريخ الصحافة في الجزيرة ونشأتها وبداية تبنيها لقضايا الفكر والأدب وشؤون الحياة العامة، وكذلك الحديث عن الرسالة التي كانت تستشعرها الصحافة في المملكة العربية السعودية بعد توحيدها، وتوجهاتها الثقافية والفكرية، ومدى أثر ذلك على الأدب والثقافة.

البـــــداية :

عرفت الجزيرة العربية المطبعة الحديثة أول مرة عام ١٣٠٠هـ، (١٨٨٣م) عندما بدأت أول مطبعة للحكومة العثمانية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، بل في السنة الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري في مكة المكرمة. وبدأت تنشر عدداً من الكتب والمطبوعات والنشرات الرسمية ورسائل العلماء الذين كانوا يدّرسون في الحرم.

www.mtenback.com

وبعد مايقارب ثلاثة عقود من ذلك التأريخ صدرت أول جريدة رسمية عرفتها الجزيرة العربية من مكة المكرمة عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)[١] . من هذا التأريخ بدأت رحلة الصحافة في الجزيرة. وقد توالت الصحف واستمرت إلى يومنا هذا وسارت صاعدة في العدد وفي الدور التوجيهي والفكري والثقافي والأدبي، ولم تتوقف حركة الصحافة إلا في أثناء الحرب العالمية الثانية، إذ حالت ظروف الحرب دون استمرار صدور جميع الصحف التي كانت تصدر من قبل ومع تلك الظروف فقد أصرت الحكومة على استمرار صدور صحيفة واحدة على الأقل رغم ماتواجه من متاعب. معلنة أن التوقف كان بسبب (نقص كميات الورق الموجودة في هذه البلاد في هذه الظروف الحاضرة وسيدوم هذا التوقف إلى نهاية هذه الأزمة، ويستثنى من ذلك جريدة أم القرى التي ستكون بنصف حجمها الحالي وتصدر في مواقيتها المعتادة)[٢] .

وبعد انتهاء الأزمة عادت الصحف إلى الصدور ونهضت بدور كبير في الحياة الفكرية وأخذت على عاتقها رسالة نشر العلم والتعليم وإحياء دور الجزيرة الرائد في الفكر والأدب وهذا هدف من أهدافها كما جاء في بعض مقالات الصحافة السعودية: (إن المدنية المنورة ستشارك رصيفاتها في إحياء ماضي الحجاز البعيد أيام كان يزهو بروائع الأدب وجلائل الأعمال ولقد خصصت الجريدة قدراً كبيراً من أعمدتها للقضايا الأدبية)[٣] .

وسارت صحافة المملكة العربية السعودية إلى هدف واضح وقامت بدور بارز وأصبحت الصحف مدارس للأدب والفكر تخرج فيها أدباؤنا الذين أصبحوا هذه الأيام أعلاماً بارزة وشاهداً على ماتقوم به الصحافة من دور ثقافي وتعليمي ونشاط فكري كبير. وكل من نقرأ لهم في تأريخ نهضتنا

---

(١) انظر الشامخ محمد، نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، ص١٧ دار العلوم ط١، تأريخ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. سيشار إليه بنشأة الصحافة فيما بعد.

(٢) نشأة الصحافة، ص١٥٣.

(٣) نشأة الصحافة، ص١٦٢.

www.mtenback.com

الحديثة من شعراء وكتاب وأدباء ومؤلفين ومؤرخين هم خريجو مدارس الصحافة ومؤسسوها، ومن الذين عملوا فيها وتتلمذوا على مقالاتها وأساليبها التي استمرت في العطاء والرقي حتى أصبحت ذات قيم ثابتة، وذات رسالة فكرية، وقد تورع الرعيل الأول من كتاب الصحافة في الجزيرة العربية، وبخاصة المملكة العربية السعودية عن فتح باب النشر للعامية، ولم يسمحوا لأنفسهم ولا للصحافة التي تمثل دور الأمة الرائد وتحافظ على كيانها الوحدوي، لم يسمحوا لأنفسهم أن يفتحوا باب النشر بالعامية وأجمعت على ذلك الصحف كلها التي كانت تصدر في مدن المملكة. بالرغم من أن الأمية كانت منتشرة والقلة هم الذين يعرفون القراءة والكتابة مع أن بعض الرعيل الأول من الأدباء وكتاب الصحافة يحسن العامية ويعرف مضامين الشعر العامي ويجيد الكتابة فيه[1]. وذلك لأنهم يدركون خطورة الكتابة بالعامية وخطورة طرح الفكر العامي للناشئة. ورغم تصفحي وقراءآتي لما حفظ من أعداد الصحف التي صدرت في تلك الفترة لم أعثر على شيء من العامي منشور في الصحافة السعودية منذ توحيد المملكة، رغم كثرة الصحف التي كانت تصدر فيها. وهي صحافة أسسها أفراد وكانوا على علم بأن نشرها لأدب العامية قد يوسع دائرة توزيعها ويزيد عدد قرائها فيعود على ناشر الصحيفة بالفائدة، لأن الربح وإرضاء الجمهور وكثرة القراء للصحيفة التي ينافسها عدد من الصحف، شيء يحسب الناشر له كل حساب، ومع تلك الاعتبارات رفض أصحاب الصحف تخصيص الصفحات العامية الشعبية والتزموا بالفصحى وأعرضوا عما سوى ذلك.

أما أول إشارات يجدها الباحث لبداية الاهتمام بالأدب العامي (الشعبي) في الصحافة السعودية فهي قريبة العهد حديثة بالقياس إلى عمر الصحافة ولا تتجاوز عام ١٣٨٤هـ عندما بدأت صحيفة الجزيرة التي كانت إسبوعية وتصدر كل ثلاثاء، إذ بدأت من العدد الثامن عشر تظهر شيئاً من

(١) مثل الشيخ ابن بليهد، والأديب الشاعر حسين سرحان وكان مبدعاً في الشعر العامي، والشيخ حمد الجاسر، وقبلهم الشاعر محمد بن عثيمين.

www.mtenback.com

محاولة التعريف بالعامية والأدب العامي وتحبذ هذا النوع وتسميه أدباً وقد نشرت سلسلة من مقالات بعنوان: «عاميتنا وعوامنا» بتوقيع مستعار، كما أشارت إلى «الأمومة في أدبنا الشعبي» لكاتب من غير أهل الجزيرة، تحدث فيه عن أهمية الأدب الشعبي بوجه عام ولم يخص أدباً محدداً ولا أشار إلى نوع الأدب الذي يتكلم عنه.

كما أثارت صحيفة الجزيرة قضية الفصحىٰ والعامية في أحد مقالاتها بعنوان «صراع الديكة بين العامية والفصحىٰ» استهله كاتبه بلغة خطابية قائلاً: «ضراوة الصراع بين أنصار العامية وأنصار الفصحىٰ نتجت عنها هوة سحيقة يصعب عبورها للتوحيد بين وجهتي النظر[1] وقد حجب هذا الصراع الكثير من حقائق العامية والفصحىٰ» وبعد أن أوضح عدداً من الأسباب في رأيه تدعو للاهتمام بالعامية والحفاظ عليها قال: (هناك سبب آخر يدعونا للاهتمام بالعامية ربما يكون أهم من غيره، فبها كتب أدبنا الشعبي وعدم الاهتمام بالعامية يعني عدم الاهتمام بالأدب الشعبي والنتائج السيئة لمثل هذا واضحة إذ إن الأدب الشعبي يحوي صفحات مشرقة من تأريخ نضال أمتنا المجيدة. وبتقديس أسطورة البطل استطاع الشعب أن يكسب أهمية في نظر الكثرين وجميع الأمم تهتم بتراثها الشعبي عموماً بما في ذلك الأدب... **والاهتمام بالعامية** عن طريق إحياء الأدب الشعبي سيحقق أهدافاً كثيرة فهو أولاً سيحفظ تراثنا الشعبي وثانياً سينتج للشعب صفحات مشرقة من ماضيه وثالثاً **سيحدد قافلة النضال الشعبي للقضاء على قوى الشر والفساد...** وأخيراً سيقضي على مشكلة الانقسام الذي ينتج عن الابتعاد الواضح بين العامية والفصحىٰ فكان للخاصة أدب وكان للعامة أدب)[2].

يظهر من النص والمفردات التي استعملت أن الفكرة الواردة هي ترديد

---

(١) الفزيع، خليل «صراع الديكة بين العامة والفصحى» الجزيرة، عدد ٦٥، في ١٣٨٥/٦/١٠هـ.

(٢) الجزيرة، عدد ٦٥ في ١٣٨٥/٦/١٠هـ.

www.mtenback.com

لما قال به سلامة موسى ولويس عوض وغيرهما من أن الأدب العربي هو أدب الخاصة وأدب الملوك وأدب اللذة الجنسية كما يقولون وإن اللغة العامية هي المنقذ من هذا.

وقد حاولت الاطلاع على الصحف السعودية التي سبقت نشر المقال المذكور لعلي أجد الصراع الذي تحدث عنه المقال، فلم أعثر على شيء في الصحف المحلية التي اطلعت على أعدادها. ويظهر أن الصراع المشار إليه كان الصراع في مصر ولبنان أو غيرهما من أجزاء الوطن العربي حيث كان الصراع هناك محتدماً حول الفصحىٰ والعامية. ولم يشر المقال إلى نوع الصراع ولا أطرافه ولا إلى المكان الذي أثير فيه. وكاتب المقال صحفي يتلقف الأخبار ويقرأ الصحافة العربية عامة. ولم أعثر على إشارة واضحة عن معركة في الجزيرة بين الفصحىٰ والعامية في الرد الحاد الذي رد به الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار على مقال كاتب الجزيرة كما يسميه في كتابه «الزحف على لغة القرآن» إذ إنه في رده تطرق لنقض مقالة الكاتب وفندها بأسلوب لايخلو من العنف ولم يشر إلى غيره[1].

ويبدو أن الكاتب يعيد مافرغ منه بمصر ولاسيما أن لغته هي اللغة نفسها ومعانيه هي المعاني التي يرددها دعاة العامية في مصر فهو يقول مثلاً «الاهتمام بالفصحىٰ يجب ألا يعني إهمال العامية، فهي لغة التخاطب التي نحتاج إليها في حياتنا اليومية والتي لانتمكن من التفاهم بغيرها مع الآخرين، ثم لاننسى أن اللجوء إليها ممكناً وقد يكون ضرورياً في بعض الأعمال الأدبية وخاصة القصة والرواية عندما يصعب على الكاتب أن ينطق أبطاله بالفصحىٰ... والاهتمام بالعامية سيقضي على مشكلة الانقسام الذي نتج عن الابتعاد الواضح بين الفصحىٰ والعامية فكان للخاصة أدب وللعامة أدب... وكما يقول لويس عوض في كتابه دراسات في النقد والأدب)[2].

(١) عطار، أحمد عبدالغفور، الزحف على لغة القرآن، دار العلم للملايين ط١، ١٣٨٥/١٩٦٦م.

(٢) الجزيرة، عدد ٦٥ في ١٣٨٥/٦/١٠هـ.

www.mtenback.com

ومن هذا النص تدرك أن الكاتب يردد ماقيل في البلاد العربية عن العامية ولايتحدث عن عامية المملكة فهو لم يشر إلى الشعر النبطي ولا إلى حفظه والعناية به وهو أيضاً يشير إلى لغة القاص والروائي وذلك الأمر لم يكن له وجود في الجزيرة في ذلك الوقت، إنما كان قد أثير في مصر والشام حيث طرحت آراء حول لغة القاص والروائي وهل يمكن إستخدام العامية أم الفصحىٰ وفي النهاية يعتمد على آراء لويس عوض مما يجعلنا نحسب ذلك صدىٰ للدعوة إلى العامية في مصر وليس انطلاقاً من ضرورة الإهتمام بعامية الجزيرة، ولهجاتها. وكذلك طرق المقال أشياء لم تكن معروفة في الجزيرة وليس لها وجود حيث تحدث عن أسطورة البطل وصورته وأنه المنقذ وأنه لم يكن هناك وعي شعبي يطارد أشباح الفساد وقوى الشر مما تضمن المقال. وهذه المفردات كانت تستعمل ويعنى بها المستعمرون، وعندما كتب المقال لم يكن في قلب الجزيرة مستعمر، ولم يكن هناك ثورة شعبية ضد قوى الشر والفساد، وهذا يقوي جانب القول بأن الكاتب قد وقع تحت تأثير قراءته في آراء دعاة العامية وخصومهم في البلاد العربية.

ويمكننا أن نضيف بأن نشاط العامية في الجزيرة العربية لم يكن موجوداً وليست هناك دعوة ولاصراع بين العامية والفصحىٰ بالمعنى الذي تكلم عنه الكاتب.

أما بداية الإشارات المتقطعة إلى الاهتمام بالأدب العامي (الشعبي) فقد بدأ منذ صدور صحيفة الجزيرة وبالتحديد منذ العدد الثامن عشر ــ كما أسلفنا ــ عندما صدرت سلسلة المقالات المعنون لها **«عاميتنا وعوامنا»** وتوجت كل مقال من هذه المقالات بمقدمة ثابتة تقول: **(هذه فصول من كتيب ــ لصاحب هذه السطور ــ اسمه «عامتنا وعوامنا»** يستشف حياة العامة وأطوارها ويقتبس مواهبها وعبقرياتها، من كنه واقعها وينتقد أو يحبذ: نظمها وقوانينها، على سبيل الدرس والاستقراء: بأين، ومتى، وكيف وإلى أين، ويبرز رصيداً فخماً ومشرفاً، أخنى عليه الدهر، وطمره التأريخ، ورائده

www.mtenback.com

في ذلك كله الإصلاح: «**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت**»[1] «أبو نفلا».

وقد تحدثت الحلقة الأولى عن شاعر عامي واحد وأوردت له قصيدة مختارة وبدأ الكاتب بشرح معاني هذه القصيدة العامية ولم يكمل ذلك في حلقة، ووعد بالاستمرار وكما يظهر من النص السابق كانت هذه هي البداية والاهتمام بالعامية مع الثناء عليها والمدح لها، وقد حاول الكاتب الإجابة على الكثير من الأسئلة التي طرحها. متى، وأين وكيف وإلى أين؟.. ولكنه لم يجرؤ في بداية الأمر على الطرح الصريح لآرائه ولم يوقع المقال باسمه الصريح بل توارى تحت اسم مستعار.

أما بقية الصحف التي كانت تصدر في المنطقة الوسطى مثل صحيفة القصيم والرياض فلم تعر العامية اهتماماً يذكر في بداية صدورها فالقصيم صدر العدد الأول منها في غرة جمادي الثانية عام ١٣٧٩هـ ولم تنشر شيئاً عن العامية في أعدادها من الأول حتى التاسع والأربعين في ٢٦/جمادي الثانية عام ١٣٨٠هـ أي بعد مضى عام كامل لصدورها وهى الأعداد التي اطلعت عليها، وكذلك بدأت الرياض التي صدر العدد الأول منها في ١٣٨٥/١/١هـ ولم تهتم بالعامية أو الشعر العامي إلى نهاية عام ١٣٩٥هـ. ماعدا بعض المقالات التي تتحدث عن بعض القضايا النقدية ووجهات النظر من ذلك مقال كتب في العدد ٢٣٦٤ في ١٣٩٣/٢/٣هـ[2] استعرض فيه الكاتب بعض مجموعات الشعر العامي وشكا من الإهمال الذي أصاب هذه المجموعات الشعرية وحث على أهمية الاهتمام بنقدها ودراستها وبيان الجيد. يقول في معرض حديثه عن أهمية الأدب الشعبي: (لقد تعددت المجاميع التي تضم أشعاراً عامية إلى الحد الذي يدعو إلى وضع ببلوغرافيا لهذه المجاميع. فمنذ أن أصدر الشاعر الراحل خالد الفرج في أوائل الخمسينات من هذا القرن ديوان النبط في جزءين، يضم أشعاراً متعددة

(١) أبو نفلا، «عامتنا وعوامنا» جريدة الجزيرة، عدد ١٨، في ١٣٨٤/٦/٢١هـ.

(٢) الماجد عبدالله، جريدة الرياض، عدد ٢٣٦٤، في ١٣٩٣/٢/٨هـ.

www.mtenback.com

للرواد من شعراء العامية، والمجاميع تتسابق إلى الظهور، فوجدت لدينا مجاميع أمثال (خيار مايلتقط من شعر النبط جزءآن جمعهما عبدالله الحاتم، الدرر اليتيمة في أشعار النبط القديمة ومجموع شعر العوني وابن جعيثن جمعه محمد ابن يحيىٰ[1]، ومجموعة الأزهار النادية من أشعار البادية وأبطال من الصحراء لمحمد بن أحمد السديري وشاعرات من البادية وغيرهم عدا دواوين الشعراء التي تصدر باستمرار.

وماذا يعني هذا الوضع؟ في الحقيقة: إن هذا الوضع أوجد لدينا مشكلة يعاني منها أدبنا الشعبي، أي أننا أجدنا في ناحية وقصرنا تقصيراً كثيراً في ناحية أخرى، وأعني بها مجال الدراسة النقدية لهذا التراث، لهذا السيل الجارف من القصائد التي تضمها تلك المجاميع والدواوين. ودعونا نستعرض مانذكره من الدراسات التي صدرت حتى الآن. أذكر من الدراسات المبكرة في هذا المجال الأدب الشعبي لابن خميس ١٣٧٨هـ، والشعر عند البدو لشفيق الكمالي ١٣٨٤هـ ويسبقهما الدكتور طه حسين في بحثه الحياة الأدبية في جزيرة العرب[2]. واهتمامات علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر المتناثرة

---

(١) مجموعة محمد بن يحى اشتراها أحد أمراء أسرة آل ثاني وهي مخطوطة وأهداها للأستاذ عبدالله بن خميس، وقد ذكر الأستاذ عبدالله بن خميس أن أكثر مادتها موجودة فيما نشر من دواوين الشعر العامي.

عبدالله بن خميس، لقاء في مكتبة، حديث إذاعي من إذاعة الرياض، البرنامج العام، يوم الأثنين ١٤٠٦/٢/٧هـ، الساعة الثانية بعد الظهر بالتوقيت الزوالي.

(٢) أسرف محبو العامية لدينا في الحديث عن رأي ابن خلدون في الشعر العامي، ورأي طه حسين، وكأن هذين الرجلين قد درسا هذا الشعر وخصصا له المؤلفات. والحقيقة أن ابن خلدون وطه حسين كتبا أسطراً معدودة ووصفا هذا الشعر وصفاً خارجياً بعيداً عن فهمه ودراسته وذكرا جماله وبلاغته لمن يعرف لغته العامية ووصفا لغته بأنها فاسدة بعيدة عن الفصحىٰ ولكن بعدها لم يمنع من النظم بها.

وهذا كلام صحيح ولاخلاف فيه ولكنها لم يمجّدا العامية ولم يضفيا عليها مديحاً وثناءً وإنما وصفاها كما هي.

انظر مقدمة ابن خلدون، دار احياء التراث العربي، بيروت بدون تأريخ، ص ٥٨٢

وانظر مقالة طه حسين عن الأدب العربي في الجزيرة العربية، في مجموعته «ألوان» الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ ص ٤٠

www.mtenback.com

بين صفحات «صحيفة اليمامة ومجلة العرب» ومقدمات الكتب. وآخر ماصدر من الدراسات التي تتناول الأدب الشعبي في بلادنا. الأدب الشعبي في الجنوب للأستاذ محمد بن أحمد عيسى العقيلي، وأضيف إلى تلك الدراسات الدراسة التي لم تنشر في كتاب للأستاذ أبى عبدالرحمٰن بن عقيل بعنوان «عاميتنا وعوامنا»[1] ومقدماته لديوان التميمي.

بين يدي آخر ماصدر من المجموعات التي تضم الشعر الشعبي جمعه عاشق الهذال، إن عين الواقع التي أدت إلى أن تدرس الأمم تأريخها الوطني الخاص وتأريخ آدابها الخاصة التي دعتها إلى دراسة الفلكلور، ذلك أن الدولة الحديثة الناضجة سياسياً لاينبغي لها أن تملك فحسب وثائقها التأريخية الصحيحة التي لايرقى إليها الشك بل يجب أن تملك بالمثل أعمالها الأدبية التي استقرت قيمتها ومكانتها، تملك أرشيفات مأثوراتها الشعبية المفهرسة، ومادام الأمر على هذا المستوى من الأهمية فإنه من الأحرى أن نجدد اهتمامنا في هذا العصر الذي بدأ الإنسان يتكيف مع أساليب الحياة الحديثة.... إن المزيد من ظهور المجموعات الشعرية الشعبية يعلن عن مشكلة سيعاني منها التراث فعدم مواكبة هذه النصوص الشعرية بالدراسة والكشف عن قيمتها سيجعلها تمر في حياتنا الفكرية مروراً سريعاً ذلك أن الدراسة لأي عمل أدبي هي التي تؤكد قيمته الفنية والفكرية)[2].

اتسمت الآراء السابقة التي كانت تطرح في الصحافة في بداية الأمر بالطرح الصحفي السريع والتعبير عن وجهة النظر الفردية، وخلت من المعالجة الموضوعية والبعد الفكري، ولم يصحبها توجه عام إلى النشر، وجاء أكثرها آراء متفرقة لاتمثل قاعدة عريضة من المعجبين أو المتابعين. ولكنها كانت توطئة صالحة لما سيحدث بعد ذلك عندما واتت فرصة التوسع في استعمال العامية في وسائل الإعلام جميعها.

---

(١) سبق أن أشرنا إلى أن هذه المقالة نشرت تحت اسم مستعار هو، أبو نفلاء. وكانت أول مقالة تنشر في الجزيرة عند بدايتها.

(٢) الرياض، عدد ٢٣٦٤، في ١٣٩٣/٢/٣هـ.

www.mtenback.com

الفصل الرابع

بداية النشر بالعامية وتخصيص الصفحات لها

الصفحات العامية :

ماسلف الحديث عنه بالصحافة السعودية مما يتعلق بالأدب الشعبي كان وجهة نظر فردية وموقف شخصي لايمثل فكراً ولا اتجاهاً عاماً لدى الناس ولا لدى الصحافة التي كانت تنشر تلك اللقطات والآراء الفردية وحتى عام ١٤٠٠هـ كانت الصحف والمجلات خلواً من العامية المنظمة والفكر العامي المقنن. وإن سبق ذلك التأريخ تخصيص بعض الصفحات التي تعالج القضايا الإجتماعية في البادية وتناقش المشكلات التي يعاني منها قطاع كبير من أبناء الجزيرة العربية في ذلك الوقت[١].

وقد ذكرت الجزيرة في صفحاتها الشعبية أن بداية النشر في العامية وتخصيص الصفحات للأدب الشعبي قد بدأ منذ عام ١٣٩٥هـ عندما خصصت مجلة اليمامة صفحة شعبية تحمل اسم الأدب الشعبي، وأن «مجلة اقرأ» أصدرت في عام ١٣٩٧هـ صفحة شعبية حملت اسم ديوانية الشعر الشعبي[٢]. وقد رجعت إلى مجلة اليمامة لأتحقق مما ذكر في المقال السابق فلم أجد في اليمامة ولافي «مجلة اقرأ» صفحات شعبية عامية ثابتة إنما

---

(١) كان في اليمامة صفحة نصف شهرية باسم شؤون البادية وكانت تناقش قضايا البادية ولم تكتب عن العامية شيئاً.
انظر اليمامة عدد ٩ في ١٣٨٤/١/١١هـ. كما كتب المرحوم مطلق مخلد الذيابي مقالاً بعنوان: من البادية في جريدة البلاد لم يكتب فيه كلمة واحدة عن العامية.
انظر صحيفة البلاد عدد ٣٧٩ في ١٣٧٩/١١/٥هـ.

(٢) معلومة، الجزيرة عدد ٤٣٨٣، ١٤٠٥/١/٣هـ.

www.mtenback.com

وجدت باباً في اليمامة اسمه «القراء يكتبون»[1] ينشر أحياناً أبياتاً معدودة من بعض الشعر العامي. ولايذكر عنه شيئاً وكذلك بدأت «اقرأ» بنشر أبيات قليلة عامية في باب أقلام وآراء[2] منذ عام ١٣٩٧هـ. وهي قليلة جداً ولا تمثل اتجاها ثابتاً ولا صفحة شعبية مستقلة. أما إذا أردنا الحديث عن نشاط الصفحات العامية الموسع وعن محاولة مدها على الواقع الذي يعيشه مجتمع الجزيرة العربية فلن نعطيه بداية قبل السنة الأولى من هذا القرن. وإن كانت بداية النشر لنماذج الشعر العامي في الصحافة المحلية قد بدأت في حدود عام ١٣٩٥هـ كما أشرنا سابقاً.

أما في هذه السنوات الخمس الماضية فقد ظهر اهتمام متزايد من العامة ــ القراء والشعراء ــ في نشر إنتاجهم وشعرهم في صفحات شعبية مستقلة في صفحنا كلها، ومعظم مجلاتنا المحلية[3]، وتولى تحرير هذه الصفحات العامية (الشعبية) شباب من شعراء النبط كانوا متحمسين كل التحمس لتأصيل الشعر العامي والحديث عن مزاياه وفضائله مما نقل القضية من الشعر العامي وفنيّته وجماله إلى فكر عامي مختلف عن الشعر العامي ومخالف له. وقد لاقت الصفحات العامية (الشعبية) رواجاً حسناً وقبولاً لدى عامة الناس الذين تلقوا ماينشر فيها بشيء من الارتياح والقبول، فلم يكن بد من توسيع الصفحات العامية، تلبية لرغبة العامة وجمهور قراء الصفحات المذكورة. وقد ساعد على ذلك عدة عوامل وظروف كانت البلاد والأمة تمر بها أهمها:

إن النشر أصبح سهلاً ميسوراً بل إن البحث عما ينشر حتى ولو كان لايستحق النشر صار مطلباً لبعض الصحف التي تريد أن تملأ الصفحات بما تيسر من مادة دون النظر للانتقاء والاختيار، وكان الشعر العامي أحد

---

(١) انظر، مجلة اليمامة، عدد ٣٦١ في ١٣٩٥/٧/١٦هـ.

(٢) انظر، مجلة اقرأ عدد ١٣٣ في ١٣٩٧/٨/٥هـ.

(٣) العتيبي، حزام، الصفحات الشعبية إلى أين؟ وقد أحصى الصفحات الشعبية في الصحف والمجلات المحلية، وكتب عنها وعن مادتها المعروضة فيها ورداءة هذه المادة. الجزيرة عدد ٤٢٧١ في ١٤٠٤/٩/٨هـ.

www.mtenback.com

مجالات النشر، ففتحت الصحف المحلية الباب على مصراعيه أمام سيل العامية الفكرية وأقبل على الكتابة والنشر عدد لايستهان به من الشباب صغار السن[1] الذين وجدوا أن في الشعر العامي متنفساً يعبرون به عن واقع يحسونه ويعيشونه. والشعر العامي سهل على الكثير منهم، سواء الذين يحفظونه أو الذين ينظمونه ولايكلفهم ذلك بحثاً ولاجهداً ولادراسة ولامتابعة، مع أنه يملأ فراغاً يجدونه قاتلاً لوقتهم الذي يجدون أنَّ أفضل السبل لإستغلاله هو في مجال نشر العامية والكتابة عنها.

وانجذب جمهور كبير إلى هذه الصفحات العامية وزاد عدد توزيع الصحف وانتشارها ولم يمر وقت قصير حتى أصبح في كل صحيفة عدد من الصفحات الثابتة للنشر في أدب العامية.

والشيء الذي لابد منه هو أن الصفحات العامية مقدمة لابد لها من نتائج، فما ينشر فيها ليس مجرد مادة للإستهلاك أو التسلية لأن للغة تحمل فكراً، وتعبر عن وجدان جماعي، ومع انتشار العامية واتساع قاعدة قرائها والمهتمين بها كان لابد من قيام جدل فكري وأدبي حول العامية وقيمتها الفنية والتأريخية وأهميتها الأدبية.

وكان لابد من تقويم الاتجاه الجديد في النشر بالعامية وهذا أوجد المنظرين لها والمدافعين عنها، وبوجود هذين وجد المعارضون لها والمتخوفون منها على ميراث الأمة الثقافي والديني والاجتماعي والسياسي أيضاً.

وحدث خلال فترة محدودة أن بدأت الصحف ووسائل الإعلام في دول الخليج تأخذ فكر العامية وتجعل له أبعاداً ثقافية وأدبية وتحاول أن تفرض وجودها على الذوق العام مقللة من قيمة الموروث الثقافي الأصيل ومحاولة دفعه عن الدور الرائد لثقافة الأمة العريقة.

---

(١) الفريان، فهد، من القلب إلى القلب، الجزيرة عدد ٤٤٢٥ في ١٤٠٥/٢/١٦هـ.
ذكر أنه رأى شاباً لايتجاوز عمره خمس عشرة سنة في جريدة الجزيرة يحمل رزماً من القصائد الشعبية ليقدمها للنشر.

www.mtenback.com

وبدأ نظر الدارسين والنقاد والمهتمين بحركة الثقافة والأدب يتجه إلى كثرة انتشار الصفحات العامية وتعددها. ونظروا في مدى سلامة هذا الاتجاه الجديد إلى العامية ومدى جدوى الاستمرار فيه، وتحمل أعباء السبق إلى التحذير منه الفريق بحى المعلمى[1] وماكاد يقرع جرس الإنذار ضده حتى ثارت الثائرة في وجهه وأعلن جمهور الناس الغضب منه ومن أرائه الجريئة، وفتحت صحيفة الجزيرة صفحاتها للآراء حول الأدب العامي ونشره بين المعلمي ومن عارضه واستمرت الآراء وقتاً طويلاً كانت حصيلتها كتاباً يربو على ثلاثمائة صفحة جمع فيه أغلب ماقيل في هذه القضية، من الآراء، وأهم مافي هذه الآراء والمقالات أنها أظهرت بوضوح طويّة الفكر العامي والمضمون الثقافي العامي، بعيداً عن الشعر والإبداع فيه، وبعيداً عن فنيته وجماله وبعيداً عن قيمته الإجتماعية أو التأريخية.

وأهم ما أسفرت عنه معركة الأدب العامي هو أن أنصاره أدركوا جوانب النقص في قضيتهم وحاولوا أن يتلافوا ماتعرض له نقاده، وبدأ النقد الذاتي يأخذ مكاناً بارزاً في أراء محرري الصفحات العامية وأظهر الحريصون على مكانة الأدب العامي وجودته الفنية الكثير من الآراء واعترضوا على كثرة ماينشر منه بدون تمحيص أو دراسة أو غربلة، لأن ذلك في رأيهم يسرع بنهاية الأدب العامي ويكشف أخطاره ويضعف حجة المدافعين عنه، ولذلك فقد حرصوا على ألا ينشر منه إلا الجيد حتى لايجد النقاد المعارضون له حجة قوية في منع مايصدر وينشر منه[2].

---

(١) جمعت الأراء التي دارت حول رأي المعلمي في كتاب بعنوان «الشعر الشعبي شعر أم زجل».

(٢) طالب الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز بن ادريس رئيس النادي الأدبي في الرياض بذلك في مقالة طويلة نشرت في يوميات الجزيرة في العدد ٣٩٦٥ في ١٤٠٣/١٠/١٨هـ بعنوان «طغيان الشعر العامي ودور وزارة الإعلام». وقد أثارت مقالته رد فعل عنيف لدى محبي الشعر العامي، كما انتصر له وأيّد أراءه عدد آخر ممن يرى في لغة الشعر العامي خطراً على ثقافة الأمة وعلى وحدتها ويرى أن المبالغة في نشره وتسخير وسائل الإعلام له أمر لايليق ولايتفق مع رسالة الأمة العربية التي تهتم بلغة القرآن وثقافة الإسلام، وسيرد بعض أرائهم في المكان المخصص لذلك من هذا الكتاب إن شاء الله.

www.mtenback.com

الشعر العامي الحاضر في رأي العارفين به :

وقد يكون مفيداً استعراض آراء بعض النقاد والأدباء الذين تعاملوا مع الشعر العامي منذ بداية العناية به، والذين عرفوا باهتمامهم به وهم من الشباب النابهين في فهم الجيد منه أو المبدعين له[1]، يقول أحد النقاد: «المتذوق للأدب الشعبي يكاد يصعق أو يصاب بالذهول عندما يحاول الاستمتاع بهذا الفن، ولايجد أمامه إلا متابعة برنامج لايرتقي إلى مايطلبه أو متابعة صفحات هزيلة في مستواها وأغلب موادها فجة قد لا تعبر عن الإبداع الحقيقي لرواد هذا الفن... والغالبية من المتذوقين والمتابعين ينصرفون عن متابعتهم لهذا الأدب بل وقد يبلغ بهم الأمر إلى الانحياز إلى فئة المعارضين لذلك... وما ذلك إلا... لأسباب كثيرة سنحاول تسليط الضوء على بعضها هنا أثناء استعراضنا «للصفحات الشعبية»[2].

وفي النص التالي استعراض لآراء عدد من شعراء العامية الذين اعترضوا على كثرة النشر ووجدوا أن ماقيل منه يكفي لعشر سنوات قادمة، يقول: (في البداية أستشهد برأي أحد أعلام الشعراء ومن المعنيين بالشعر الشعبي عندما قال في حديث صحفي لم يقدر له أن ينشر، يقول: إن استمرار الشعر الشعبي في الطريق الذي هو فيه إنما ينذر بقرب نهايته على أيدي أولئك الشعراء أنفسهم ومحرري الصفحات الشعبية... أيضاً شاعر آخر كان من أوائل الشعراء في هذا اللون امتنع مؤخراً عن نشر قصائده وأصبح مقِلاً في نظم الشعر وعند سؤالي عن السبب قال: إن في الساحة الآن مايكفي لعشر سنوات قادمة سواء شعراء أو شعر، وأضاف يقول: إنني أشعر أن الشعر أصبح مبتذلاً، وقال أيضاً كلاماً لايحق لى نشره عن الشعر. هذان استشهادان من شاعرين لايشق لهما غبار في عالم الشعر ولا أشك أن رأيهم

---

(١) الإشارة حسب النص المقتبس إلى كل من: حزام العتبي، فهد الفريان، الحميدي الحربي، حمد الجاسر، سعد بن جنيدل، راشد فهد الراشد.

(٢) العتيبي، حزام، الصفحات الشعبية إلى اين، الجزيرة، عدد ٤٢٧١، في ١٤٠٤/٨/٩هـ.

www.mtenback.com

هذا قد أصاب كبد الحقيقة ولعل الجميع يدرك جيداً أن وقتنا «ينعم» بأكبر كمية من الشعراء بعد أن نصبت بعض الصفحات الشعبية منهم شعراء في الوقت الذي لم يضع فيه هؤلاء أقدامهم على سلم الشعر... هل تصدقون؟ أن شاباً لايتجاوز عمره الخامسة عشرة يدور ذات يوم بين أروقة الجريدة يبحث عن محرر الصفحة الشعبية وهو يحمل عدداً من الأوراق التي تحمل عدداً من القصائد)[1].

لقد أنحى الكاتب باللائمة على الصفحات العامية (الشعبية) وحملها مسؤولية توجيه الشباب والمراهقين إلى العامية، مع أنهم لايعرفون من شعر العامية شيئاً. وأن الشباب الذين لا تتجاوز أعمارهم الخامسة عشرة هم قراء وكتاب الصفحات العامية التي يحبونها ويحاولون النشر فيها. وهذا يكفي للتدليل على أن النشر بالعامية وفي أدبها لم يكن اهتماماً بالماضي ولا تسجيلاً لأحداثه، إنما كان تجديداً لعصر العامية وفكرها وأدبها وتغريراً بالمراهقين الشباب في سبيل دفعهم إلى تشرب العامية وتنمية مواهبهم على استعمال أساليبها دون أن يكون لهم معرفة بالشعر. وهذا أحد شعراء العامية محرر إحدى الصفحات العامية يضيف معلومات أخرى عن نوعية المتعاملين مع فكر العامية يقول: (قد نبهني — [يعني أحد نقاد العامية] — إلى نقطة أخرى بالإضافة إلى ماذكره فإن بعض من أدخلوا الشعر وأقصد هنا الشعر الشعبي. إن بعض من أدخلوه في برامجهم لايفهمونه الفهم الذي يؤهلهم إلى أن يقدموه في برامجهم...)[2].

هذا القول يدل على أن النشر بالعامية أصبح غرضاً يمتطيه حتى من لايعرف منها شيئاً ليحقق بعض المكاسب لنفسه. وأن هناك اقتناعاً ما جعل من لايعرف هذا النوع من الأدب الشعبي يهتم به ويقدمه أو يحاول تقديمه دون معرفته وإدراك جماله الفني.

---

(١) الفريان، فهد، من القلب إلى القلب، الجزيرة عدد ٤٤٢٥ في ١٤٠٥/٢/١٦هـ.

(٢) الحربي، الحميدي، إنكم تسيئون إلى الشعر، الجزيرة عدد ٤٥١٦ في ١٤٠٥/٢/٢٨هـ.

www.mtenback.com

www.mtenback.com

وإذا كانت الكثرة من محبي الأدب العامي يأخذونه على أنه موروث عرفوه وألفوه ولم يجدوا البديل عنه فأقبلوا عليه يقرأون ماتنشر لهم الصحف دون أن يكون لهم رأي فيما يطرح من مادة فإن القلة التي لاتعرفه كما أشار الكاتب تستفيد من نشره دون معرفته ولهذا السبب قدمت غثاء ركيكاً لاخير فيه ولا علم يستفاد منه حتى زهد فيه من كان يعرفه ويقدره ويحرص عليه يقول الشيخ حمد الجاسر: (ماكنت أريد الحديث عن الشعر العامي بعد أن أصبح الحديث عنه ممجوجاً، إذ أفسده الرواة في أيامنا الأخيرة بحيث أصبح أكثر ماينشر منه ويذاع من قبيل الغثاء الذي لانفع فيه ولا فائدة)[1].

أما سعد الجنيدل الذي عرف البادية وطراوة شعرها وألفها وأحب حياتها وشعرها وعاش شطراً من عمره يجمع الشعر العامي ويرويه لكبار شعراء العامية ويحفظ منه الكثير، ولديه دواوين كتبها بخط يده لشعراء البادية وشيوخ القبائل العربية[2]، وقد عاش في قريته القابعة في بطن الصحراء التي يغلب على حياتها وعلى كل مافيها طابع البداوة، وهو باحث جاد يعتد برأيه، يقول عن العامي في هذا الوقت عندما سئل عن رأيه فيه وفي جودته وقيمته الفنية: (الحقيقة أن معظم الشعر الشعبي المتأخر الذي ينشر في الصحف لايشتمل على مايفيد الباحث لأنه عبارة عن أشياء شخصية تدور حول أغراض خاصة، وليس هناك من يقوم بانتقاء الجيد منه ونشره إلى أن يصل الشباب بشعرهم إلى الأفضل)[3].

أما الرأي النقدي الأخير فيقول :

«أعلن رفضي لما يسمى تجاوزاً بالشعر الشعبي الحديث ولا أحمل إلى مكتبي مايهدى إليَّ أو يصل إلى يدي من هذا الشعر الذي طغى الآن على كل شيء... لقد شاع وذاع بيننا الآن شعر مرتبك هزيل لايحمل معنى ولا

---

(١) الجاسر، حمد، حديث حول الشعر العامي، الجزيرة عدد ٤٤٧٢ في ١٤٠٥/٤/٤هـ

(٢) ذكر لي ذلك في «حديث شفوي معه» وأشار إلى أنه يجمع عدداً من الدواوين الشعرية لكبار الشعراء العوام الذين عاشوا قبل توحيد المملكة.

(٣) ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، ضيف الجزيرة، الجزيرة عدد ٤٤٦٧ في ١٤٠٥/٣/٢٩هـ.

فكرة ولا إبداعاً، وقد سهل في امتداد مساحة هذا الشعر قنوات التوصيل من إذاعة وتلفزيون وصحافة. وأتهم هذه القنوات بارتكابها خطأ جسيماً في حق هذا اللون من الأدب الشعبي. حيث فتحت المجال لمن هب ودب، ولمن لم يدب بعد في ممارسة إيذاء مشاعر وذوق الآخرين بكلام ليس له معنى ولاهدف ولالون ولاطعم ولارائحة، وكان لابد لي أن أشرك في هذا الاتهام أستاذنا وشيخنا عبدالله بن خميس حيث لايقدم له ديوان من الشعر الشعبي إلا ويدبج له مقدمة تعطى صاحب الديوان أو صاحبة الديوان انطباعات بأن المستحيل قد رسم في هذا الديوان وأن الإبداع وأرجو ــ أن أكون على خطأ في مزاعمي ــ بأن أستاذنا لم يقرأ الديوان حين كتب مقدمته)[1].

هذه الآراء التي نستشهد بها ليست لأعداء الشعر العامي والأدب العامي والثقافة العامية، وليست آراء أنصار الفحصى ولكنها شهادة كبار الكتاب المثقفين الذين ألفوا وكتبوا ودافعوا عن أدب العامية، ووضعوا المقدمات الطويلة لدواوينه، وأثنوا على شعرائه. لأنهم كانوا يعرفون الأدب العامي ويعرفون وظيفته التي كانت له في الماضي، ويقدرون الدور الذي كان يقوم به لكنهم لايجعلونه بديلاً لثقافة الأمة ولا لأدبها ولانائباً عنه أو وكيلاً. ولهذا السبب لم يعترض أحد عليهم عندما استشهدوا به في مواضع من دراساتهم لأنهم يعتنون به ويسجلونه وينشرون منه ماكانت الحاجة ماسة إليه وهم يعرفون حدوده، ودوره ولايتجاوزون به ذلك. لكن عندما جاء من لايحسن الشعر العامي بشهادة الشعراء العاميين وبشهادة المتخصصين فيه والمثقفين الذين مرت آراؤهم، وعندما اتخذت العامية غرضاً ووضعت في غير محلها وفي غير حيزها، الذي كان من الواجب أن توضع فيه. وتناول قضية ثقافية فكرية من لايعرف العامي ولا الفصيح ولايحسن اختيار الجيد. صار لابد من دراسة آراء عشاق العامية الجدد ودراسة بواعث اهتمامهم بأدب ولغة لايعرفونها، ثم بيان ضرر اتجاه سواد الناس ودهمائهم إلى الثقافة العامية،

---

(١) الراشد، راشد فهد، لا للشعر الشعبي الحديث، الجزيرة عدد ٤٨٦٦ في ١٤٠٦/٥/١٤هـ.

www.mtenback.com

وتفضيلهم إياها على ثقافة الأمة ووحدتها وكيانها ومستقبلها. ثم سعى أصحاب الأهواء والأغراض لاستغلال هذا الإتجاه لتحقيق نوع من الكسب المادي أو المعنوي.

كل ذلك أوجب دراسة قضية الفكر العامي في مثل هذا البحث الذي لايحاول مصادرة حرية الآراء ولاطمس الحقائق أمام الناظرين، لكنه يحاول أن يجمع شتات الآراء حول نشر العامية وأدبها وثقافتها في هذا الجزء الغالي من الوطن الكبير. وبيان خطر ذلك على مسير الأمة العربية، ومستقبلها أمام التحدي الكبير الذي تفرضه عليها حضارات العصر المادي الجائر الذي لايرحم ضعف الضعيف ولايسمع غير صوت القوة وسنحاول أن نبين خصوصية هذه البلاد وواجبها نحو لغة القرآن ولسان العرب الذي هي مهده ومصدره ومنها انطلق إلى كل من ينطق الضاد ويعرف العربية.

أسباب الإتجاه إلى العامية :

إن اتجاه الأمة العربية إلى تقديس التراث العامي شيء لا يختلف على خطئه اثنان يتمتعان بصحة العقل، وكل مفكر يدرك ماسوف يؤول إليه وما سوف يترتب عليه من نتائج ولكن الاستمرار فيه له أسباب كثيرة أهمها وأخطرها أمور:

الأول : هو اتجاه الصحافة إليه واهتمامها به لأن الصحافة مرتبطة بوكالات الأخبار العالمية ومصادر الفكر العالمي ولا تستطيع الاستقلال عن تلك المصادر التي تعكس اهتمامات وثقافات أمم أخرى ليس لها مالنا نحن من خصوصية الالتزام والمحافظة. وقد ساعدت في تحويل سواد الأمة من الإعتزاز بلغتها الواحدة، لغة الإسلام الخالد إلى الإهتمام باللغات المحلية وإحلالها محل اللغة الأصلية وساعد الصحافة على النجاح في مهمتها عدد من العوامل بعضها ظاهر واضح وبعضها خفي لايدركه ولايعرف أبعاده غير من بحث وتقصى واستقرأ ووعى بفهم تأريخ الثقافات وطوية الفكر الإنساني وعرف الوجه الذي يحرك العامية ويدفعها لتخدم أغراضه.

الثاني : العامية بلا جدل هى الألصق بأكثر الناس والأسهل والأقرب

www.mtenback.com

على اللسان من العربية الفصحىٰ وكل قطر وإقليم أو حتى كل مدينة لها عاميتها ولها في هذه العامية موروث لا تريد أن تفرط في شيء منه وترى أن هذا الموروث خاص بها يميزها عن بقية الأقاليم والمدن والقرى الأخرى، وترى المحافظة عليه حتى يكون لها موروث عامي تنافس به مالدى الآخرين من موروثات مشابهة.

لكن هذا يتناقض مع الإتجاه الذي نسعى إليه ونرجوه، وهو بناء الأمة الواحدة والمجتمع الواحد والدولة الواحدة ذات الموروث الواحد الذي يعتز به كل فرد فيها وهو الثقافة العربية الفصحىٰ ولغتها ليس إلا.

الثالث : العامية لغة سواد الناس والعدد الأكبر من سكان البلاد العربية يعدون من العوام[1] حتى وإن تعلم بعضهم العلوم العصرية البحتة أو بعض العلوم الإنسانية، لأن مناهج التعليم الحديث في كل البلاد العربية وضعت في أول الأمر عندما كان الاستعمار قائماً فيها وكان المستشارون ورجال التربية والتعليم من المستعمرين أنفسهم أو ممن يوافق رأيه سياستهم عند وضع منهج التعليم، وعلى هذا المنهج تخرجت أجيال متتابعة ألفت المنهج الذي وضعه الاستعمار حتى بعد زواله العسكري واستمرت عليه ولم تستطع تبديله وهو في مضمونه يكرس فكرة صعوبة اللغة العربية وجمود الفكر العربي الذي وصل إلينا في قوالب العصور الوسطى.

ومع زوال الاستعمار وغروب شمس الاحتلال العسكري سادت لغة المستعمر وثقافته جميع أرجاء العالم الثالث، وليس البلاد العربية فقط، وأصبحت اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية هما لغتي العالم المفهومتين، بهما يستطيع الإنسان أن يتفاهم مع كل الشعوب بلا استثناء، فخطف بريق اللغات الأجنبية أنظار الناس وكان العرب أسرع المتأثرين بهذا البريق بسبب وضعهم السياسي والثقافي الذي خلفه الاستعمار بعد رحيله.

---

(١) هذا لا يتعارض مع ردنا على الركيزة الثامنة من ركائز محبي العامية، لأن الكثرة منهم تفهم العربية وتحسنها وتدرك جمالها ولكنها تفضل العامية لسهولتها بينما يزعم محبو العامية في الركيزة التي سترد أن الكثرة من العرب لا تفهم العربية الفصحىٰ ولا تعرفها.

www.mtenback.com

الرابع : تعرض العالم العربي بعد استقلال أجزائه المستعمرة للكثير من الهزائم العسكرية والسياسية والمعنوية وصاحب ذلك موج متلاطم من الثقافات والأفكار ورياح التغيير الفكري، والاتجاهات المذهبية التي يتعارض الكثير منها مع ثقافة اللغة العربية وخصوصياتها فنال أصحاب تلك المذاهب من أسس الثقافة العربية وتحرشوا بالثوابت من مبادئها. كل ذلك أضعف اعتزاز العرب بوجودهم وكيانهم الكبير. وجعل الشباب يبحث عن أسباب الضعف ويرفض الواقع المرّ، والإنتماء إلى أجيال الهزيمة وخصوصاً بعد هزيمة ١٩٦٧م حيث رفضت الشعوب دعاية المهزومين في كل أقطار العالم العربي التي كانت تركز على «أيديولوجيات» ومذاهب طارئة مستوردة وتلغي ماسواها.

وعندما حدثت الهزيمة وانكشفت فضائح المهزومين ودعاواهم التي غرروا بها الأمة وأذهبوا خيراتها في ملذات النفس والدعاية. أصاب الشباب شعور بالهزيمة الداخلية ارتدوا بعدها إلى البحث عن الصواب فوقعوا في الخطأ مرة أخرى عندما بدأوا البحث عن الأمجاد المحلية والإقليمية والقطرية، واهتمت كل دولة بذاتها وانفصم شعور الوحدة الكبرى. وهذا أحيىٰ لدى كل جيل في كل دولة من الدول العربية شعور الاهتمام بالموروث المحلي والاهتمام به فكراً ولغة وأدباً.

الخامس : مجاراة الغير: لاشك أن الغرب يولى التراث الشعبى اهتماماً لابأس به ويحترم تراثه ويحفظه ويدافع عنه، ومجاراة الغرب وتقليده بالنسبة للعالم الثالث أمر لا مرية فيه. وكثير من الشباب الذين درسوا في الغرب، أو الذين دُرِّسُوا مافي الغرب عرفوا اهتمامه بموروثه، وفهموه كل الفهم وآمنوا بأهمية فلسفة الغرب، في حفظ التراث الشعبي ولم يستطيعوا التميز بين وجوه الاختلاف والتشابه بين حضارة الغرب المادية وحضارة العرب الروحية الإسلامية. أو بالأصح ليس في استطاعتهم التميز والمقارنة بين مضامين الحضارتين من الناحية الفكرية والدينية والسياسية، لأن طبيعة تكوينهم الثقافي وتعليمهم طبيعة واحدة هي الثقافة الحديثة وليس لهم في تأريخ العرب وثقافتهم كبير علم.

www.mtenback.com

السادس : الحديث عن اللغة العامية حديث عن العامة الذين يكونون أغلب السكان عدداً في كل البلاد العربية ولجوء العامة إلى ثقافة عامية والاهتمام بها وبقراءة أدبها وحفظه أمر طبعي بالنسبة للذين لم ينالوا حظاً من المعرفة والتعليم الذي يرقى بفكرهم وأدبهم إلى مستوى الوعي وإدراك أبعاد القضية التي يعيشونها، وهؤلاء طرحت لهم الصحافة العامية ما يريدون فأقبلوا عليه وأخذوا منه بلا ملل وليس من حق أحد أن يطالب العامة بمالا يستطيعون إدراكه. لكن السؤال الذي يحاول هذا البحث الإجابة عليه هنا هو: مادور بعض فئات المثقفين وحملة الشهادات الذين ينشرون الفكر العامي ويسيرون في ركابه ويسير وراءهم جمع العوام وسواد الناس، وما السبب وراء ذلك؟.

لماذا الاهتمام بالعامية؟

محبو العامية من المثقفين فئات. وكل فئة منهم تهتم بالعامية لأسباب تختلف عن الأسباب التي تدفع الفئات الأخرى.

فالفئة الأولى : هى فئة الضعفاء في التحصيل العلمي الذين أصبحوا يحملون شهادات تقرر نجاحهم من المدارس العامة والجامعات وتضعهم شهاداتُهم ومراكزهم الوظيفية في صفوف المثقفين، بينما هم لايستطيعون التعامل المتقن الذي يرضونه باللغة القومية (العربية) ولايستقيم لهم قياد اللغة ولايرضون عن واقعهم وأساليبهم في فهمها فانحاز هؤلاء إلى العامية هرباً من وصمة الجهل بقواعد العربية وعدم إحسانها مع أنهم محسوبون من المثقفين الذين يفترض فيهم أن يجيدوا لغة أمتهم. وهم بذلك يجدون في العامية بلا شك مخرجاً من المواقف الحرجة التي لايرضونها لأنفسهم. وكم من متكلم سمعناه وهو يقدم بين يدي حديثه الاعتذار عن أخطائه في اللغة و يلتمس من السامعين العذر.

الفئة الثانية : أصحاب المكاسب المادية والمعنوية الذين لايجدون مكاسبهم لو وقفوا في صف العربية الفصحى. هذه الفئة جعلت وكدها

www.mtenback.com

للعامية والفكر العامي، تؤلف بها المؤلفات ويباع من مؤلفاتها عشرات الآلاف من النسخ مما يدر عليها مالاً في زمن المال، وكسباً لاتجد مثله لو ألفت باللغة الفصحىٰ ثم إن الكسب المعنوي الكبير الذي يتمتع به كتاب الفكر العامي دفع بهم إلى التوغل في سبيلها وهم لاشك يتمتعون باحترام الكثرة من الناس وينالون تقديرهم وهذا ينعكس على رواج آرائهم ونشر أفكارهم، وقوة مواقفهم، وكل ذلك دفع بالكثير من المثقفين إلى مغازلة العامة والسير أمام الناس حتى يكونوا قادة الفكر العامي ومثلاً لهم، وباهتمامهم بالعامية فكراً وشعراً تتحقق لهم الشهرة، وذيوع الصيت. وهذا هو هاجس أصحاب هذه الفئة ومن أجله يستميتون في سبيل العامية دون أن يفقهوا ماوراء ذلك من أسرار وحقائق، تضر بأمتهم وبدينهم وبهم أيضاً.

الفئة الثالثة : فئة واعية مدركة لأهدافها. تميزت بالذكاء الخارق والقدرة على التعامل المنضبط المنظم، وأحسنت استغلال الظرف الذي يمر به التوجه الفكري العامي، وحال العرب والمسلمين في الوقت الحاضر. وهذه الفئة لاتعادي اللغة العربية الفصحىٰ لذاتها، ولكن عداوتها لمحتوى العربية وأسباب خلودها وتعلم أنها لن تصل إلى شيء ولن تحقق شيئاً من غاياتها مادامت العربية تنال احترام الناس وتفي بأغراضهم.

وذكاء هذه الفئة الحاد وانضباط تنظيمها لأفكارها أتاح لها السير الآمن في ركاب موجة الإهتمام بالفكر العامي والثقافة العامية، والتقليل من قيمة اللغة الفصحىٰ وماتحتويه من موروث، وفي الوقت نفسه أتاح لها الفرصة في أن تنادي بتقديس الموروث العامي الشعبي تقديساً ينقل وظيفة الفصحىٰ إلى هذا الموروث ويسهل السبيل إلى التخلص من الماضي المملوء بالفكر والمجد والتأريخ المشرق الذي لايوافق ميل هذه الفئة وأهدافها التي لاتستطيع المجاهرة بها وبفلسفتها. وبقاء الفكر الذي تحتويه الفصحىٰ يقف حائلاً وسداً منيعاً دون تحقيق الانفراج الذي يرجوه هؤلاء لتسلل أفكارهم التي يريدونها ويودون أن تبدأ من جذور فكرية تبعد عن الأصل المتين والفكر الناضج

www.mtenback.com

الذي لايستطيعون التشكيك فيه، ولايجدون من يقبل منهم قدحاً به ولهذا قذفوا في أذهان العامة وأشباههم من أدعياء الثقافة ومرددي الأصداء كلمات وجملاً محددة مثل:

ـ إن مجدنا وتأريخنا في هذا التراث العامي.

ـ إن من لاماضي له لاحاضر له.

ـ إننا نستمد أصالتنا من هذا الأدب العامي.

ـ إن في العامية والتراث العامي جذورنا وروحنا.

ـ إن منابع ثقافتنا ومنابع أصالتنا في تراثنا الشعبي.

لقد نجحت هذه الفئة يصوغ جمل جاهزة محددة المعنى، أصبح يتكرر استعمالها من قبل جمهور كتاب العامية ومفكريها الطيبين الذين لانشك في سلامة قصدهم وحسن نياتهم وبعدهم عن فهم ألاعيب الفكر وتعدد المعاني. إنما رددوها لأنها جمل رنّانة ذات جرس موسيقي تضرب على أوتار القلب الطري الخالي، فيتحرك وينساق مع فحواها وتناسق عباراتها وحسن صياغتها غير مدرك طوية الفكر الذي تعنيه. وأصبحوا يتوّجون كل مقال يكتبونه أو رأياً يوردونه عن العامية بواحدة أو أكثر من هذه الجمل. وسوف نخصص كلمة نبين فيها خطأ استعمال هذه العبارات وخطورة ترديدها ولوازم معناها عندما يستعملها من يعرف مدلولها وعندما يستعملها من لايعرف لها مدلولاً محدداً.

الفئة الرابعة : فئة أحبت العامية واستبد الحب بحواسها وأصبحت لا ترى جمالاً ولاتحس ذوقاً ولا تسمع بغير جمال الأدب العامي وذوقه وموقف هذه الفئة هو موقف المعجب المحب الذي ينظر إلى الأدب العامي بعين

www.mtenback.com

الرضا، ويحاول أن يجسد فيه كل فضيلة دون النظر إلى ماوراء هذا الاتجاه من أشياء. ومايترتب عليه من ضرر في الثقافة الأصيلة[1].

و يذهب أصحاب هذا الرأي المذهب البعيد عن الواقع، فيصفون الأدب العامي والفكر العامي بأنه أدب العفوية وعدم التكلف والشيء الذي يفي بالأغراض التي تعجز اللغة الفصحى عن الوفاء بها. وقد نقلت هذه الطائفة الموضوع حول الأدب العامي وماله وماعليه من كونه انطباعاً ذاتياً ودفاعاً عن وجهة نظر قابلة للأخذ والرد إلى قضية فكرية مصيرية وحاولتْ في سبيل الدفاع عن وجهة نظرها تأصيل الفكر العامي في نفوس الناس. وتحول الرأي الذي كان مطروحاً للدراسة المتأنية وإعطاء الأدب العامي حقه في حدود لايؤثر فيها على غيره إلى رأي صلب يولد العداوة والبغضاء للفكر العربي الأصيل ويقف موقف المتحيز المتوثب للانقضاض على مشترك الثقافة.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(١) انظر الشعر الشعبي، شعر أم زحل ص٩٨ ومواضع أخرى، مجموع المقالات التي طرحت في الصحف المحلية حول الأدب العامي واللغة العربية، وُضِعَ على غلافه جمع توفيق علي وهبة وسيشار إليه فيما يأتي بـ وهبة.

www.mtenback.com

الفصل الخامس
تأصيل العامية وإثراؤها

تأصيل العامية :

تعتمد اللغة ــ أي لغة ــ في حياتها وسرعة انتشارها على الثراء وكثرة المفردات، وتوسع المدلول الذي يجعل مستعمل اللغة لايضيق بوجوه الإستعمال وتعدد المعاني التي يتعرض لها في حاجته الأدبية والتعبير عن آرائه وأفكاره. وإذا استطاعت أي لهجة عامية القيام بهذه الوظيفة اللغوية، أصبحت لغة حية صالحة للاستعمال وقائمة بالحاجة التي يحتاجها الإنسان أو المجتمع الذي يستعمل اللغة.

ومحبو العامية لدينا، ودعاتها في السابق يعرفون هذه الحقيقة ويدركون أهمية إثراء العاميات ومدّها بكل مايزيد مفرداتها ويقوى استعمالها. وعملية الإثراء للعاميات مستمرة منذ بدأت أولىٰ الدعوات لاستعمال العامية كلغة بديلة للعربية الفصحىٰ، وقد بدأت حركة التأليف لتوسيع دائرة قاموس العاميات العربية في الغرب ولازالت مستمرة، وقد جاءت الإشارة إلى شكوى أوائل دعاة العامية الأجانب من قلة المؤلفات الموجودة آنذاك في اللغة العامية[1] حين لم يجدوا عند بداية الدعوة من المؤلفات مايساعدهم على الاستمرار في مهمتهم، ووصف أحدهم اللغة التي ليس لها أدب بأنها مثل الجسم المفكك إذا نظرنا إليه من بعيد ظهر كشيء متماسك لكنا إذا حاولنا لمسه ظهر على طبيعته المتداعية التي سرعان ماتنهار من كل جانب)[2].

---

(١) انظر، تأريخ الدعوة إلى العامية، ص ٢٣٩.

(٢) المصدر السابق.

ومنذ ذلك الحين وحتى الوقت الحاضر ودعاة العامية في الوطن العربي مستمرون ومشمِّرون عن ساعد الجد في محاولة جادة مستميتة لسد النقص الذي أشار إليه النص السابق، ومحاولة إثراء العامية بالمؤلفات والمجلات والدوريات التي تهتم بالعامية وتكتب بها لتنمو مفرداتها وتزيد قدرتها على الحياة والبقاء ويجد الكاتبون فيها بغيتهم من السعة والقوة. وكان التركيز كله على النواحي الفنية والأساليب البلاغية في اللغة العامية لكي يكون للعامية أدب قوي متماسك لاينهار أمام اللمس.

وليس أمامي غير لغة الأرقام حتى يتبين الفارق الكبير والتطور الهائل الذي أصاب اللغة العامية منذ بدأ الإهتمام بها قبل حوالي ثمانين عاماً حتى الوقت الحاضر.

أشار النص السابق إلى أن أول دعاة العامية شكا من قلة المصادر ولم يجد إلا كتاباً واحداً عندما أراد أن يكتب بالعامية عام ١٨٨٠م، واليوم تشير الإحصائيات والدلائل إلى وجود مايزيد على خمسة آلاف مخطوط [١] في مكتبات العالم العربي والأجنبي، وفي مكتبة برلين وحدها خمسمائة مخطوط [٢].

هذا العدد الهائل من المخطوطات الشعبية في التراث الشعبى العربي في مكتبات العالم يعني بالنسبة لدارسي اللغة العامية شيئاً واحداً هو أن العامية أصبحت غنية كغيرها من اللغات ولها مفردات غنية أيضاً وفيها مؤلفات مليئة بالمفردات الصالحة للاستعمال والقادرة على الحياة. ولم تعد هشة تنهار أمام اللمس، ولكنها أصبحت ذات موروث لغوي قوي يمكِّنُ أنصارها ومحبيها من القول بثقة أنها لغة لديها من الثراء في مفرداتها وأساليبها مايجعلها قادرة على استيعاب حاجة الكاتبين والمتكلمين بها. وقد بدأ يلوح في الأفق فضيلة أخرى للعامية وأنصارها وهى رواج تجارة المخطوطات والمبالغة في قيمتها

(١) تقرير عن ندوة التراث الشعبى بالدوحة، الجزيرة، عدد ٤٤٣٥، في ١٤٠٥/٢/٢٦هـ.
(٢) المصدر السابق.

وشرائها والتبجح باقتنائها حيث أشار أحد المهتمين بالعامية والفكر العامي أنه جدّ في البحث عن مخطوط: عامي يحمل شعراً لبعض العوام ودفع فيه عشرات الآلاف من الريالات ولم يستطع الحصول عليه حتى عملت المصادفة عملها وحضر مؤتمراً عامياً في دولة خليجية ودعاه أحد شيوخ الخليج فقدم له المخطوط بعد أن دفع فيه خمسة وسبعين ألف ريال، وقد اعترف مالك النسخة بأن أغلب مافيها منشور في دواوين الشعراء المعروفة[1]، ولا جديد فيها يستحق هذا الثمن. لكن الجديد فيها هو رواج التجارة والقيمة العالية لمخطوط عامي مفرغ أكثر مادته فيما نشر من دواوين الشعر العامي. ثم جاءت أخبار المخطوطات العامية وشرائها بما هو فوق التصور فهناك ديوان شعر مخطوط بخط يد المؤلف بيع بمبلغ مائتي ألف ريال فقط، ولأن القارىء ربما لايصدق حتى وإن أحيل على المصدر فسنورد النص كاملاً يقول:

(سمعت أن مواطناً غاب عني اسمه وهو من سكان الرياض قد اشترى «ديوان شعر مخطوط لشاعر متوفى من ورثته بمبلغ قدره مائتا ألف ريال، فلم أصدق باديء الأمر لكني تأكدت أخيراً من صحة هذا الخبر... قلت له قد أذهلتني المفاجأة بكل هذا المبلغ نقداً وعداً؟ قال: نعم، وأردف قائلاً والخافي عليك أعظم، فالصفقة تمت في العام الماضى، ولو كان المشتري يسعى من ورائه إلى الربح المادي لطبعه فوراً ووزّعه في الأسواق لكنه إحتفظ به كمخطوط نادر بخط يد الشاعر رحمه الله وتوج به مكتبته)[2].

هذا شأن المخطوطات العامية وهذه أسعارها وعلى من يرى في كلامنا هذا الغلو أن يسأل عن أغلى مخطوطة في أي علم من العلوم اشتراها مواطن من دول الخليج وكم دفع فيها؟ ليقارن بعد ذلك بين الحالين حتى يعرف مانحاول أن نبيّنه، وهو أن العامية بفكرها وأدبها وموروثها سارت في طريق

---

(١) مقابلة إذاعية مع الأستاذ عبدالله بن خميس سبقت الإشارة إليها.

(٢) النقيدان، سليمان، قال الراوي، الجزيرة، عدد ٤٧٨٢ في ١٤٠٦/٢/١٨هـ.

لم تعد فيه لهجات عامية ومأثورات شعبية بل أصبحت كنوزاً يتنافس الأثرياء على اقتنائها ــ على الأقل ــ في آراء دعاتها ومحبيها.

أما المؤلفات المنشورة والمطبوعات فهي كثيرة و يكفي أن نشير إلى أنه يوجد في الصحف والمطبوعات السعودية أكثر من تسع صحف سيارة في كل منها عدد من الصفحات العامية يقرأ هذا العدد آلاف القراء، وتختار هذه الصفحات نماذج من الشعر العامي الذي يقبل عليه قراء الأدب العامي مطعّماً بآراء تحثُّ عليه وتنادي بأفضليته وتدرسه وترفع من قيمته، ويشرف على كل صفحة عامية أحد كبار الشعراء العاميين وأهل الاهتمام بها ممن يُدْفَعُونَ بكل قوة وحماس وحب للفكر العامي ويعملون بكل إخلاص ليكون لأدبها وفنها تأثير على اتجاه الناس وآرائهم، ويبعثون فيهم روح الإنتصار للعامية والفكر العامي، وإليك تمام النص السابق عن المخطوطة ذات المائتي ألف (فقلت لصديقي أنت حجة بلا شك وكلامك يؤخذ بالقبول ولو حدثني غيرك بهذا الخبر لكنت في موضع شك. ليس لأن الشعر الشعبي لايستحق هذا المبلغ وأكثر. لكن عجبي يكمن في ضخامة هذا المبلغ بالنسبة لرجل فرد قدر قيمة هذا الشعر فدفع به هذا المبلغ ثم احتفظ به، و بعد برهة قصيرة سادها الصمت دارت بأفكاري أشياء وأشياء فقلت متسائلاً: أين هؤلاء الذين يقفون من تراثهم موقف الند للند؟[1] بل إنهم يتبجحون ويتظاهرون له بالعداء ويسعون حثيثاً إلى طمسه ومحوه من الوجود هكذا بجرة قلم على ورق ناسين أو متناسين أنهم كلما ازدادوا تعنتاً ومعاندة ومكابرة ازددنا نحن حزماً وعزماً وقوة وصلابة، فياليتهم يدركون الحقيقة)[2].

هذه الحقيقة التي يود كل فريق من الفريق الآخر أن يدركها ستعرف وتنكشف يوماً ما ولكن ذلك اليوم لن يعيد نفسه ليستدرك الخاسرون فيه مافرطوا وضيعوا.

---

(١) يريد أنهم يقفون منه موقف الخصم اللدود.

(٢) المصدر السابق.

أما المؤلفات المنشورة فلا تحصىٰ عدداً وقد ازدادت زيادة هائلة خلال عشر السنوات الماضية، وأشارت بعض مصادرنا إلى أن رجلاً خط بيده أربعة عشر ومائة ديوان شعر عامي وقد باع هذا العدد في حدود عام ١٣٩٥هـ ولم يمض أكثر من عشر سنوات بعد ذلك حتى استطاع جمع أكثر من ثمانين ديواناً عامياً مطبوعاً لتزويد مكتبته الخاصة بها[١].

بينما تحتوي مكتبة خاصة أخرى ستاً وثلاثين ومائة ديوان شعر وقد زرت هذه المكتبة واطلعت عليها ورأيت أن صاحبها[٢] قد إنتقى من الشعر العامي جيده، وأهمل ماطرح في السوق خلال عشر السنوات الماضية، وقد صرح بذلك في مقابلة معه قائلاً إنه لم يجمع في مكتبته إلا الجيد الذي لايرقى إلى جودته شك قال: (ولو كنت أشتري كل ماوجدت في المكتبات من دواوين الشعر الشعبي التي بدأت تغرق الأسواق لامتلأت رفوف مكتبتي، ولكني بدأت أختار منها وأترك ما أرى أنى لا أحتاجه)[٣].

وهو بهذا يصرح بعدم إقتناعه بجودة ماينشر وعدم صلاحيته للاقتناء، وكثرة الرديء الذي يغرق الأسواق. وقد وافق رأيه رأى إحدى الصفحات العامية حينما أشارت إلى مؤلف جمع في عدد قليل من السنوات ونشر أكثر من سبعة كتب ليس فيها من الجديد إلا أغلفتها. تقول الصفحة المتخصصة في الشعر العامي: (أما ماعداها وبالذات ماكتب بعد عام ١٣٩٥هـ فكله هراء لايستحق القراءة. وكم هناك من يتمنى أن يقول للمسؤلين: أوقفوا هذا الهراء ولأحقق هذه الأمنية فهأنذا أعود إلى الكتابة عنه متمنياً أن أجد الأذن الصاغية... من هذه النوعية أي مؤلفو الهراء شخص يدعى... ألف من عام ١٣٩٥هـ حتى الآن سبعة كتب لم يتغير منها إلا أغلفتها وأسماؤها كل هذه المؤلفات ومنها «البركان» و«كتابي» وغيرهما. إنني أخجل عندما

---

(١) العمري، محمد الحمد، قراءة في مكتبة،الجزيرة، عدد ٤٤١٨ في ١٤٠٥/٢/٩هـ.

(٢) هو الأستاذ محمد الحمدان وقد زرته في مكتبته وأطلعني على مجموعات الشعر العامي العربية. فله مني جزيل الشكر.

(٣) الحمدان، محمد، وما أدراك ما الشعر الشعبي، الجزيرة، عدد ٤١٤٥، في ١٤٠٥/٥/٢هـ.

أتصفح أياً منها فما بالكم بمن يعتز بها يساعده في ذلك جهله ومن هم على شاكلته والذين أساءوا إلى هذا التراث بعقمهم[1].

هذا رأي صفحة متخصصة في التراث الشعبي ويهمنا منه عدد المؤلفات التي كتبها مؤلف واحد نكرة مجهول ليس معروفاً وليس لكتبه حظ من الجودة وليس له علم بما يكتب كما يفهم من النص.

لقد أشارت الدراسات والإحصائيات إلى الجيد الذي ينتقى إنتقاءً، أما الرديء فلم يدخل في حساب نقاد المؤلفات العامية، ولو أحصي الرديء لبلغ الآلاف. وتلك الكثرة من الرديء والجيد حدثت في زمن قياسي قصير وفي مساحة محدودة من أرض الوطن العربي الكبير وبجهود بعض المهتمين من مواطني المملكة العربية السعودية وهم أقل الأمة العربية تأليفاً وأقربهم عهداً بصناعة النشر، فكيف يكون حال العامية وما ألف فيها في البلاد العربية جميعها؟ وكم ياترى عدد المصنفات في الأدب العامى والفكر واللغة التي تمت وأنجزت خلال هذه الحقبة القصيرة من الزمن.

العوامل المساعدة على النشر بالعامية :

إن الدلائل تشير إلى أن عشرات الآلاف من الكتب المؤلفة بالعامية قد تم طبعها وتوزيعها وهى تلقى رواجاً لامثيل له في كل البلاد العربية وفي جميع أجزائها، وتلقى تشجيعاً على كل المستويات، يساعدها على الكثرة وسرعة التأليف والانتشار عدد من العوامل التي نوجز أهمها في النقاط التالية :

الأول : الرقابة التي تفرض على الكتب الفكرية والدينية والسياسية التي أصبحت تخنق انتشار الكتاب في جميع البلاد العربية، هذه الرقابة أعفي منها الفكر العامي وأعفيت منها المؤلفات بالعامية وترك الحبل على الغارب للناشرين العوام والمؤلفين منهم خاصة.

---

(١) الحربي، الحميدي حمد، كلمة التراث، الجزيرة، عدد ٤٦٨٤ في ١٤٠٥/١١/٩هـ.

الثاني : الجودة الفنية لما ينشر من مادة أصبحت هي آخر مايفكر به مؤلفو العامية، وقد سبقت الإشارة إلى آراء نقاد العامية والعارفين لها في نوعية ماينشر من كتب. ووصفتْ بالضعف والركاكة والبعد عن الجودة.

الثالث : أسقط مؤلفو العامية من حسابهم الأساليب العلمية التي يجب التزامها عند الإقدام على التأليف وتجاوزوا الأسس المتعارف عليها عند النشر. وتلك المقاييس هى التي تضع أمام المؤلف المدرك لأهمية التأليف هيبة الاقتحام لطرح مايريد للناس قبل التمحيص. وهذه الهيبة هي التي تحد من سرعة النشر وكثرته، وتجعل المؤلفات الفكرية العلمية لاتجاري المؤلفات بالعامية من حيث الكمية العددية. وسبب إقدامهم هو أن الكثير منهم يجهل مايقدم عليه ولايعرف للتأليف منهجاً ولامستوى يرتفع إليه ولذا قنع منه بجمع مادته وصفها لتصبح مؤلفاً يحمل اسمه.

الرابع : جاء العائد المادي والربح وسعة الإنتشار لما يؤلف بالعامية مشجعاً وأصبح التشجيع الذي يلقاه في السوق دافعاً له وحافزاً على الاستمرار في سبيل الجمع والنشر، وقد طبع عدد من المؤلفات بالعامية مرتين وثلاثاً في العام الواحد. بينما لايتوفر مثل هذا الإقبال على المؤلفات الفكرية الجادة. التي تكلف مؤلفها عناءً وجهداً لايقارن بما يقوم به جامعو المادة العامية.

إن العامية في ضوء ماتقدم هي اللغة المنتشرة التي يتحدث بها أقوى عناصر المجتمع على التأثير. وكل ذلك يجعل المتابع لحركة الفكر العامي يشعر أن تأصيل العامية أصبح أمراً لامفر منه، وليس هناك مايمنع من وجود اللغة البديل أو اللغة المزدوجة، لأن كل أسباب قيامها قد وجدت وأهم ذلك كله هو قيام الأدب باللغة العامية وتسابق الأثرياء وعلية الناس عليه وتشجيعهم له وتنافسهم على مؤلفاته. ولو اخترنا عصراً من العصور التي دونت فيها علوم العربية الفصحىٰ وأرسيت قواعدها وجمعت مفرداتها وليكن ذلك العصر، القرن الأول الهجري أو الثاني. وقارنا بينه وبين ما ألف في عدد من

السنوات في الوقت الحاضر لوجدنا أن ما ألف في هذه السنوات المحدودة في العامية من مؤلفات تزيد أضعاف الأضعاف بالمقارنة بما ألف في قرن كامل من عصور التدوين للفصحىٰ عندما وضعت أسسها وقعدت قواعدها وأرسيت أركانها وأخصبت في كل جوانب الحياة الفكرية والأدبية واللغوية. والإسراف في التأليف والنشر والتقعيد والتقنين للعامية والفكر العامي يحولها من لغة محلية منطوقة إلى لغة ثقافية ذات فكر وأدب وعلم وعندئذ تكون هي اللغة المستعملة الحية ويصير مصير العربية الفصحىٰ هي كتب الدين فتموت كما ماتت اللغات القديمة.

الفصل السادس

العامية والفكر العامي

الفرق واضح جلي بين شيئين اثنين هما العامية والفكر العامي.

فالعامية ضرورة مرت بها الأمة العربية في جميع أقطارها، حتى عزّ من يحسن القراءة والكتابة لافي الجزيرة العربية التي ركد نشاطها وتأثيرها منذ بداية العصر العباسي حتى العصر الحديث بل في كل أقطار العالم العربي حيث أصبحت الأمية منتشرة والعامية ضاربة بأطنابها حتى في أرقى عواصم العالم العربي وأعرقها حضارة وفكراً وأدباً، وأرسخها في ميدان الثقافة وأقدمها وجوداً في التأريخ، يقول الأستاذ سعيد الأفغاني عن دمشق عاصمة الخلافة الأموية: (كان يرد الكتاب بالبريد قبل سبعين سنة على صاحبه فيطوف على أهل الحي فلا يجد من يقرؤه)[1].

هذه حال الشام بعامة وحال دمشق بخاصة كما وصفها أستاذنا الأفغاني فما ظنك بحال الجزيرة العربية قبل سبعين عاماً. لقد مر هذا الحال وأشد منه أمية وبعداً عن المعرفة والقراءة والكتابة على جميع البلاد العربية ولاسيما في آخر العهد العثماني التركي بعد أن بدأت عملية التتريك الفعلي، وألغيت فكرة السلطان عبدالحميد وجمال الدين الأفغاني التي تنادي بجعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة العثمانية ولعل هذه الفكرة هي التي جعلت جمعية الاتحاد والترقي تسرف في عملية التتريك، (ويبرز إلى الميدان من نواياهم مالم يعلنوه قبل. فإذا بعصبية عنصرية تركية تملأ نفوس هذه الجمعية وتملي عليها تصرفاتها)[2].

---

(١) الأفغاني، سعيد، حاضر اللغة العربية في الشام، ط١ القاهرة ١٩٦١م ص١٦١.

(٢) المصدر السابق ص٣١.

وكانت الجزيرة العربية ــ ماعدا الحرمين واليمن ــ أكثر بلاد العرب بعداً عن التعليم ووسائله وبعداً عن التأثير الذي أخذ يهب على أطراف العالم العربي آتياً من الغرب، وكل مابقى لها ولسكانها كان السليقة العربية والحس اللغوي الذي أصابه كثير من العجمة والالتواء. وطغى البناء العامي والتركيب المخالف لقانون العربية الفصحى على الباقي من المفردات الفصيحة التي بقيت حية متداولة بين سكان الجزيرة الأميين.

وكان في قلب الجزيرة وأطرافها أحداث تشبه أحداث ماقبل الإسلام عاد المجتمع فيها إلى مجتمع قبلي تحكمه عادات وتقاليد ونظم عرفية اصطلح عليها وحافظ على الجميل منها وسارت حياته على مثال ماكانت تسير عليه حياة أسلافه الأولين. وعادت الحروب الدائرة والسلب والنهب والغزو في طلب الغنيمة. وصار الدفاع عن الجار وحماية المحارم أمراً يقوم به الفرد والقبيلة وتحكمه سيادة القوة.

وجاء الكرم والجود والشجاعة أسساً يقوم عليها بناء المجتمع العامي الجديد، وانتقض التركيب الإجتماعي الذي يجب أن يوجد مثله في مجتمع الأمة الإسلامية. وارتد إلى تركيب اجتماعي آخر مفكك الأطراف واهي الوسط ضعيف الاعتماد، وأصبح لهذا المجتمع نظمه وأعرافه وأساليب حياته، وقيمه الفاضلة الاجتماعية والسياسية.

ولم يستطع الأميون تجسيد تلك القيم ولا وصفها والحديث عنها باللغة الفصحى. فألجأتهم الضرورة إلى اللغة العامية واللهجة الدارجة التي فسد بناؤها الفصيح المطابق لأصله. وبقيت فصاحة ألفاظها ونقاوة أسلوبها. فسجل بها الشعراء الأميون شعرهم ومآثرهم وعاداتهم في الحرب والسلم ومع الجار والضيف والغريب. وانفعلوا بالأحداث التي يعيشونها فوصفوها كما رأوها، ولم يكن لهم في ذلك قصد غير العجز عن الفصحى وعدم إدراكهم لوجودها بله الحديث بها. واستمرت العامية أقرب إلى ألسنة الناس وأسرع إلى شفاههم حتى بعد أن أعاد الله لهذه البلاد شيئاً من وحدتها وأمنها

واستقرارها ولم ينقطع حبل العامية حتى بعد انتشار التعليم والتوسع في قاعدته وغلبة المتعلمين على مواضع التوجيه للفكر والثقافة والأدب والحياة العامة. وهذا أمر طبعي نعرفه منذ كانت اللغة وتعرفه لغات الدنيا كلها، تلك اللغات التي سجل تأريخ نشأتها وحياتها وقوتها أو استمرارها. فاختلاف مستوى الحديث بين الأمة صاحبة اللسان الواحد محسوس معروف، ولانعلم أن هناك لغة في الدنيا يتكلم الناطقون بها ويستعملونها على مستوى واحد من الفصاحة والبيان وإنما يكون هناك اختلاف جوهري في القدرة على استعمال اللغة وتكييفها، وتوظيف أغراضها. ولهذا السبب وجد في جميع لغات العالم الأدباء وعباقرة الفكر والكتاب والروائيون ومن دون ذلك من عامة الناس مستعملو اللغة الذين يلتقطون منها مايعبرون به عن حاجتهم وتردده ألسنتهم تلقائياً دون عناء ولا إعمال فكري.

ولتباين قدرات الناس واختلاف ملكاتهم اللغوية اختلف مستوى الفصحاء، فارتقى جانب من اللغة إلى أعلى قدر ممكن من الفصاحة وأصبح يشكل لغة البيان والأدب والفكر والفن. فنظم وقنن واصطلح على مقاييس واستعمالات تحكم استعماله. وسمي هذا الجانب اللغة الفصيحة.

أما مادون ذلك من طرق استعمال اللغة وكيفية الحديث بها فقد أهمل وترك بلا ضابط فانحدر إلى مسارب الاستعمال غير المنظم وتردد على ألسنة الناس عامة، وكان أوسع في الانتشار وأسهل وسمي هذا الجانب من اللغة «العامي» أو «الدارج».

والعامية لا مجال للقضاء عليها ولا مجال لإنكارها، ولا تخلو لغة من اللغات من وجود الراقي أو ما يصطلح على تسميته بالفصحى ووجود اللغة العامية. وذات يوم وأنا أكتب هذا الفصل أطلعت على صحيفة عرب نيوز [ARAB-NEWS] ــ اليومية ــ فإذا عنوان بارز يقول أفصح اللهجات في فرنسا فقرأت ما تحته، وإذا هو يحدد منطقة في فرنسا بأن أهلها

يتكلمون اللغة الفرنسية الفصحىٰ وأن على كل من أراد أن يتعلم الفرنسية بلا لكنة (لهجة) فعليه الدراسة في هذه المدينة [1].

وعن نشأت اللغات وتميز مستوياتها في داخل اللغة الواحدة تحدث عشرات الكتاب الذين أجمعوا على أنه لا توجد أمة تتكلم لغتها في مستوى واحد من الفصاحة وسلامة الاستعمال.

معنى هذا أن وجود العامية واستعمالها وانتشارها أيضاً أمر طبعي وليس في ذلك عيب ولاخطر على لغة الأمة الفصيحة، مادامت العامية ضرورة ووجوداً لابد منه وليست غرضاً يراد لذاته، ومادام العجز عن الفصحىٰ هو سبب التحول إلى استعمال العامية.

وهذا الحال عرفته اللغة العربية الفصحى منذ نشأتها وكذلك اللحن وكل من له اهتمام بعلوم اللغة يعرف الأثر المنسوب إلى الرسول «**أرشدوا أخاكم فقد ضل**» عندما أخطأ رجل بحضرته وتأديب عمر لكاتب أحد ولاته — أبى موسى — مشهور عندما أوصاه بقوله: **(قنّع كاتبك سوطاً)** ولحن الخليفة سليمان بن عبدالملك معروف أيضاً **(ياليتها كانت القاضية)**.

كل ذلك كان في الصدر الأول وقبل تدوين اللغة العربية وتقييدها ولم يمنع من وجود الفصيح وماهو دونه.

وقد أدرك أحد الباحثين المحدثين الفرق بين العامية والعوام فقال: (إننا ندعو إلى محاربة العامية على أي لسان وردت ولسنا نحارب ماينطق به العوام.... ففرق بين العامية وماينطلق به العوام[2].

---

(١) عرب نيوز WHERE "PUREST" FRENCH IS SPOKEN,
، عدد ٢٥٢، في ١٤٠٥/١١/٢٠هـ — ١٩٨٥/٨/٦م. (بالانجليزية).

(٢) الظاهري ، أبو عبدالرحمن بن عقيل، اللغة العربية بين القاعدة والمثال، ط ١٤٠١هـ، ص٥٨.

وهو صادق بوضوح الفرق بين هذين الشيئين واختلافهما وتميز كل منهما من الآخر، فما ينطق به العوام ضرورة وعجز عن استعمال الأفضل ولو استطاعوا غيره لارتفعوا إليه. والعامية على لسان العوام نحتاجها وتحتاجها اللغة الفصحىٰ حتى تتميز و يرى فضلها ورقيّها إذا قورنت بما يجري على ألسنة العامة من استعمال. وليس منها ضرر لأنها ليست فكراً ولاهوىٰ ولاموضع تقدير وإعجاب لديهم. والعامي لايرضىٰ بلغته العامية ولايعجب بها ولايصر على استعمالها، ويود لو يستطيع الأحسن فيستعمله. والأمثله على سمو الناس إلى استعمال اللغة الفصحىٰ متى أتيحت لهم أسبابها واستطاعوا إجادتها كثيرة نعرف بعضاً منها في واقع حضارتنا المعاصرة. فالشاعر محمد ابن عثيمين بدأ حياته الأدبية بنظم العامية والأدب العامي، حيث نشأ في بيئة عامية فرضت عليه الشعر بها ولكنه استطاع خلال تنقله في طلب الرزق والاتجار في البحرين وقطر ووسط الجزيرة التعلُّم وأجاد الفصحىٰ فارتقىٰ بأدبه وشعره إليها حتى أصبح شاعر الجزيرة العربية في وقته وارتفع عن الشعر العامي ولم ينظم منه شيئاً ولم يضمن ديوانه غير الفصيح من الشعر الذي كان فيه صدىً قوياً لحركة التجديد ونشاط الفكر والبعث الثقافي في جزيرة العرب[1].

ومثله معاصره محمد بن بليهد الذي قضى شطراً من عمره يتنقل في براري الجزيرة العربية ويعيش مع القبائل الضاربة فيها وقد تحدث عن حياته مع القبائل في كتابه صحيح الأخبار، وأسهب في وصف الكثير من عادات وتقاليد العرب إبان عصور الضعف السياسي والتمزق الذي أصاب الجزيرة وران عليها حقباً متتابعة، وكان أديباً في وصفه صادقاً في حديثه أميناً في نقله، شاعراً وهب ملكة الشعر فقال العامي وأحسنه واستمر عليه حتى بدأ عصر الاستقرار السياسي والوحدة في الجزيرة ونال شيئاً من العلم فاتجه إلى الأدب الفصيح العربي وارتفع إلى الشعر الخالد ولم ينظم بالعامية بعد الفصيح إلا القليل[2].

---

(١) انظر ديوانه.

(٢) انظر، الديوان، ابتسامات الأيام، وبقايا الابتسامات.

أما المثل الثالث فهو الشاعر المبدع والأديب المطبوع حسين سرحان وهو لايزال على قيد الحياة، وتستوي القدرة عنده على قول الشعر الفصيح والعامي، وقد نظم الكثير من القصائد العامية يجاري فيها أصدقاءه ويظهر قدرته على الإحسان فيها ولكنه لم يسمح لنفسه ولا لأدبه أن يشوبه شيء من الشعر العامي، وقد نشر له ديوانان من الشعر[1] الفصيح الذي أربى على الجودة ولم ينشر له قصيدة عامية واحدة رغم جودة شعره العامي وقدرته على التصوير وبلوغه الغاية فيما نسب له منه[2].

إذن العامية في هذا المعنى شيء لامفر منه وهو موجود وباق ولاخطر منه على كيان الأمة السياسي والاجتماعي واللغوي. وهي العامية في حدودها المعقولة المقبولة وحيزها الذي تحتله في كل لغة من لغات الدنيا. لأنها لاتملك فكراً ولا تنظيراً ولا آراء تصاغ من أجل تبرير استعمالها وتقنينها.

الفكر العامي :

العامية في حدودها وفي معناها السابق والعوام الذين لايحسنون غير العامية لاخوف منها على الفكر والثقافة ولاخوف منها على لغة الأمة الفصيحة. لأن العوام لايملكون فكراً وليست لهم أهداف وأغراض ولايعيبون لغة الأمة أو يؤثرون في ثقافتها، ولا ينتصرون للعامية التي يحسنون استعمالها.

والعامية والعوام والشعر العامي عاشوا في الجزيرة العربية منذ أمد بعيد ولم يعترض على وجودهم أحد ولم يتصد لحرب العامية ــ فكراً وسلوكاً ــ أحد، والسبب أن العامي من شعر ونثر، كان ترديداً وانشاداً يدور على ألسنة

---

(١) انظر الديوانين، أجنحة بلا ريش، والطائر الغريب.

(٢) حفظ له أحد محرري الصفحات أبياتاً من الشعر النبطي فنشرها وكانت من أجل الشعر العامي ولم يعد إلى نشر شيء من شعره العامي بعد ذلك. مما يدل على أنه قد منعه وأعلمه بعدم رغبته في ذكر شعره العامي ونشره، انظر الأبيات في البلاد. عدد ٤٧١٥ في ١٣٩٤/٧/٣٠هـ.

العوام الذين يحسون جماله الفني و يتذوقونه، ولم تكن العامية في ذلك العصر فكراً يجسد من أجل سيادته واستغلاله. ولم يكن لها مفكرون ومنظرون ومحبون ودعاة يجعلون الفكر العامي نداً لفكر الأمة الأصيل والعوام لايصفون العامية في مقالاتهم وخطبهم بالكمال ولايقولون بأن الفصحى عاجزة عن أداء مهمتها وعاجزة عن مجارات العامية[1] .

والحديث هنا ليس عن العامية، إنما هو حديث عن الفكر العامي الذي يتبناه المثقفون الذين يجعلون من العامية قضية فكرية جدلية يثيرون حولها الآراء و يدافعون عنها ويخططون بقدرة علمية وتنظيم فكري محكم لانتشار العامي في كل شيء لغة وثقافة وسلوكاً مستغلين أهواء الكثير من الناس الذين لايدركون الخطر الذي يدفعهم إليه مفكرو العامية ومنظروها، والفكر العامي الذي بدأت تنظم حواشيه في الجزيرة والخليج هو مصدر القلق والخوف لا على اللغة العربية الفصحى كما يظهر للباحثين والمهتمين بالدراسات اللغوية، لكنه مصدر قوي لتمزيق الأمة العربية الواحدة إلى أمم بعدد اللهجات التي تنتشر فيه، وتقسيم الشعب الواحد داخل الدولة الواحدة، في كل قطر عربي إلى أقاليم ولهجات عامية تحاول كل منها أن تسود غيرها من اللهجات وتنتزع سلطانها فيأبى أهلها إلا الإنتصار لها مقابل انتصار أهل الإقليم المجاور لعاميتهم، ونتيجة ذلك سيكون هناك شيء من الحميّة للهجة الإقليم والدفاع عنها والاستهزاء والسخرية بغيرها من اللهجات، ثم تقوم البغضاء والجدل والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة ويحرك هذا المبدأ فكراً إقليمياً يحارب لهجات الأقاليم الأخرى ويحارب أهلها. ولو لم يوجد مثال لتوضيح الخطر الذي يثيره الاهتمام بالعاميات واللهجات الإقليمية على بناء الأمة ووحدة الشعور بين سكانها إلا قضية التتريك المعروفة للجميع لكفى ذلك. عندما انتصر الأتراك للغتهم وحاولوا فرضها على غيرها فانتصرت

---

(١) انظر فحوى هذا القول في مجلة المجلة، تحت عنوان «لغتي العامية» هى فصحى الحياة، مجلة المجلة عدد ٢٥٠ في ١٤٠٥/٣/٨هـ.

الأمم الأخرى للغاتها وتحركت في نفوس سكان الأقاليم العثمانية الأخرى النعرة والغضب، وشرع كل قوم يدافعون عن لغتهم حتى تفككت الروابط بينهم وانقسمت الدولة إلى دول والأمة إلى أمم، ووقعت الأمة الإسلامية كلها في الفخ الذي نصبه الاستعمار لها وهو فخ اللهجات واللغات عندما أقنع المتحمسين من أبنائها بقضية التريك في باديء الأمر، ثم آثار في نفوس غير الأتراك النعرة حتى يقع ماوقع.

والاهتمام بالفكر العامي مصدر تشتيت وإرباك للذهن وبلبلة لن تنتهي عند حد لو ترك لمفكري العامية السير بفكرهم كما يريدون، فهم أولا لن يجتمعوا على لهجة عامية واحدة، وهم ثانياً لن يستطيعوا تنظيم اللهجة التي يريدون لها البقاء والاستمرار. لذلك سيكون تأخير تقدم الفكر الأصيل والعمل الموحد للرقي بثقافة الأمة ولغتها. وسيسقطون في النهاية بين المرحلتين. ولو حاول الباحث استقراء الفكر العامي السائد في صحافة الجزيرة والخليج في الوقت الحاضر، وتتبع نشاط مفكري العامية ومايعلنون ويصرحون به، لسهل عليه اكتشاف مايريدون ومايرجون تحققه في نهاية المطاف وإن كانوا غير قادرين على تصوره أو رسم أبعاده في الوقت الحاضر.

والمقدمات التي يطرحونها ويدافعون عنها ونشاهد الكثير منها في تصرفات مفكري العامية تقرِّب لنا إدراك النتائج التي سيصل إليها مسير الفكر العامي بعد عدد قليل من السنين، إذا سُمِحَ لأنصاره ومنظريه بالسير قدماً في خططهم وبرامج أبحاثهم ودراساتهم غير المنظمة وغير العلمية.

وسيعرف بعد ذلك أن الهدف ليس هو الإعجاب بالعامية. وليست أهميتها التأريخية هي الدافع ولكنه رغبة التقنين لها، وضبطها وإثرائها حتى تصبح لغة تفرض استعمالها على واقع المجتمع. وإن لم يكن هذا القصد وارداً في حسبان محبيها اليوم لكنه سيكون النتيجة الحتمية للتوجه الذي يسود كل ماينشر ويذاع ويشاهد من برامج مع الاستعداد في نفوس الناس والميل المتجذر في طبائعهم إلى استعمال العامية والإنحدار إليها.

قراءة في آراء محبي العامية :

لقد انقسم محبو العامية إلى فئتين :

الفئة الأولى : أعلنت أن اهتمامها بالفكر العامي آت من قيمة العامية نفسها ومن أهميتها وزعمت هذه الفئة أن في العامية تأريخ الجزيرة وأدبها ومايجعلها مكان العناية التامة والاهتمام المطلق وادعت أن العامية في حقيقة الأمر فرع من فروع الفصحىٰ لاخطر منه عليها ولاضرر من استعمالها وتدوينها ونشرها.

الثانية : عبرت عن آرائها بحكمة ودهاء ماكر وقامت نظرية دفاعها على التقليل من خطورة العامية واعتبار من يقول بذلك مبالغاً متحيزاً، واستخفت بمن زعم شيئاً من هذا القبيل. وهوّنت من شأن انتشار العامية وقللت من خطورتها على الفكر والثقافة. واتهمت الذين ينادون بشيء من الاقتصاد في استعمال العامية، اتهمتهم بالسذاجة وعدم الإدراك وسطحية الفكر، واعتمدت على التهكم بهم والسخرية من آرائهم والتقليل من شأنهم. وقد جنحت بأكثرهم العاطفة وأوقعتهم في أخطاء متناقضة سنشير إليها فيما بعد ــ إن شاء الله ــ وهذا استقراء لآراء هذه الفئة.

الفئة الأولى ومنطلقاتها الفكرية :

اعتمدت هذه الفئة على تلقط الآراء المتناثرة والأحكام العامة التي أطلقها بعض الأدباء والكتاب عن الفكر العامي أو الأدب العامي وأكثرها كان انطباعاً شخصياً أو مجاملة لابد منها، كأن يقدم للأديب أو الكاتب عمل عامي ويطلب منه تقديمه للقراء، فلايجد الأديب بداً من المجاملة والمدح ووصف العمل بما يرضي مؤلفه، وفي قوله بعض الصواب لأنه يتحدث في حدود المعنى الذي تضمنته المقدمة ولاضير بأن يعترف الإنسان بالحق الذي يعرفه للعامية عندما يكون الحديث كله في سياقه ومعناه، و بواعثه عن العامية وفي مجالها لامقارنة لها بغيرها أو بفكر لا تصل إليه. لكن منظري

العامية يأخذون مثل هذه الأقوال على أنها حكم فصل ينصر العامية والفكر العامي ويفضلها على الفصحىٰ ويعممون ذلك الحكم ويحمّلونه مالايطيق من المعاني ويذهبون به كل مذهب يخدم الدعوة ويبعث الإقتناع بالفكر العامي المنظم ويحاولون إقناع الناس بأهميتها. وهذا هو الفرق بين استعمال العامية لمن لايعرف غيرها وحديث من يذكر مايعرف عنها في حدود المجاملة، وبين الفكر العامي الذي يجعل للعامية مفاهيم ثقافية وفكرية. وهو مايحاول هذا البحث توضيحه وكشفه كما هو. مثال ذلك ماورد في مقدمة أحد الأعمال العامية من مثل هذا القول: (والهائم بالأدب، المولع به المتابع لجيّده، يجد في الشعر العامي متعة لايجدها في الشعر الفصيح إذا لم يكن من أهل تلك الثقافة. ويزيد من حرصه على حفظه وترديده وتقليده مايجده فيه من قرب لهجته ومن صدى لما يدور في نفسه مما يصور عاطفة صادقة وحساً فطرياً شفافاً ومايجد فيه من تصوير لفضائل تتجاوب مع ماعلمه في الصغر وما رُبّي عليه يافعاً، والشعر العامي بلغ في الجودة لإتاحة أسبابها له مالم يبلغه إلا القليل من الشعر الفصيح بصورة شاملة لا بالصورة المحدودة حالياً. ومالم يأخذ مكانه ويزاحم في منطقتنا العامي، فسوف يبقى الشعر العامي مطلوباً مبجلاً، للمميزات التي تكمن فيه وأهمها القوة في تصوير المشاعر والجري مع السليقة، والبعد عن التكلف والوصف الصادق لما يدور في النفس والمجتمع تجاوباً مع أنّاته وبسماته).[1]

هذا النص تسابق عليه مروجو الفكر العامي واجتثوه من أساسه وقطعوه من معناه ووضعوه مع صورة كاتبه تحت عنوان بارز **(بين الفصحى والعامية)** وكأن الغرض منه مقارنة الفصيح بالعامي وترجيح كفة العامية على الفصحىٰ والحكم لها ولأدبها على العربية وأدبها، وغضوا الطرف عن تمام الفقرة التي توضح هدف الكاتب وتبين رأيه الحقيقي في قضية العامية والفصحىٰ وتمام النص الذي قطعه ناقلو هذه الشريحة، تقول: **(وحق**

(١) الجزيرة، عدد ٤٤٥٣، ١٤٠٥/٣/١٥هـ، وأنظر اليمامه عدد ٨٢٥، ١٤٠٥/١/٢٩هـ وغيرهما من الصحف والمجلات.

الفصحىٰ وهي لغة القرآن ووعاء الدين، أن يعتنى بها وألا تزاحم، والشعر الفصيح جانب من جوانب أدبها يسعدنا أن نراه يوماً قوياً عملاقاً كما كان، **يأخذ الحيز الذي يحتله اليوم الشعر العامي،** ولكن هذا لايتم إلا إذا **وقفنا أمام وسائل خذلانه،** التي تكالبت عليه وهو في ضعفه لتقضي على البقية الباقية منه، ولتطفىء شعلة الأمل التي أضاءت عند بعض الشعراء الفطاحل الذين أناروا ميدان الأدب في أول هذا القرن، وسلموا المشعل إلى أيد أمينة لاتزال تمد بعطائها نفوساً ظمأى إلى مثل هذا العطاء الجيد وتنير الطريق وتبدد الدياجير التي خيمت زمناً على الأذهان ويسير في الطريق الموصل غير آبهة بالدعوات الملفقة التي تنادي بالاتجاه إلى شعر ممسوخ هو عدة شعراء أقدامهم أضعف من أن تقف بهم مع المتسابقين، بله أن تجري بهم في ميدان السباق، كلما احتضرت دعوة نشاز أعقبتها أخرى. حتى امتلأ ميدان الأدب بأشلاء أمثال هذا الشعر وجيفه ممثلاً في دواوين منبوذة أو مجلات تحتضر لولا الدعم السخي من جهات يهمها أن تؤثر تأثيرها السيء لكن النهاية لمن يحمل القوة الحقيقية في طياته متغلغلة في لحمه وسداه لا ألوانا مطلية على الظاهر لا تصمد للمحك ولا تثبت أمام اللمس)[1].

المقارنة بين النص الذي اختاره منظرو العامية ورسموه في الصحف والمجلات السيارة وبين مجمل آراء الكاتب التي عبر عنها في المقدمة تبين مذهب أصحاب الفكر العامي الجديد وتبين استغلالهم الإعجاب بالعامية وبأدبها وجمالها الفني عند من يعرفها من سكان الجزيرة. ومنحاهم إلى تحوير هذا كله إلى قضية فكرية تزرع حب العامية في نفوس الشباب[2]

---

(١) الخويطر، عبدالعزيز، مقدمة شعراء عنيزة النبطيون. المطابع الوطنية ط١ ١٤٠٤هـ.

(٢) نشرت بعض الصحف المحلية في صفحاتها الشعبية سلسلة من المقالات تحت عنوان «على مسؤوليتي» أختير تحت هذه الزاوية أراء كبار الكتاب والمسؤولين، حول الشعر العامي، وكانت هذه الآراء مقتبسة من مقدمات دواوين عامية مضى على بعضها أكثر من عشرين عاماً.
انظر جريدة الجزيرة عدد ٤٣٤١، ٤٣٤٨، ٤٣٦٩ في ١٤٠٤/١١/٢٠هـ، ١٤٠٤/١١/٢٧هـ، ١٤٠٤/١٢/١٩هـ.

المتجه بكل حواسه إليها. وتتخذ من الأسماء ذات القيمة الاجتماعية والعلمية طريقاً إلى عقول الذين ليس لهم من العلم و بعد النظر مايفرقون به بين العامية والفكر العامي، حتى يقتنع من لامعرفة لهم بالتدليس والتحوير بأهمية الفكر العامي وقوة العامية وضعف العربية وانكماشها و يأخذ رأي الكاتب دليلاً يدافع به عند الحاجة إليه.

والأهم من ذلك كله تصرف تلك الأقلام بفكر الكاتب تصرفاً يخدم الغرض الذي يسعون إليه ويمهد الطريق أمام انطلاق الإقتناعات الفكرية بجدوى العامية، و يبتر السياق و يظهر الحكم الجانح إلى العامية وهو مالم يخطر ببال الكاتب و يكفي أن تقرأ هذا من النص الأول الذي اختاروه وأعلنوا عنه في صفحاتهم العامية **(والشعر العامي بلغ من الجودة لإتاحة أسبابها له مالم يبلغه إلا القليل من الشعر الفصيح)** وتنظر إلى تمام النص الذي أهملوه في النقل الثاني فتجد خلاف ماأظهر النص الأول من قصد، بل تجد أن الكاتب قد أشار إلى أن الاهتمام بالعامية يزاحم الإهتمام بلغة القرآن، فأهاب بأن يقف الناس في وجه وسائل خذلان الأدب الفصيح والإشارة والسياق يجعلان المعنّي بوسائل الخذلان هذه التي أرادها الكاتب هو الشعر العامي ليس إلا.

وقد أصبحت آراء الأدباء والعلماء نهباً لمروجي الأفكار العامية حين وجدوها أقرب الطرق إلى إقناع العامة وتبرير الفكر العامي وترسيخه في أرض الواقع مستغلين شهرة الأديب في ميدان الإبداع الأدبي. محاولين جرّه إلى مهابط أفكارهم الجزئية. مثلما صنعوا بمقدمة الكتاب الذي مر الحديث عنه قريباً. أتوا بمقدمة أخرى لأحد كبار كتاب المملكة العربية السعودية وأدبائها المشهورين كتبها لديوان شعر عامي قبل عشرين عاماً. عندما كان الفكر العامي وأهله لاوجود لهم، ولا أثر للفكر العامي في حياة الناس وليس هناك اتجاه عارم للعامية. يقول النص (عنيت الشعوب والأمم بالحفاظ على تراثها من جميع نواحيه لأنها رأت فيه مايهيء للباحثين معرفة

كثير من الجوانب المتعلقة بماضي الأمة أو الشعب من أخلاق وعادات وتقاليد وعلى أساس هذه الأمور يقوم كيان الأمة أو الشعب. وفي الآونة الأخيرة اتجهت الدراسات العربية إلى تراث العرب إتجاهاً حمل كل قطر أو أمة إلى العناية بما يخصها من ذلك التراث، غير أن بعض العلماء والباحثين وقفوا حيال ذلك وقفة المستريب فبعضهم يرى أن العناية بدراسة بعض نواحي هذا التراث خاصة اللهجات المحلية كان الحافز لها أمراً ليس من صالح الأمة بل إحياءً لنعرات وعادات مختلفة قصد من ورائها ايقاع الإختلاف وإيجاد الوسائل التي تضعف كيانها وتوقع الفرقة بين أجزائها. فهذا أحد الباحثين عندما قرأ مجموعة من الشعر العامي النجدي كتب يقول: (لم نجد فيه شيئاً يتنعم به الفكر أو القلب وقد تعجبنا كثيراً من قول جامع الديوان في مقدمته (وبعد فلابد لمن يدرس الأدب العربي وتأريخه وتطوراته أن يبدأ بدراسة الأدب العامي في نجد في الوقت الحاضر لأنه صورة صادقة على ماكان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي) لا والله ليس هذا الأدب أدب التطور ولكنه أدب التدهور وحرام أن يشبه به شعر الجاهلية وحرام أكثر من ذلك أن يطبع هذا الزجل الغث للفخر فما أجد لطبعه إلا فضيلة واحدة، العلم به للحذر منه، إنه أدب العامة أدب الانحطاط الذي يوجد مثله في كل قطر ولم توجد المجامع اللغوية إلا لتنقذ الشعوب من هذا اللون من الأدب. بينما يرى باحث آخر أطول منه باعاً في الأدب يرى في هذا الشعر من الأصالة والمعاني مايحمله على تفضيله على الشعر العربي في هذا القطر.

وللعلامة ابن خلدون رأى يحسن إيراده قال في الكلام على شعر العرب في عهده (ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون عن ذلك، والكثير من المنتحلين للعلوم في هذا العصر خصوصاً علوم اللسان، يستنكر هذه الفنون التي لهم، إذا سمعها ويمج نظمهم — إذا أنشدوا ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الإعراب منها وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد

له طبعه وذوقه ببلاغتها إن كان سليماً في فطرته ونظره وإلا فالإعراب لامدخل له في البلاغة إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالاً على الفاعل أو النصب دالاً على المفعول أو العكس وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو في لغتهم هذه فالدلالة بحسب مايصطلح عليه أهل الملكة فإذا عرف إصلاح في ملكة واشتهر صحة الدلالة وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولاعبرة بقوانين النحاة في ذلك. وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ماعدا حركات الإعراب في أواخر الكلم فإن غالب كلماتهم موقوفه الآخر ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلمات لابحركات الإعراب. انتهى رأى ابن خلدون.

وإذا نظرنا إلى أن الأمة العربية أصبحت تحل اقطاراً غير مهدها الأصلي وكانت تلك الأقطار تسكنها شعوب ليست عربية، لها تقاليدها وعاداتها ولغتها التي تختلف في كل شيء عن الأمة العربية وأن العرب بعد أن سكنوا تلك الأقطار قضوا على مالسكانها القدماء مما لايتفق مع ما للأمة المعربية الإسلامية من تقاليد وعادات.

أما مهد العرب الأصلي الذي هو جزيرة العرب فإن جميع مافيه من تراث هو عربي قح خالص بخلاف مافي الأقطار الأخرى. ولهذا فإن التراث الشعبى في بلاد العرب الأصلى يختلف عن تراث الشعوب التي ورثها العرب في الأقطار التي استولوا عليها وسكنوها وأصبحت تعرف بهم وعلى أساس هذا الاختلاف ينشأ الاختلاف في التراث الشعبى، فهو في مهد العرب جزء من حياتهم قديمه وحديثه والعناية به عناية بتأريخ العرب أنفسهم ولهذا فإن القول بعدم جدواه قول لايقوم على أساس)[1].

هذا النص الذي نبش من طيات الكتاب الذي احتواه وأعيد طرحه من

(١) الجاسر، حمد، مقدمة ديوان شاعرات من البادية، وانظر أيضاً الجزيرة، عدد ٤٣٦٩ في ١٤٠٤/١٢/١٩هـ.

جديد شاهد آخر بأن الاهتمام بالعامية و بأدبها وفكرها وتأريخها لم يعد عفوياً بل أصبح رؤية فكرية لها أبعاد ومضامين وأهداف ترمي إليها ولابد من الاهتمام بهذه المضامين والأبعاد للفكر العامي، حتى تتجنب الثوابت من فكر الأمة الخطر الذي ينشأ عن هذه الاتجاهات المقننة. وهذا تمام النص لكي يظهر رأي الكاتب الصحيح المحترز، حيث أدرك قبل عشرين عاماً مانُعاني منه في الوقت الحاضر، وحذَّر من خطورة اهتمام كل قطر عربي بتراثه الخاص وفي ذلك يكون القضاء على الروابط المتينة بين الأمة العربية، يقول تمام النص: (أما دراسة تراث الأقطار الأخرى الموروث الكثير منه عن أمم وشعوب بعيدة كل البعد عن العرب وعن عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم فلاشك أن في إحيائه إضعافاً للتراث العربي الأصيل. **وهذا مايجب أن نحذر منه بل يجب أن يقضى عليه،** إذ في القضاء عليه تقوية للروابط بين الأمة العربية في مختلف أقطارها)[1] .

وقد شاهد الكاتب بعينه في ندوة تخطيط ودراسة التراث الشعبى كل البلاد العربية التي حذر من اهتمامها بتراثها وأدبها العامي الموروث شاهدها تُؤمَرُ بأن تحي تراثها العامي وتقوم عليه وتعنى به كل الاعتناء ولا تتركه للضياع[2] .

وإذا كان مروجو الفكر العامي قد فرحوا بهذا النص و بعثوه حياً في صفحاتهم العامية فإنه من حسن الحظ أن الكاتب وهو أحد كبار أدبائنا لازال حياً يعطى عطاء فكرياً ممتازاً وكتابته لهذه المقدمة في ظروف سابقة وفي وقت لم يكن للحركة العامية أثر ولا وجود ولا كان لها أنصار ومحبون. لكن بعد أن بعث مفكرو العامية النص وأعادوه إلى الأذهان، أصدر الرجل

---

(١) انظر مقدمة شاعرات من البادية،ص ٩٥ز

(٢) انظر توصيات ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي، مجلة المأثورات الشعبية، تصدر عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، العدد الأول السنة الأولى ١٤٠٦هـ ص١٢٤.

نفسه رأيه الأخير وقال كلمته التي لن يقتبسها أصحاب الفكر العامي ولن يشيدوا بها يقول عن الأفكار العامية: (ماكنت أريد الحديث عن الشعر العامي بعد أن أصبح الحديث عنه ممجوجاً، إذ أفسده الرواة في أيامنا الأخيرة بحيث أصبح أكثر ماينشر منه ويذاع من قبيل الغثاء الذي لانفع فيه ولا فائدة) [1].

ولعل الفساد الذي عناه هو هذه الروح التي يحس بها القارىء عندما يقرأ آراء ونظريات أنصار الفكر العامي حيث أفسدوا سلاسة الشعر وبساطته وبساطة قائليه بأفكارهم وتطلعاتهم التي حمَّلوُها العامية.

أما النص الثالث الذي يتكىء عليه أنصار العامية فهو مقدمة أيضاً لديوان شعر عامي كتبها أحد أدبائنا المتعاطفين مع هذا الشعر فقال (الصلة التي تربطني بشعراء الأدب الشعبي ورواته وهو أنه ليست مجرد أنني أعشق هذا الفن وأتذوقه بل لا أستطيع أن أتجاهل أنني أنظمه وأنقده وأرويه على مستوى أترك الحكم له أو عليه لأهل الفن أنفسهم إذن فهي صلة زمالة ورابطة منهج ويخطىء من يظن أن هذا الرافد من الثقافة عرق يزاحم جذور المدّ الثقافي ويمتص من مادة نموه وبسوقه. إن شعراً وأدباً يعبر عن حياة أمة ويحفظ تأريخ أجيال ويرويه الملايين من العرب ويتأثرون به ويتنافسون فيه مايزيد على خمسة قرون لجدير بأن يحتضنه الفكر العربي ويدرسه دراسة شاملة يستخرج من كنوزه ومخبأته ماظلت المكتبة العربية فقيرة إليه متشوقة إلى وجوده إن احتضان ذويه من شعراء ورواة وهواة وإحياء نوادي سمره وليالي تجلياته والاستفادة من غرره ودرره لمطلب يقتضيه إحياء تراثنا ويتطلبه الحديث عن أمجادنا ويجب أن نفتح عليه أعين ناشئتنا بل أدعو من لم يتذوق هذا الفن ولم يتشوقه أن يمارس مناغاته ويروض نفسه على دراسته) [2]. أما تمام الحديث فهو (ولما للشاعر الشعبي... من الدالة عليّ

---

(١) الجاسر، حمد، الجزيرة، عدد ٤٤٧٢ في ١٤٠٥/٤/٤هـ.

(٢) تراث الجزيرة الشعبي، الجزيرة، عدد ٤٣٤٨، في ١٤٠٤/١١/٢٧هـ.

بحكم اللقاء على درب الأدب الشعبي كما لغيره ممن أشرف بزمالتهم في هذا المهيع رغب أي نواجه القراء العرب معاً على صفحات ديوانه هذا)[1].

نعيد ماذكرنا سابقاً وهي أن هذه مقدمة كتبت لديوان شعر عامي مؤلفه صديق للكاتب وزميل له كما ذكر. وهل يتوقع أحد أن يكتب مقدم الديوان غير ماكتب. وقد كان الحديث منذ خمس عشرة سنة قبل أن يكتشف محبو الفكر العامي أن أمجادنا وتأريخنا وجذورنا هي مايحفظ التراث العامي وتمام النص الذي قطع عندما أشيد بالجزء المناسب منه للدعاية العاميَّة يتمم المعنى المراد ويكمل الوجه الذي دفع الكاتب إلى رأيه في الأدب العامي والنص لكاتب لايطمع أهل الثقافة العامية بأقوى منه حجة بأيديهم. ولا اعتراض على رأي الأديب الذي نجلُّه ونعترف بعلمه وفضله، ولانشك في إخلاصه وغيرته على ثقافة أمته ووحدة العرب التي لم يبق منها غير اللغة الفصحىٰ وثقافتها. ونعذره لأنه يكتب رأيه مقدمة لعمل خاص يقتضي الواجب وحقوق الزمالة إطراءه وإظهار محاسنه. لكن ماوجه العذر باستلال النص من بين دفتي الكتاب الذي أعدَّ له وإغفال الإشارة إليه ونسبة النص صريحة إلى كاتبه، ورسمه وإعادته مبتوراً من سياقه في جريدة سيارة يقرؤها عشرات الآلاف من الشباب الذين ليس لهم علم بمناسبة الحديث وليست لهم حصانة فكرية يعرفون بها الحق من الباطل في هذه القضية، وأكثرهم يتخذ من كاتب المقدمة ــ التي صيغت وكأنها فكرة فطير له الآن ــ قدوة ومثالاً للنجاح. ووضع هذا النص أمامهم مجرداً من نسق الحديث ومحتويات الكتاب ومناسبة الطرح، يجعل الإنسان المتابع لقضية العامية والفكر العامي يصرُّ على أن القضية تحولت من الإعجاب والهواية والبساطة التي كانت لها إلى ضرب من الاقتناعات الفكرية، التي ستصبح العامية بها لغة قومية تزاحم العربية الفصحىٰ ثم تقضي عليها في أسوأ الاحتمالات أما أحسن الاحتمالات فإن مدّ العامية سيؤخر الارتقاء بالفكر السليم الراقي، ويجعل

---

(١) ابن خميس، عبدالله بن محمد، مقدمة ديوان التميمي، ط١، ١٣٩١هـ.

واجهة هذه البلاد واجهة عامية كما هو حاصل في الوقت الحاضر. والدليل على أن الواجهة الثقافية أصبحت تتبلور في الثقافة العامية مايدور في الساحة منذ أربع سنوات حول الفصحىٰ والعامية وكذلك مانسمع ونقرأ عن بعض الأدباء العرب الذين يقدمون إلى هنا من أجل الزيارة أو العمل، فلا تكاد تناقش أحداً منهم عن قضايا الثقافة والفكر في الجزيرة حتى يحوّل الحديث إلى الأدب العامي وكأن الجزيرة لا تعرف غيره ولايوجد فيها سواه.

وقد حدثني أحد الســـــذج في المملكة العربية السعودية باقتناعه بأن الناس في الجزيرة لايستطيعون التفوق في الفكر والأدب الفصيح ولايستطيعون مجاراة أدباء البلاد العربية، مصر، والعراق، والشام في هذا المضمار. ولكنهم يستطيعون التفوق عليهم في الأدب العامي «النبطي» كما يقول. هذا الرأي الضعيف هو مايجعلنا نقول: إن الوجه البارز لثقافة سكان الجزيرة أصبح هو الأدب العامي وأصبحت تهمة العطاء الضعيف في الفصيح من الأدب تصدق على الكثير من أدبائنا لأنهم مالوا إلى العامية واشتغلوا بها حتى أصبحت تفرض نفسها في أكثر من مجال، مجال الصحافة، مجال التأليف، مجال الإذاعة، مجال الفخر، وتستمد قوتها من المجالس العامة والخاصة لكبار شخصيات المجتمع وأثريائه، مما جعل بعض الذين لايحسنونه من بقية سكان المملكة يحاولون مجاراة من يعرفه ويحسنه، و يظهرون التملح بأدب العامة والحديث عن شعرها ونثرها.

وإليك دليل آخر على ما أصبح للفكر العامي من تأثير على فهم الأدباء والمثقفين ثقافة عريقة وهو نص كتب مقدمة لديوان شعر عامي فهلل له أنصار الفكر العامي واحتفوا به أيما إحتفاء يقول: (الشعر العامي في نجد نافذة نطل معها على حقبة من تأريخ رقعتنا لانعرف منه إلا ماسجله هذا الشعر عن الحياة الاجتماعية والعقلية والأحداث التأريخية التي يذكرها الرواة إذا أنشدوا محفوظاتهم من جيد شعرنا الشعبي و يتجانف كثيراً من يربط الدعوة إلى العامية بالاهتمام بالأدب الشعبي لأنه لايلزم من التأريخ

لأمة ــ بشعرها الشعبي ــ الدعوة إلى لغتها الدارجة. لأن في الشعر العامي نواحي كثيرة ــ تهم المؤرخ والباحث ــ غير مجرد العامية. كما أن دراسة هذه العامية وإرجاعها إلى أصولها ضرورة حتمية يجب أن تدخل في مناهج الأدب والتأريخ، لأن فضح العامية وتمييزها عن الأصل الفصيح خدمة للضاد بلا مراء.

ويجتث هذه التهمة أن المهتمين بالأدب الشعبي في بلادي معروفون بغيرتهم على الفصحىٰ والدعوة إليها ولست أعرف من أبناء وطني كاتباً أبلغ منهم في انتقاء اللفظة وارتيادها من بطون المعجمات وإذن فلا غضاضة على من يجوس خلال الشعر العامي ــ باحثاً ومنقباً ــ غير مستبدل الفصحىٰ ولامساوم عليها. ونشترط على من يجوس هذه الخلال ألا يتوحل و يريض فلا يذكر إلا إذا ذكر الأدب الشعبي. وأستدرك هنا أمراً آخر فأقول: إننا نظلم الشعر العامي إذا حصرنا مهمته في الناحية التأريخية لأننا نجد فيه متعة تبعثها مقومات العمل الأدبي المعروفة لاسيما إن كان في مستوى مايقول «ابن سبيل» و«راكان» و يشدني إلى هذين ميزة يختصان بها في انتقاء العبارة التي ألتذ لطنينها في الأذن غير عابىء بمخالفتها للمقايس اللغوية والنحوية، وغير داع لمحاكاتها إلا بما تضبطه المقاييس من القادرين على الأخذ بناصية البيان)[1]. ثم يستمر ليعيب شعر اليوم فيقول: (ومنذ طلائع نهضتنا الحديثة بدأ يفسد الشعر العامي لأن أصحابه أفسدوا لغته بالألفاظ والتعبيرات المستحدثة الوافدة)[2].

والنص منسوب لأديب قدير متعدد المواهب معروف بخوضه للكثير من العلوم الفكرية والفنية وهو يقرر إنطباعه عن جمال العامية في الماضي وفسادها واختلالها في الحاضر، ولكنَّ حكمه الذي لايتفق مع اتجاه أنصار العامية بتر ولم يجد مختطف النص بأساً من حذفه دون الإشارة إليه وفصله من معناه ومحتواه.

(١) تراث الجزيرة الشعبى، الجزيرة، عدد ٤٣٤١ في ١٤٠٤/١١/٢٠هـ.

(٢) الظاهرى، أبو عبدالرحمن بن عقيل، انظر مقدمة ديوان التميمي جـ٢، ص١٨.

ولا أشك في ذكاء مروجي الفكر العامي ودقة اختيارهم. عندما يتنخلون نصوص الأدباء وأهل الرأي من بطون الكتب والدواوين و يعيدون طرحها على الملأ وكأنها وليدة الساعة ويختارون منها أدقها وأقربها ملمساً في نفوس الناس دون رحمة بكاتب النص أو رفق به. وهذا هو منحى الفكر الذي يتبناه أنصار العامية. المنحىٰ الذي أخرجوها به من حيزها الذي كان لها إلى محيط واسع قد لاتتوفر أسباب استيعابه في فكر العوام ولافي أذهان المروجين للعامية.

وبين يدي نصوص كثيرة على شاكلة ماذكر آنفاً من استشهادات إلا أنَّ مامر يكفي دليلاً على أن العامية لم تعد لغة ولهجة وشعراً كما كانت ولكنها بدأت تأخذ مساراً على أيدي مفكريها يؤثر بها ويجعلها مؤثرة على مستقبل الجزيرة العربية الثقافي ويخضع حركة العلم والأدب التي بدأت تنتعش في السنوات الأخيرة لها حتى يتسع مدارها وآفاق نشاطها الإنساني والجمالي.

الفئة الثانية :

ينتقل البحث إلى فئة من الكتاب تصدت لمناقشة قضية الفكر العامي في الصحف والمجلات واتخذت موقفاً تبلورت أبعاده ونظرياته من خلال عدد من المقالات التي تعرضت لمناقشة الآراء المطروحة حول الفصحىٰ والعامية. ولما كان صاحب الغاية قد يسلك إليها أكثر من طريق لاسيما إذا كانت تلك الطرق تقوده إلى غايته. لذا كان من الأمانة العلمية ومن العدل أن تناقش أفكار هذه الفئة ونظرياتها في ضوء المنهج العلمي بعيداً عن الحماس المتأجج بعاطفة الهوىٰ الذي صبغ بعض تلك الأفكار، وأخرجها من أرض الواقع وجردها من المنحى العلمي السليم.

ولعل من يلتمس لهذه الفئة عذراً في موقفها الفكري من الثقافة العامية، يجعل في الاعتبار حبها للأدب العامي وتذوقها لجماله وإحساسها إحساساً عميقاً بقيمته الفنية.

وسبب استيلاء الحب للتراث العامي عليهم هو أن أذهانهم خالية من أي جمال فني آخر. والأدب العامي لايخلو من جمال فني وقيم اجتماعية عبر عنها بعض شعراء العامية القدامى تعبيراً جيداً جعلها تستحق الاهتمام في نظرهم. وقد رأتْ هذه الفئة أن من واجبها حماية العامية عندما تتعرض للنقد، فانبروا للدفاع عنها معتقدين أن مايفعلون من ذكر وتمجيد لها والتعريض بعجز ماسواها صواباً وواجباً يفرضه عليهم رأيهم الذي يعتقدون.

والدفاع عن وجهة النظر يعدّ حقاً يجب أن يتمتع به كل إنسان إذا أهّل نفسه للحديث عن قضايا الفكر وشؤون الحياة ويجب أن يحترم وأن يسمع وألا توصد الأبواب أمامه. كما يجب إدراك قيمة الرأي الآخر واحترامه.

والنقاش الذي سيتعرض له هذا البحث سيكون قائماً على دراسة النصوص التي كتبتْ وأعلنتْ، ولن يكون حكماً على النيات مع الافتراض أن بعض الآراء التي ستناقش خان كتابها التعبير المناسب عما يريدون قوله ولم يحالفهم الحظ في الحديث المحدد عما يحبون شرحه، فجنحت بهم أساليب الطرح الصحفي الذي ألفوه وعرفوه إلى مزالق قد لايعنونها بالضرورة. والدفاع عن قيمة الفكر العامي لدى هذه الفئة لايعني أنها تناصر العامية أو أنها تبيت للفكر العربي وللثقافة العربية شراً. إنما كانت تنساق للتعبير عن قضايا فكرية لاتستطيع إدراك أبعادها، ولا النتائج التي يؤول إليها الاهتمام الزائد بالأفكار العامية، وحتى لايفسر موقف هذا البحث بالتحامل ضد أفكار هذه الفئة اتساقاً مع مايمكن أن يمليه الموقف المعارض، فسنفسح المجال لنماذج من أقوالهم، التي حاولوا فيها التقليل من خطر نشر الفكر العامي والثقافة العامية، وهوّنوا من مضارها ومايترتب عليها من آثار، مبررين وجود العامية لغة وأدباً وثقافة مدّعين أن ذلك من ضرورات الحياة.

يقول أحدهم: (ضمن سلسلة الحوارات «البيزنطية» التي تصدعت بها رؤوسنا وإلى جانب الحق الذي لم يحسم بين الأدب التقليدي والأدب

التجريدي ـ هناك حوار آخر فارغ المحتوى حول «الأدب الشعبي» وهو فارغ المحتوى لأنه لم يناقش حتى الآن بأسلوب علمي يقوم على أساس منطقي. فالرافضون يبنون رفضهم بناءً على قناعات جاهزة غير قابلة للحوار والمناقشة مدعين أن الأدب الشعبي والشعر منه خاصة هو أداة لهدم اللغة العربية، وأن الترويج له هو عمل يخدم أهداف «القوى الاستعمارية العالمية» في تذويب الشخصية العربية وإفقادها لهويتها ويزعمون أيضاً أن الترويج لهذا الشعر الذي ينظم ويكتب ويطبع باللهجات العامية إنما هو امتداد لدعوات الكتابة بالعامية ليتكون لدينا في النهاية اثنتان وعشرون لغة في العالم العربي، وداخل الدولة العربية الواحدة من ذوات المساحات الكبرى. ويرفض البعض الشعر الشعبي باعتباره أسلوباً متخلفاً للتعبير، لايناسب روح العصر. ومعظم أصحاب هذا الرأي الأخير هم من الشباب الذين يمكن تصنيفهم بخانة «وش هالطويرات بداركم» وفريق المؤيدين للاهتمام بالشعر الشعبي فإنه فيما عدا جهود بعض العلماء الأجلاء من أمثال حمد الجاسر وعبدالله بن خميس فإننا لانجد من يرد على الرافضين رفضهم بأنهم وصلوا إلى مرحلة الغلو المرفوضة، فمن ناحية فإنَّ استصدار قرار رسمي يمنع الاهتمام الاعلامي بالشعر الشعبي لن يكون له مفعول السحر **الذي يجعل الناس يتحدثون باللغة العربية الفصحىٰ بين ليلة وضحاها.** ومن ناحية أخرى فإن اللغة العربية في مأمن من الضياع والاندثار مادامت هي لغة التعليم والإعلام وقبل كل شيء فهي لغة القرآن الكريم، إذ لاخشية عليها مادامت آياته عالقة في أذهان الناس يرددونها كل يوم في صلواتهم، ومن ناحية ثالثة فإن الشعر الشعبي مازال هو وسيلة **التعبير الوحيدة المتاحة لقطاعات عريضة** من الناس لم تنل نصيباً كافياً من التعليم الذي يمكنها من الالتزام بقواعد النحو والصرف عند التعبير عن عواطفها.

ومن ناحية ثالثة فإن الشعر الشعبي مازال هو العمود الرئيسي للفنون الشعبية التي تلتحم تماماً بأحاسيسنا وعلى سبيل المثال فإنه لايمكن تصور

أداء لون «السامري»[1] **بقصيدة عربية فصيحة و«السامري»** مازال موجوداً في بيوت الناس يؤدونه في أفراحهم وعطلاتهم ولم ينتقل بعد إلى المتاحف ومحفوظات إدارة الآثار وأخيراً فإن لدينا الرأي الذي أثبته ودافع عنه كل من الجاسر وابن خميس في أن الشعر الشعبي كان **مصدراً أساسياً في التعرف على أحوال البلاد تأريخياً وجغرافياً** من أزمان لم تعرف التدو ين الكتابي ولولا ماتناقله الرواة وتغنى به الناس لظل جزء كبير من تأريخنا طي النسيان وفي خانة المجهول، وإذن فإن الشعر الشعبي كان جزءً هاماً من ذاكرتنا»[2].

هذا مثال لتوظيف الفكر العامي والدفاع عن قضية غير مطروحة ولاوجود لها في الواقع، لذا فقد زاوج الكاتب في رأيه بين تأييده المطلق لنشاط العامية والتعريض بعشوائية من يتصدى للدفاع عن الثقافة الأصيلة، ثم لم يلبث وهو في سبيل سرده للحجج الواهية التي أوردها و بنى عليها دفاعه عن العامية حتى طمأن الخائفين من طغيان العامية على مصير الثقافة بأن خوفهم غير حقيقي وأنهم مسرفون في التشاؤم، وانتهى إلى نقطة ارتكاز يقوم عليها فكر هذه الفئة وهو أن اللغة العربية لغة القرآن وأنها محفوظة به. ولاداعي لعمل شيء نحوها. وماعلينا إلا أن ننتظر مصيرها.

و بالمقابل فالكاتب لم ينس أن يوجه اللوَّم إلى المدافعين عن ثقافة العرب والدّين لأنهم في رأيه لايبنون أفكارهم بناء علميا. والغر يب أن هذا النوع من المدافعين عن العامية يطلبون ممن يخالفهم في وجهة النظر اتباع المنهج العلمي ويطالبونه بالاستقراء الواقعي في حين لايكون هذا المنهج وارداً في آرائهم التي يدافعون عنها فيما يتعلق بالفكر العامي. ولم يلبث صاحب هذا الرأى أن انتهى بقرائه إلى حكم الضرورة في الأمر وهو أن الناس لن يرددوا السامري بقصيدة عر بية فصيحة.

إلا أن اتهامه لأنصار الثقافة العر بية بالبعد عن المنهج، ووصفه لموقفهم

---

(١) لون من ألوان الشعر العامي.

(٢) البازعي، سلطان، الحوارات البيزنطية، الر ياض، عدد ٥٩٩٢، في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ.

بالجدل البيزنطي يوجب عليه تقديم الدليل على أنهم يرون ترديد السامري بقصيدة عربية، فإن لم يجد ولا إخاله يجد ذلك فَلِمَ يطرح هذا الاتهام على غيره وهو يتظاهر بالبعد عنه؟.

الحق أنه لايوجد من طالب الناس بترديد السامري بقصيدة عربية فصيحة كما لم يوجد من قال لشعراء العامية اسكتوا ولا تقولوا شعراً عامياً. ولا قال أحد فيما أعلم إنه محظور سماع الشعر العامي أو الاستمتاع بفنيّته وجماله.

لكن توجه الفكر العامي في ذهن كاتب النص هو الذي خَيَّل له أن هناك من يقول بهذا القول، حتى يكون لدفاعه عن الفكر الذي يريد الدفاع عنه سبباً يتيح له طرح آرائه وأفكاره والدفاع عنها.

ومثل هذا الرأي رأي آخر يقول: «حبّذا لو أصبح كل إنسان عربي من المشرق إلى المغرب مثقفاً يتكلم العربية الفصحىٰ بطلاقة في البيت والشارع والمقهى، لكنّ هذه أحلام وأمان. إنعاش اللغة العربية الفصحىٰ ورفع مستواها لايتناقض مع دراسة المأثورات الشعبية ومن المسلم به أن لدى كلّ أمة لغتين على الأقل، لغة عامية ولغة رسمية، واللغة العامية هى اللغة الأم واللغة الفصحىٰ تكتسب بالدراسة والتحصيل»[1] ومثل هذا الرأي رأي آخر يطابقه و يتفق معه يقول: إنني أتطلع إلى اليوم الذي يتحدث فيه جميع الناس بلغة عربية فصحىٰ في الشارع والمنزل والمدرسة والعمل، لكن ألستم معي بأن الأماني شيء والواقع شيء آخر، فجميع الناس حالياً لايتخاطبون بالفصحىٰ إلا نادراً وحتى في القاعات الجامعية تستعمل اللهجة الشعبية»[2].

النصان السابقان يجعلان الحديث بالفصحىٰ لازماً من لوازم ثقافة كل إنسان عربي من المشرق إلى المغرب وإذا لم يكن ذلك فإن الاهتمام

---

(١) الصويان، سعد، ميكانيكية الشعر النبطي مجلة الوطن العربي، ديسمبر، ١٩٨٥م.

(٢) والمسائية، عدد ١١٢٩ في ١٤٠٥/١٢/١٨هـ «في صور على الشفق».

بالفصحىٰ يصبح من ضروب الأماني والأحلام. والقول بأن تكون العربية الفصحىٰ لغة كل إنسان عربي من المغرب إلى المشرق حتى نهتم بها، قول يتجاوز طبيعة الأشياء وأبجديات علم اللغة ولايقول بذلك إلا من لايدرك طبيعة اللغات، لأنه لايوجد في الأرض لغة يستعملها الناس على مستوى واحد من الفصاحة وصاحب النص الأول يعترف أن لكل أمة لغتين على الأقل عامية ورسمية كما يقول.

والدعوى بأن يكون كل إنسان عربي مثقفاً يتكلم الفصحىٰ بطلاقة في البيت والشارع والمقهىٰ، شيء مستحيل عقلاً وعرفاً ويستحيل أيضاً أن يستعمل أهل المدينة الواحدة لغتهم الدارجة بمستوى واحد أو أن يكونوا مثقفين ثقافة متساوية حتى في العامية.

ونزيده علماً، أنه لايوجد في تأريخ اللغة العربية منذ الجاهلية إلى يومنا هذا فترة كان كل الناس من أهلها مثقفين يتكلمون اللغة العربية الفصحىٰ على مستوى واحد بطلاقة. وإنما كان هناك مستوى أعلى ومستويات دونه كثيرة بدليل مانسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله: «**أنا أفصح العرب بيد أني من قريش**». وبدليل ما أنقل لكم من أقوال ذكرت قبل تدوين اللغة ووضع القواعد لها، يقول أبو الطيب اللغوي: «واعلم أن أول مااختل من كلام العرب وأحوج إلى التعليم الإعراب، لأن اللحن ظهر في كلام الموالى والمتعربين من عهد النبي عليه الصلاة والسلام، فقد روينا أن رجلاً لحن بحضرته فقال: «**أرشدوا أخاكم فقد ضل**». وقول أبي بكر: «**لئن أقرأ فأسقط أحبّ إليّ من أن أقرأ فألحن**»[1]، وقال ياقوت: «مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يسيئون الرمي فقرعهم، فقالوا: إنا قوم (متعلمين) فأعرض مغضباً وقال: والله لخطؤكم في لسانكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم. وروى ابن جني أن أحد ولاة عمر رضي الله عنه كتب إليه كتاباً لحن فيه، فكتب إليه عمر قنّع كاتبك سوطاً»[2].

---

(١) أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص٢٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) الطنطاوى، محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ١٣٨٩هـ ص٩.

وقد تتبع النحويون واللغويون اللحن والضعف اللغوي والشذوذ عن القاعدة والخطأ في الاستعمال منذ فجر تأريخ اللغة، ولم يكن وجود اللحن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر عذراً لأحد حتى تترك اللغة بلا ضابط، ولاقالوا إن اللحن موجود فليستمر مع الفصيح بل حاول المصلحون الارتقاء بالفكر واللغة إلى المستوى الأعلى. ولم يطلبوا من كافة الناس أن يرقصوا بقصائد على المستوى الأعلى من الفصاحة أو يسكتوا كما ادعى صاحب النص الذي أشرنا إليه قبل هذا. وفي الوقت نفسه لم يوجد أناس يطالبون باتخاذ العامية لغة أدب وفكر على أساس أن في الناس من هو دون المستوى الأعلى من الفصاحة، ولم يجرؤ أحد على التشنيع على الفصحىٰ ويجسم عيوبها، لأن الأمة في ذلك الوقت كانت في الطريق إلى الصعود وليست مستعدة للانحدار.

ولقد استمرت العاميات في جميع العصور تؤدي أغراضها وبقيت اللغة الفصحىٰ لغة الأدب ولغة الشعر ولغة القرآن والمثل الأعلى للفصاحة والبيان الذي يسعى إليه كل إنسان. وليس اختلاف مستويات استعمال اللغة خاصاً باللغة العربية، ولكنه عام في كل لغة ذات فكر وأدب وذات موروث حضاري، مما يجعلها قمينة بالبقاء والاستمرار. أما التعجيز بأن يكون كل الناطقين باللغة على مستوى واحد من الثقافة أو لا تكون اللغة، فلم نعرف له مثيلاً في كل مانعرف من اللغات، وليس ممكناً أن يكون متكلمو اللغة ــ أيّ لغة ــ على قدرة متساوية في استعمالها، بل لابد من وجود الفوارق بينهم. فهل يستطيع صاحب هذا الرأي أن يقنع أحداً بأن الناس يستطيعون استعمال اللغة العامية على مستوى واحد من الفصاحة حتى يهتموا بأدبها وفكرها وشعرها؟؟

كما أن الإقرار بفشو العامية وفي النغمات التي بدأت تقذف بها صحف الجزيرة ومجلاتها نغمة قديمة جديدة وهى أن اللغة الفصحىٰ لغة رسمية ولغة دواوين ولغة العِلْيَةِ. أما عامة الناس فلهم لغتهم العامية التي تفرض نفسها بقوة وبكثرة أنصارها ومؤيديها. وسوف نعرض الفكرة العامية الجديدة

والطرح المنظم لمباديء الفكر العامي الذي يتناقض مع أهداف الأمة العربية سياسياً واجتماعياً، و يناقض الآمال في بنيان وحدتها، ويمكّن البلبلة والتشويش في عقلها، و يفقدها الاعتزاز بتأريخها الماضي كله ويجعل لها محاور فكرية ولغوية وتصورات مسلكية تنحو بها بعيداً عن النماء والإخصاب وتبتر الشعور المشترك الذي يحرك وجدان الأمة. وتكون نتيجتها في نهاية الأمر ارتداداً إلى ثقافات إقليمية قطرية ضيقة تضيف ضعفاً إلى ضعف وتقطع الصلة الفكرية القائمة بين شعوب الأمة العربية، يقول صاحب هذا الرأي: «تسألني لماذا اخترت العامية طريقاً للتعبير، وأقول: إنني لم أخترها هي التي اختارتني فأنا لي موقف إنساني أيديولوجي من الطبقات الشعبية وهناك قضايا أساسية فالأدب والفن عندي له وظيفة محددة في تنوير المجتمع وإضاءة الظلمات والعامية أيضاً هي لغة الناس فلا مجال للكذب أو الخداع وإنه إذا كان لديك كلمة صادقة واضحة مباشرة صريحة فلابد من استخدام العامية[1]. والعامية أصبحت تخاطب بسطاء الناس والمثقفين... إن العامية تشق طريقها بين جموع العامة بيسر... فإن للعامية سحراً عظيماً، فالعامية عندي أو اللغة عندي ليست قارباً أنقل عليه أمتعتي إلى الشط الآخر، من هنا التفت الجماهير حول شاعر العامية... إن شاعر العامية يخاطب الوجدان مروراً بالعقل إن كل رحلتي اللغوية هي استلهام للغة أمي الأمية أمي امرأة أمية وأبي كان شاعر فصحىٰ... رضعت من أمي الغناء والشعر فقد كان كلامها شعر عامية من الطراز الأول. ولولا تعسف علماء اللغة عند تدو ين اللغة لما كانت الفصحىٰ تتآكل يوماً بعد يوم والعامية تزداد ثراء مع أنه **قد تتمتع قصائد الفصحىٰ باحترام الرسميين رغم ضحالتها الشديدة....** وشعراء الفصحىٰ على سبيل المثال يعيشون الاغتراب مرتين مرة حينما يترجمون مايحسونه بالعامية ويترجمونه إلى الفصحىٰ ومرة أخرى حينما يحملون المعاني مالايصل بسهولة و يتعثر في الطريق ولست أهاجم الفصحىٰ.

(١) وصف الفصحىٰ بالكذب والخداع يدل على الموقف الذي تبلور لدى محبي العامية، وهو محاولة تسويغ العامية ونشر استعمالها الذي يتصف بالصدق بينما يبقي مستعملو الفصحىٰ أهل خداع وكذب كما يزعم.

تسألني عن موقف علماء اللغة من العامية الآن؟ أظن **الموقف هو هو، لأنه موقف سياسي...** فالخلاف بين الفصحىٰ والعامية هو في نظري خلاف سياسي... ولكن هذا لايهم مادام هناك وجدان شعبي يلتف حول شعر العامية النفاذ... وإذا سألتني عن مستقبل العامية قلت لك إنها حية مادامت الجماهير حية وطالما هناك انفصام **لغوي بين الفصحىٰ البعيدة عن الواقع والتي لاتستعمل إلا في الأوراق الرسمية** ولغة أخرى حية ذات عالم لغوي كامل في الشارع، سيصبح للعامية أنصار وأسجل احترامي لمجلتك التي تنشر حديثاً لشاعر عامية فقد كنت قد تصورت أن هذا أمل بعيد... نحن شعراء العامية نرد للفصحىٰ بعضاً من دورها الغائب. فالفصحىٰ مازالت معلقة في سماء الدواوين الحكومية وبعيدة عن الاستعمال ونحن الذين نرقى بها من أسفل إلى أعلى لأن[1] علماء اللغة ليس لديهم القدرة أو الهدف لإيصال مالديهم للناس)[2].

هذا الرأي كان نتيجة حتمية للآراء السابقة التي تمجد العامية وتعترف بقيمتها الأدبية والعلمية وتقرر أهميتها التأريخية والاجتماعية، وهو اتجاه كان لابد أن ينقل العامية إلى مرحلة متقدمة تضعها نداً للفصحىٰ، أو تفوقها بأداء الكثير من شؤون الحياة المعاصرة والأخطر من ذلك أنها ــ أي العامية ــ تفوقت في رأي الكاتب على اللغة الفصحىٰ في أدبها ونثرها بينما بقيت اللغة العربية الفصحىٰ عاجزة عن الحياة وميتة لاتعيش الواقع الذي يعيشه الناس، ثم ألصق بها تهمة الخيانة الكبرىٰ على حد زعمه ووصفها بأنها محنطة في الدواوين الرسمية التي لامكان لها بين طبقات الشعوب العربية.

أما عاميته فهي البديل المناسب الذي تلتف الجماهير حوله في جميع أجزاء الوطن العربي على حد زعمه، ولم يتورع أن يتهجم على علماء اللغة الذين جعلوها لغة متآكلة بينما العامية تزداد ثراء يوماً بعد يوم.

---

(١) هذا الرقي الذي أشار إليه الشاعر العامي حقيقته هو أن أصحاب الفكر العامي يريدون الصعود بالدارجة إلى المستوى الأعلى الذي تصبح فيه لغة قومية تحل محل الفصحى.

(٢) الأبنودي، عبدالرحمن، لغتي الشعبية هي فصحى الحياة، مجلة الملجة، عدد٢٥٠، في ١٩٨٤/١١/٢٤م، ١٤٠٥/٣/٨هـ.

ومثل رأيه آراء كثيرة ينحو بعضها منحى الصراحة والجهر بضعف اللغة العربية الفصحىٰ وينحو البعض الآخر منحىٰ اللوم للمتخصصين فيها.

وكل هذه الآراء تؤدي إلى نتيجة واحدة هي التقليل من قيمة الفصحىٰ. وأصحابها يرون أنه يجب على المفكرين الحريصين على اللغة العربية وثقافتها ترك الميدان للعامية وأن ينصرفوا للبحث عن سبيل تقوى فيه مناهج اللغة، يقول هؤلاء: (أليس من الأفضل والأجدى أن يصرف متخصصونا في اللغة العربية جهدهم إلى إصلاح مناهج تعليم اللغة العربية التي ثبت على مدى جمودها نصف قرن أنها لا تمكن حتى خريجي الجامعات من إجادة اللغة) [1].

إن إصلاح مناهج اللغة العربية حق ويجب أن يكون، ومناهجها محتاجة إلى الكثير من الجهد الدائم المستمر، ولكن الإشارة إلى ضعف مناهجها في سياق الدفاع عن وجود العامية كلمة حق يراد بها باطل. وقصور مناهج العربية أو ضعف آدائها الفنى لايبرر الاتجاه إلى توطين العامية والرفع من مكانها على حساب لغة الدين ولغة الأمة. والنقص الحاصل في قدرات المتخصصين فنياً في اللغة العربية الفصحىٰ سيزول مع مر الزمن. إذا سلمت من التخطيط للعامية وتأهيلها لتحل محل الفصحىٰ وهي في موضع ضعف حسبما زعموا أو تنوب عنها وتأخذ مكانها مما يتنافى مع الدعوة إلى الإصلاح. واستغلال دعوى الضعف والجمود في مناهج الفصحىٰ إن وجد، يدين حركة العامية ويجعلها موضع خطر متوقع على الفصحىٰ. أضف إلى ذلك أن الحديث عن مشكلات اللغة الفصيحة والعامية لم توضع له الضوابط والأسس ولم يدع العلماء والأدباء الذين يعرفون بواطن الأمور لدراسة مشكلات اللغة والنظر في حدود مجال العامية والفصحىٰ وهذا هو مايجب أن نطالب به وندعو إليه وأظن الوقت قد حان للنظر الجاد في قضية العامية والفصحىٰ.

---

(١) ثقافة اليوم، المصادرات الفكرية في زمن الوعي، الرياض، عدد ٦١٤٥ في ١٤٠٥/٧/٣٠هـ.

أما مادام الأمر متروكاً للآراء غير المتخصصة ليدلى كل بدلوه في قضية فكرية ومصيرية، فذلك مرفوض لأن أكثر هذه الأفكار المطروحة لا تعتمد على أدنىٰ حد من المنطق أو العقل، أو حتى العلم ببعد القضية، وأكثر من ذلك أن تصل بعض الآراء إلى حد الإسفاف وسطحية الفكرة. وإليك مثالاً مما تمطرنا به الصحافة المحلية صباح مساء:

(مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي وبالرغم من أن مسمىٰ هذه المؤسسة يوحي بأن برامجها تبث فقط في دول الخليج العربي، إلا أنها تبث في معظم دول العالم العربي نظراً لأنها أمور اجتماعية مختلفة بطريقة علمية وباللغة العربية الفصحىٰ مما يضيق فهم كثير من الدول الأخرى لها وهذا مالن توفره اللهجة العامية كما يعتقد البعض لو استخدمتها المؤسسة في برامجها تلك بالطبع تجربة مؤسسة دول الخليج ناجحة جداً إلا أننا لانستطيع أن نقول بأنها تمارس عملية التوحيد ثقافياً وسياسياً واجتماعياً بين مختلف الدول العربية بالرغم من انتشارها كما كانت تجربة المغرب فيزيون؟ نظراً لأن الأولى تعالج مواضيع عامة باللغة العربية الفصحىٰ ولا تتطرق أبداً إلى تلك المواضيع التي تهتم بمناقشة عادات أو تراث معين وبنفس اللهجة المحلية ومن ثم توزيعها على الدول المختلفة لتعريف دول العالم العربي بها... مؤسسة الخليج يجب أن تهتم بتعريف العالم العربي الأخرى بدول الخليج من عادات وتراث وغيره، وبما أن اهتمامها لايقتصر فقط على دول الخليج وبما أنها تضم خبراء ومختصين من الدول الأخرى لذا يجب أن تهتم أيضاً بتعريف دول الخليج بعادات الدول الأخرى وهكذا. ولن يتم **هذا بالطبع إلا باللهجة العامية في كثير من الأحوال** عن طريق المسلسلات أو البرامج وهذا شرط أساسي إذ إن عملية التعريف تلك يجب ألا تقتصر على العادات بدون التعرف **باللهجات المحلية** وبذلك تكون تلك المؤسسات **نجحت في خلق لهجة عامية عربية** موحدة بعد فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر حسب المجهودات التي تبذل ولايبدو ذلك خيالياً إذا ماتذكرنا ردة فعل دول الخليج عند عرض بعض مسلسلات دول المغرب العربي لأول مرة والذي بدأ من المستحيل فهم

تلك اللهجة على الاطلاق، ونفس الشيء حدث لدىٰ دول المغرب عند عرض البرامج الخليجية باللهجة العامية لأول مرة ومع تكرار العرض بدأت عملية الاقتراب الفعلي بين تلك المناطق)[1].

الرأي السابق نقلته للتدليل على عملية الإباحة الفكرية التي تركت بلا ضابط يحدد اتجاهها ويضمن لها أقل حظ من القبول. حتى أصبح في استطاعة أى محرر في صحيفة سيارة أو متعاون معها أو مراسل لها أن يتحدث عن قضايا الفكر والأدب والمصير المشترك حتى وإن قصر فهمه عن نظم رأيه في جملة مفهمومة صحيحة، وحتى وإن تحدث وكتب عمَّا يدرك الناس عامة بكل حواسهم خطأه وبعده عن الواقع. وإلا فمن يستطيع أن يطرح رأياً يقول إن العامية المحلية لأي دولة عربية خليجية هي السبيل الأفضل لإفهام سكان الدول العربية الأخرى ولاسيما الدول البعيدة جغرافياً مثل دول المغرب. ومن يستطيع أن يطرح رأياً يقول إن اللهجة العامية المحلية الخليجية أقدر على مخاطبة العرب في دول المغرب وأسهل عليهم من اللغة العربية الفصحىٰ. ومن يقرُّ رأياً يقول: إن الدول العربية تضيق فهما باللغة العربية الفصحىٰ في برامج دول الخليج بينما تفهم تلك الدول البعيدة اللهجة المحلية الخليجية.؟

هذه هي أطروحات الفكر العامي وفلسفته والتنظير له ومحاولة تسويغه. والعامية التي يتذرع بها منظرو الفكر العامي بريئة من أفكارهم.

إن السواح العوام الذين يذهبون إلى المغرب العربي يضطرون في المغرب إلى الحديث بالفصحىٰ حتى يفهم المغاربة عنهم، ويتكلم المغاربة إلى الخليجيين بالفصحىٰ حتى يفهم أهل الخليج.

وطرح هذا الرأي طرح غير مدرك وغير مكلف. ومادام كذلك فعليه أن

---

(١) عبدالله، فاتن، نحو لهجة عامية عربية موحدة، الرياض، عدد ٥٨٧٤ في ١٤٠٤/١٠/٢٥هـ.

يعبث ماشاء له العبث لأنه رأي يبحث عن «لهجة عامية عربية موحدة»، ولا عليه مادام يجد صفحات ترحب بنشره. وإن لم تستطع صاحبته إيضاح ماتريد بلغة مفهومة أو بيان ما تود أن تقول. فهي تريد أن تقول: إن العرب في المغرب لايستطيعون فهم اللغة العربية الفصحىٰ التي تكتب بها مسلسلات الإنتاج البرامجي الموحد لدول الخليج لكنهم يفهمون العامية الخليجية وإن العامية تستطيع أن تقوم بالدور الذي تقوم به اللغة الفصحىٰ دون حاجة إلى استعمال اللغة الفصيحة. وأن التعريف بدول الخليج يجب أن يتضمن التعريف بلهجة الخليج أيضاً.

وخلاصة ماتود أن تراه هو أن تكون اللهجات العامية العربية هي لغة وسائل الاعلام وأهمها المسلسلات التلفزيونية.

رأي آخر لايقل عبثاً عن الرأي الأول إلا أنه أكثر منه وضوحاً في التعبير، وأكثر مغالطة وغلطاً لأشياء مختلف بعضها عن بعض ونقطة إرتكاز هذا الرأي ومابسقه من آراء هي مغالطة صريحة بين الفكر العامي، والشعر العامي. وهدفها التقليل من أهمية وقيمة الآراء التي لا توافق آراءهم ولا تتفق مع مسير تفكيرهم، يقول النص: (ولا أدرى فيم يضايقهم الشعر الشعبي إنه بالإضافة إلى الشعر الشعبي هناك تراث شعبي وأساطير شعبية ورقصات شعبية وطبخ شعبي. أم يريدوننا أن **نرقص العرضة بالشعر الفصيح المقفى**.... إن من يقول لاعلاقة بمحاربة الشعر الشعبي بالتراث الشعبي مخطيء ولاشك. الشعر الشعبي ماهو إلا جزء من التكوين الشامل لهذه البلاد. وإذا كان خطره في الخشية على اللغة العربية الفصحىٰ منه أن يدخلها تشويه فالشعر الشعبي لايمكن أن يسيء إلى فصاحة اللغة العربية بحال من الأحوال لأن الفصحى **لغة القرآن الكريم وأبدية انتمائنا إلى القرآن** الكريم أبدية تلاحم بيننا وبين لغته ثم إن بعض الألفاظ الشعبية لو توقفنا عندها وجدناها فصيحة فلماذا هذه الضجة المفتعلة إذا كنا نخاف تشويه اللغة الفصحىٰ فأيضاً التقليد لغيرنا في كل مايتعلق بتراثنا **الشعبي مسخ**

لشخصيتنا الوطنية. وطالما هناك تراث بمختلف مجالاته وجوانبه فهناك **شخصية وطنية قوية في مواجهة تيار التقليد الزاحف والغزو القادم إلينا»**[1].

ربط الشخصية الوطنية والقومية بالتراث العامي والتهديد بزحف التقليد والغزو من الخارج، إن لم يعتن العرب بلغاتهم العاميَّة فكرة أخذها كتبة الصحف الشعبية وأمثالهم من القاضي الإنجليزي «سلدن ولمور» الذي كان يعمل في مصر إبان الإحتلال البريطاني لها، حين أصابته حميَّةٌ وغيرةٌ على اللغة العربية فخشي عليها من زحف اللغات الأجنبية، ودعا إلى استعمال العامية إنقاذاً للعرب ودفاعاً عن قوميتهم ووطنيتهم وما أشبه حمية هؤلاء على شخصيتهم الوطنية وقوميتهم وغيرتهم بتلك التي أظهرها «ولمور» قبل ستين عاماً حين قال: إن غيرته على العرب ولغتهم هي التي دفعته للدعوة إلى العاميَّة خوفاً من إحلال لغة أجنبية ــ لغته ولغة قومه المستعمرين ــ محل لغتهم العربية والعامية يقول: (ومن الحكمة أن ندع جانباً كل حكم خاطىء وجّه إلى العاميَّة وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد في الأغراض المدنية التي ليست لها صفة دينية. وهناك سبب يدعو إلى الخوف هو أنه إذا لم يحدث ذلك (أي اعتبار العامية وحدها لغة للبلاد في الأغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية على الأقل) وإذا لم تتخذ طريقة مبسطة للكتابة... فإن لغة الحديث ولغة الأدب ستقرضان وستحل محلهما لغة أجنبية نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الأوربية»[2].

هل يجد القارىء فرقاً بين ماقال القاضي الانجليزي وماقالت صاحبة المقال السابق لاشك أنه سيجد أن إمكانية حدوث ذلك في عهد «سلدن والمور» أقرب إلى الاحتمال لأن البلاد العربية في عهده مستعمرة من قبل الغرب وهو أحد رموز الاستعمار الذي يهدد بأن لغته قد تحلُّ محل لغة البلاد الأصلية، إن لم تختر العامية، أما صاحبة المقال فلم يكن لقولها نصيب من

---

(١) المساعد، جهير عبدالله، هوامش صحيفة، الجزيرة عدد ٤٤٤١، في ١٤٠٥/٣/٣هـ.

(٢) تأريخ الدعوة إلى العامية في مصر، ص٢٧.

الاحتمال، ولو كان ضعيفاً وذلك لأن الأمة العربية قد تحررت ونالت استقلالها ولم يعد هناك خطر من إحلال لغة أجنبية وافدة محل لغتها الأصلية الفصحىٰ، ولكن الخطورة في تحول الأمة إلى عاميتها وزهدها في العربية الفصحىٰ. وكاتبة المقال تريد أن تقول شيئاً ولاعليها أن تقول ماقال «سلدن» وإن اختلفت وجهتا القولين. فالرجل يتحدث بذكاءٍ وخبث ولرأيه نصيب من المنطق لأن بريطانيا تستعمر مصر في ذلك الوقت وهو يائس من إحلال اللغة الإنجليزية محل العربية لكنّه يريد استغلال هاجس حدوث ذلك من أجل أن يتخلى العرب عن لغتهم الفصحىٰ ويهتموا بعامياتهم، حتى يحقق مايريد، وهو الابتعاد عن الفصحىٰ بأى وسيلة.

أما صاحبة المقال فلا تدري شيئاً من ذلك ولا تريد أن توجه رأياً يكون مقنعاً معقولاً ومصحوباً بالأدلة لقرائها، ولكن لديها الرغبة في أن تقول شيئاً وتكتب شيئاً وإن خلا من الحيثيات الجيدة.

وبعد عرض نماذج قليلة من نظريات الفكر العامي ومناهجه فلابد من الإشارة إلى أن ملخص آراء الفئة التي نتحدث عنها في هذه الصفحات إرتكزت على ركائز في غاية الأهمية وعلى ضوء هذه الركائز ستتحدد أسس القضية الفكرية التي يختلف حولها الناس اليوم وأهمها وظيفة الأدب العامي والموروث الشعبي.

الركيزة الأولى :

أجمع محبو العامية على أنهم لايعرفون مبرراًلوقوف الناس ضد الفكر العامي والثقافة العامية التي يسمونها الأدب الشعبي أو التراث الشعبي. وسيعرف القارىء لماذا كان فكراً عامياً، عندما ينظر في الركائز التي بني عليها دفاع أصحاب الميول العامية.

الركيزة الثانية :

يقولون: إن هناك أشياء شعبية محلية لايمكن أداؤها باللغة العربية الفصحى.

الركيزة الثالثة :

يزعمون أن التراث الشعبي هو الذي يحدد هويتنا ويميز شخصيتنا، وإن لم نحافظ عليه فسنحتاج إلى تقليد غيرنا الأمر الذي سيمسخ شخصيتنا الوطنية.

الركيزة الرابعة :

تؤكد أن اللغة العربية التي نخاف عليها من طغيان العامية محفوظة في القرآن ولا احتمال لضياعها أو ضعفها مادام القرآن قد تكفل بحفظها كما يقول المدافعون عن الفكر العامي.

الركيزة الخامسة :

تقول إحصائياتهم: إن ٨٠٪ من السكان لايعرفون اللغة العربية ولايفهمون غير العامية والكثرة لها قيمتها ويجب ألا نحرمها من حق الاستمتاع بالفن الذي تحسنه وتحسّ بجماله.

الركيزة السادسة :

تقول: إن أغلب مفردات العامية والأدب العامي عربية فصيحة لاغبار عليها.

الركيزة السابعة :

تزعم أن الأدب العامي حفظ لنا الكثير من الأحداث التي كانت في الماضي إبان عصور الأمية وهو مصدر لايستهان به لتأريخ الجزيرة السياسي والاجتماعي وغير ذلك.

الركيزة الثامنة :

تدعي أن الأدب العامي والشعر منه خاصة لايختلف كثيراً عن الشعر الفصيح وهو سليله، وفي استطاعة الشاعر العامي أن يأتي بما يطابق الشعر الفصيح معنى ووزناً إذا أراد.

كل ماتقدم يعتبر مجمل آراء يرددها المعجبون بالفكر العامي وهى محور أحاديثهم وانطباعاتهم التي يتحدثون بها ويدافعون عنها انطلاقاً من اقتناع شخصي دون أن يعتمدوا على منهج عقلي أو علمي يجعل مناقشتها واقعية علمية متزنة. وأغلب من يقول هذه الأقوال ليس له علم بتأريخ اللغات وليس متخصصاً فيها وليس ممن اشتغل بالبحث في قضايا الفكر والأدب حتى يؤخذ رأيه مأخذ الجد. إنما يقول بذلك منطلقاً من وجهة النظر الفردية الخاصة.

وهناك رأي غريب في معناه كما أنه غريب في طرحه، شذَّ عن مجمل الركائز السابقة، وبَعُدَ كل البعد عن المنهجية والواقع، وفوق ذلك كان ضعيفاً في لغته ركيكاً في أسلوبه ولم يسبق أن شارك كاتبه بشيء لافي الصفحات العامية ولا في غيرها. ومع ذلك أخرج المقال في الصحيفة إخراجاً تجلت فيه العناية، حيث رسمت صورة أحد كبار أدباء المنطقة الوسطىٰ المعروف بحبه للأدب العامي ومعه صورة شاب من أسرة الإعلام عرف بحذره من انتشار العامية وجعل العنوان مقارنة بين رأي الأديب الشيخ ورأي الأديب الشاب. يقول النص الغريب «وما الذي يمنع من إعادة النظر في قواعد اللغة العربية من أساسها لتكون كاللغة اللاتينية تنبثق منها عدة لغات يكون أساس كل لغة قواعد عربية لكل لهجة في كل دولة عربية وإسلامية» [1].

هذه خلاصة الرأي، ورغم أن الكاتب لايفرق بين الشخصيات الحقيقية

---

(١) السليم، محمد موسى ، أصاب ابن خميس، الجزيرة، عدد ٤٥٩٥، في ١٤٠٥/٨/٨هـ.

في التأريخ والأبطال الخياليين في السير الشعبية، وأسلوبه في منتهى الركاكة ولايرقى إلى أدنى حد من المستوى المعقول للنشر في صحيفة كبرى تحترم نفسها وقراءها إلا أن مقاله أبرز بشكل يجعلني أنسب الاهتمام برأيه إلى الاتجاه العام الذي سيطر على أذهان أكثر المشتغلين في وسائل الإعلام وهو أن أي رأي يدافع عن الفكر العامي سيجد طريقاً إلى النشر وإلى القراء مهما كان شاذاً بفكرته أو ركيكاً في لغته أو غامضاً في أسلوبه، **وحتى يعرف قراء هذا البحث بلوى الثقافة العربية فلابد من إيراد بقية النص المشار إليه آنفاً بما يحمل من أخطاء في الأسلوب واللغة لعلهم يجدون عذراً لنشره لم أجده.** يقول: (الأمية تعني فقط جهل القراءة والكتابة ولا تعني عدم الوعي والإدراك الحسي، وإلا ما الفرق بين عنترة بن شداد الشاعر العربي الشجاع، **وشيبوب الجاهل الساذج**، وكلهم أميون، وهذا هو الفرق بين الجهل والأمية.... ولو أنني لست في حساب الأدباء أديباً إلا أنه يحسن التوضيح في هذا المجال بأن الفنون الجميلة ماهي إلا جزء لايتجزأ من الأدب الكبير و يلتقي مع الابداعات الفنية في الشعر والقصة والمقالة، الخ... لذا الفن هو الفن في كل مجالات الأدب مشاعر حسية تظهرها المواهب الفطرية بالسليقة. أما علم الأدب وعلم الشعر وعلم الكتابة وعلم الرسم والتشكيل فما هي إلا علوم مجملها تعطى العمل الفني ثوباً من الكلفة والتكلف والعناء الناتج من مهارة التصنيع وليست مهارة الفنان فالصناعة بالعلم والفن بالفطرة، وكلنا يعلم أن شعراء الجاهلية ليس بينهم شعراء عاميون لماذا؟ لأن شعرهم عربي فصيح عامي بالفطرة والسليقة ولما دخلت في لغتنا العربية الخليط من لغات العالم بحكم الاحتكاك بمجتمعاتها مع الفتوحات الإسلامية للبلدان غير الناطقة بالعربية فبديهي أن يكون لهذا الاحتكاك تأثير إيجابي، و يكفي للغتنا أن تضيع بسهولة في لجة بحر الظلمات للحكم العثماني الذي دام أربعة قرون ومادمنا حتى الآن لانستطيع أن نقرض الشعر بإبداع ومهارة وموهبة الفطرة والسليقة التي كان يمتاز بها الشاعر العربي في الجاهلية ومابعد الإسلام ــ الشعراء المخضرمون ــ حتى نهاية الخلافات الإسلامية قبيل

الحكم العثماني فلماذا لانسمى شعرنا عربياً فصيحاً؟ وما الذي يمنع من إعادة النظر في قواعد اللغة العربية من أساسها لتكون كاللغة اللاتينية تنبثق منها عدة لغات يكون أساس كل لغة قواعد عربية لكل لهجة في كل دولة عربية إسلامية، وهذا دور العلم الصناعي وليس دور الموهبة الفطرية والابداع الفني... ومع ذلك يصر على عدم موافقته لما يقوله رائد من رواد الأدب والفن الشعري في لهجته الشعبية وعربيته الفصحى)[1].

الركيزة الأولى :

ننتقل بعد هذا العرض المختصر لآرائهم إلى مناقشة الركائز التي أجملنا الحديث عنها، ونبدأ بالركيزة الأولى التي جمعت الآراء الدارجة التي تطرح في وسائل الاعلام، وهي لماذا يقف الناس ضد الأدب العامي أو الشعبي ولماذا لايرحب الجميع به؟[2].

أصحاب هذا المرتكز يسألون: لماذا يقف الناس ضد الفكر العامي ويصرحون بأنهم لا يعرفون السبب الذي جعل الناس يقفون ضده؟ وهذه الفئة بسؤالها صادقة كل الصدق فهي لا تعرف السبب الذي يجعل الناس يقفون ضد منهج الطرح الفكري للعامية في الوقت الحاضر. وهي لا تدرك وليس في قدرتها العلمية مايؤهلها لمعرفة السبب الذي جعل الناس لايرحبون

---

(١) الجزيرة، عدد ٤٥٩٥، في ١٤٠٥/٨/٨هـ وانظر الشرق الأوسط في ١٤٠٤/١١/٢٨هـ حيث تحدث أحد كبار الأدباء العرب عن المعنى نفسه قائلاً: (إن اللهجات العامية العربية تشبه اللهجات اللاتينية التي كانت منتشرة في أوربا قبل خمسمائة سنة، وقد انتهت هذه اللهجات اللاتينية إلى قيام عدد من اللغات الأوربية الحديثة)، انتهى كلام الشرق قارن بين النصين لتعرف أثر فكرة الكاتب العربي في المقال الذي نقلناه في صدر هذه الصفحة وهو المعنى غيرالمباشر الذي كتب في الصحافة المحلية. وكاتب الشرق الأوسط هو أحد أعلام دعاة العامية في مصر حتى وقتنا الحاضر.

(٢) الجزيرة، عدد ٤٧٦٨ في ١٤٠٦/٢/٤هـ وعدد ٤٧٨٢ في ١٤٠٦/٢/١٨هـ والرياض، عدد ٥٩٩٢ في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ.

بالعامية وبثقافتها وأدبها. ومن حق هذه الفئة أن تجاب وتبسط لها الإجابة حتي تستطيع إدراكها ومعرفة السبب الذي يجعل الناس يعترضون على نشر الأفكار العامية في هذا الوقت وفي وسط الجزيرة وأطرافها. ومن حقهم أيضاً أن يخاطبوا بما يستطيعون فهمه عقلاً إذا كان ليس لهم حظ من العلم يدركون به هذا الاعتراض.

فالاعتراض على الفكر العامي والوقوف ضده لم يكن بدون مبررات لها وجاهتها لاسيما إذا قبلنا مايقرره مؤرخو الأدب العامي والفكر العامي من أن العامية وأدبها كانا موجودين في الجزيرة منذ خمسة قرون [1]، ولم يقف ضدهما أحد خلال تلك الفترة الطويلة التي عاشاها مع الفصحى، ولايستطيع المتسائلون أن يأتوا باسم واحد وقف ضد العامية في الجزيرة خلال الزمن الذي حدَّدُوه. أما اليوم فقد كثر المعارضون لها وكثر الذين يرون فيها خطراً على ثقافة الأمَّة الأصيلة مما جعل رواد العامية والمعجبين بها يستنكرون هذا الموقف... لكن ما السبب في الاعتراض على الأدب والفكر العاميين في هذا الوقت ولمَ لم يظهر في السابق؟ السبب هو ماجدّ من جديد على منهج الطرح الفكري الذي غيّر وضع الأدب العامي، ونقله من طبيعته التي كانت له منذ كان في الجزيرة إلى وضع آخر وطبيعة أخرى لم تكن له من قبل. وهذا الجديد تمثل في محاولة قوية تهدف إلى استغلاله وتوظيفه فكراً مبرمجاً ومنهجاً متبعاً يرقى به إلى مستوى الاستعمال العام ويفرضه ويفرض لغته وفكره على الأمة التي لا تقر ثقافة غير الثقافة العربية ولا تعترف بفكر غير فكر الإسلام. فاعترض الناس على الوظفية التي أصبحت تناط به وأصبح يؤديها، وهى غير وظيفته الأصلية الأولى التي كانت له، فوظيفته الأولى هي أنه يحتل حيزاً في حياة الناس ويؤدي أغراضاً لا تؤدى بغيره ولم يكن يحمل فكراً وآراء تناقض الأسس الفكرية لتراث الأمة الأصيل وليس فيه مدخل لأهواء خارجية. والذين يتعاملون مع الأدب العامي في الماضي هم العاميون أنفسهم الذين لايحسنون غير العامية ولايعرفون أدباً سواها، حين كانت سبل التعليم محدودة وضرورة استعمال العامية قائمة وللضرورة أحكامها.

(١) انظر مقدمة ديوان التميمي، شرح أبي عبدالرحمٰن بن عقيل.

أما اليوم فقد حمل الأدب العامي فكراً وبدأ العمل على نشر العامية ودعا إلى الاهتمام بها وبأدبها علماء ومثقفون على جميع المستويات وهؤلاء لم تعد العامية ضرورة دافعة لهم لكي يختاروها طريقة تعبير، وهم لايرضون أن يوصفوا بالعامية والأمية، وآراؤهم التي تدافع عن العامية آراء تحمل فكراً وتدعو إلى سبيل غير السبيل الذي تهيأت واستقرت عليه ثقافة أمة عمرها ألف وخمسمائة عام. والكلام هنا لايعني الشعراء المبدعين للشعر العامي فهولاء حتى اليوم لايحمل شعرهم أفكاراً ضارة، إنما يعنى منظري الأدب العامي.

والذين يقفون ضد الفكر العامي يعرفون أن الاهتمام بالفكر الشعبي طاريء لا أصل له، ولديهم من علمهم واستقرائهم وخبراتهم مبررات تجعل وقوفهم في أغلب الأحوال قائماً على أسس متينة، من معرفة خلفية الاهتمام بالتراث العامي، ومصادر هذه الخلفية وملابساتها والدوافع الأولى إليها، وهم يعلمون أيضاً أن استمرارها وإن لم تكن بواعثه هنا هي نفسها الدوافع الأولى التي كانت وراء بعثه في مصر والشام فهي ستؤدي في النهاية إلى النتائج التي تطلّع الاستعمار إليها عندما أعلن مناصرته لحركة العامية[1]. وهم يقرأون مضامين الفكر العامي ويعرفون نقاط الارتكاز فيه ويلمسون الطرح المنظم والبعد به عن العفوية والانطلاق البريء الذي كان له فيما مضى حين لم يعترض أحد عليه.

الركيزة الثانية :

يتحدث المحبذون للفكر العامي ويدّعون أن هناك أشياء شعبية محلية لايمكن أداؤها باللغة العربية الفصحى، وليس في استطاعة عامة الناس الحديث بالفصحى بين عشية وضحاها. وأن نسبة المتعلمين من أبناء الأمة نسبة منخفضة[2] وغير ذلك من الآراء والمبررات التي تثار في سبيل الدفاع

(١) الرياض، عدد ٥٩٩٢ في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ، وعدد ٥٨٧٤ في ١٤٠٤/١٠/٢٥هـ والجزيرة، عدد ٤٤٤١ في ١٤٠٥/٣/٣هـ.

(٢) وهبة، ٦٥، ٧، ٩٥، ٩٨، وغير ذلك.

عن مواقف محبي العامية وآرائهم، وقد غطت الساحة الأدبية منذ خمس سنوات موجة من التبرير لاستعمال العامية ترتكز كلها على مثل هذه الآراء الفجة الضعيفة.

والرد على الآراء والدعاوى السابقة يحتاج إلى قراءة كل المصادر أو أغلبها التي تناولت قضية العامية منذ بدايتها في مصر حتى وقتنا الحاضر. ورغم أن ذلك فوق طاقة الفرد المحدودة ووقته الذي يشغله كثير من الاهتمامات الأخرى التي تملؤه عليه. إلا أن ذلك أيضاً لايمنع من بذل الجهد وتتبع مايمكن تتبعه من الآراء. وقد قرأت ما استطعت الوصول إليه من الكتب والمصادر التي كتبت عن العامية وأرخت لها. وتلك التي عارضتها وتصدت لها. وألممت بآراء الطرفين حول القضية، ورجعت إلى كثير من المجلات والصحف والدوريات التي أشارت إليها المصادر والكتب ونقلتْ عنها لافي الجزيرة العربية فحسب بل في كل أجزاء الوطن العربي الكبير الذي تعرض لخوض معركة الفصحىٰ والعامية منذ قرن من الزمان. ولم أجد رأياً واحداً لافي صحيفة يومية ولافي مجلة ولافي دورية معروفة ولافي كتاب منشور، يقول بأنه يجب على الأمة العربية أن تتكلم باللغة العربية الفصحىٰ في كل الحالات وأن تحوِّل الحديث إلى الفصحىٰ بين عشية وضحاها، وأن كل فرد فيها يجب ألا يخاطب زوجته وطفله إلا طبقاً لقواعد النحو العربي، ولاسمعت أن هناك رأياً واحداً يقول إن الرقص والأكلات الشعبية والأغاني وصوت الطبل كل ذلك يجب أن يكون باللغة العربية الفصحىٰ. حسبما ادعت الآراء الكثيرة التي أدلى بها المدافعون عن الفكر والثقافة العامية ونشرنا نماذج منها وأعرضنا عن الكثير.

وهذا مايجعل المتتبع لآرائهم يتهم الاتجاه إلى العامية بأنه اتجاه فكري يثير قضايا لاوجود لها ويفترض افتراضات ويبني على هذه القضايا والافتراضات وجهات نظر ثم يأخذ يدافع عن فرضياته ووجهات نظره وكأن الطرف الآخر هو صاحب هذه الآراء والفرضيات. والهدف من ذلك هو

تضليل القراء والمتابعين وإيهامهم أن هناك من الناس من يطلب مثل تلك المطالب التعجيزية لكي يكسب منظرو الفكر العامي تعاطف الرأي العام ويبرروا دفاعهم عن وجود العامية وانتشارها، مدعين أن هناك من يريد أن يفرض على الأميين الحديث بالفصحى وأن هناك من يطالب بتحويل «السامري» و«العرضة النجدية» إلى قصيدة عروضية [1] وبالرغم من تتبعي لما دار حول قضية العامية في الجزيرة والخليج واهتمامي بما كتب عنها فقد عجزت عن العثور على شيء يدل على أن هناك من دعا إلى إلغاء العامية الدارجة وفرض إحلال اللغة الفصحى محلها حتى وإن كانت هذه الدعوة مشروعة. وليس هناك من قال بوجوبها وإذا كانت جهودي محدودة واطلاعي ضيقاً فإنني أطلب من الذين يدعون أن هناك من يطالبهم بهذه الأمور إرشادي إلى مصادرهم التي نقلوا عنها حتى تقوم الحجة على تطرف أنصار الفصحى وبعدهم عن الواقع الذي يعيشه الناس إذا طالبوا بذلك.

الركيزة الثالثة :

أما الركيزة الثالثة فتقوم على ادعاء مفاده أن التراث الشعبي هو الذي يحدد هويتنا ويميز شخصيتنا وإن لم نحافظ عليه فسنحتاج إلى تقليد غيرنا. وإن أمجادنا وتأريخنا هو مايحفظه لنا العامي وإن فيه جذورنا ومنابع أصالتنا [2].

وأزعم أنني تابعت بحرص شديد أكثر مانشر عن العامية خاصة منذ ثلاث سنوات في الصحف وخاصة في صحافتنا المحلية وأكاد أجزم أنه لم

---

(١) انظر النصوص السابقة في أول هذا الباب.

(٢) انظر مثلا: وهبة، ص٩٨، ص١٠٤.. وفي مواضع متكررة.
الجزيرة، عدد ٤٣٣٨ في ١٤٠٤/١١/٢٧هـ.
الجزيرة، عدد ٤٣٤١ في ١٤٠٤/١١/٢٠هـ.
الرياض، عدد ٥٨٧٤ في ١٤٠٤/١٠/٢٥هـ.
الرياض، عدد ٤٤٤١ في ١٤٠٥/٣/٣هـ.
مجلة الدوحة، ديسمبر ١٩٨٤م.

يخل حديث ينشر أو يذاع أو مقال يكتب إلا ويشير إلى معنى من هذه المعاني التي أُجْمِلَتْ في الفقرة السابقة ويكاد يجمع الناس الذين يدافعون عن العامية عليها رغم اختلاف مستوياتهم العلمية وتباين وجهات نظرهم. وقد حاولت إفتراض عدد من الأسباب التي جعلت الناس يجمعون على أن الأمة العربية في الجزيرة خاصة تتميز شخصيتها في العامية وتكمن أمجادها وتأريخها فيما يحفظ لها العامي من نتف الأخبار منذ قرنين فوجدت أنه قد يكون من هذه الأسباب:

أولاً: عدم الدقة في استعمال كلمة «جذور» وعدم فهم المدلول اللغوي لإصطلاح كلمة «منابع» الثقافة عند اطلاقها على الفكر العامي والثقافة العامية وعدم التفريق بين معاني كلمة «المنبع» و«الرافد» و«الإضافة». واحتمال أن بعضهم يريد أن يقول إن التراث الشعبي رافد من روافد المعرفة أو ماشابه ذلك، فخانتهم الدقة في التعبير عما يريدون، أو أنهم لايعرفون الفرق بين المنبع والرافد فوقعوا في خطأ غير مقصود قادهم إليه جهلهم بمدلول الكلمات.

ثانياً: اندماجهم بالحس العامي وتأثرهم تأثُّراً قوياً بتميز عامية وسط الجزيرة وبعض أجزائها عن بقية العاميات في الوطن العربي كله.

ثالثاً: تأثير الماضي القريب أي منذ قرنين على حياة الناس وماجدّ فيه من تكوينات سياسية واجتماعية كادت تقطع الصلة بين حاضر الجزيرة وماضيها وتضع لها تأريخاً لا ينطلق من تأريخها العربي والإسلامي ولايعتمد عليه.

رابعاً: جهل بعض أصحاب هذه الآراء بالدور التأريخي المستمر للعرب منذ الجاهلية إلى عصرنا الحاضر الذي لم يتحول ولم ينقطع وإن ضعف في بعض القرون وتذبذب في قرون أخرى.

خامساً: وربما كان قولهم ذلك أيضاً من قبيل التعميم الذي لايقصد معناه وإنما أملته الرغبة في الدفاع عن الموقف الذي يلتزم به المحبون للعامية.

كل ذلك تردد في نفسي وجال في تفكيري وأنا أقرأ أحكامهم وآراءهم، وكان من الممكن التماس الأعذار لهم لولا أن بعض من أدلى بدلوه وأطلق نفس العبارات لايلتمس لمثله عذر ولايمكن أن يعد ممن يلقى الكلام جزافاً لأن مركزه السياسي يفرض عليه التأني والدقة فيما يقول ولأن موقعه الوظيفي يجعله ملماً بتأريخ الأمة الإسلامية العربية ويعرف منابع الأصالة وجذور ثقافة الأمة التي انحدر هو منها، ولأن الرجل يلقى كلمة رسمية معدة سلفاً ومكتوبة لتلقى في مؤتمر علمي يحضره بعض العلماء والأدباء وأساتذة الجامعات ورجال الفكر والأدب، وقد خاطبهم بقوله:

(إن الحرص على رعاية التراث الشعبي لهذه المنطقة هو جزء من اهتمامنا الشامل بالفولكور العربي، ومن رغبة أكيدة في **البحث عن منابع أصالتنا والتعرف إلى جوانب إبداعات** أجدادنا لدراستها وتحليلها ذخيرة لأجيالنا المقبلة، وقال: إن هذا واجب وطني قومي تضطلع به النخبة المثقفة من أبنائنا الذين يعايشون التطور الإجتماعي والاقتصادي لعالمنا العربي ويحدوهم شعور **أصيل في التشبث بالجذور الثقافية لأمتهم**[1].

هل يساء الظن بهذا المتحدث ويقال إنه يعنى مايقول، ويريد أن تكون جذورنا الثقافية ومنابع أصالتنا وإبداعات أجدادنا هى ماحفظه لنا التراث العامي الذي يتحدث عنه في مؤتمره الشعبي؟ أم أنه لايفرق بين المنبع الصافي وبين الحواشي والأطراف؟ إنه ليس من السهل إتهامه هو وأمثاله بأنهم يريدون قطع صلتنا بماضي الأمة العربي ثم العربي الإسلامي الذي أشرق منذ خمسة عشر قرناً وسال من منابعه مع البعثة النبوية ليروى أرض الجزيرة والعالم، ثم أغدق واخضوضر في دولة بنى أمية وآتى ثماره الفكرية والثقافية في القرنين الثاني والثالث الهجريين وهضم ثقافات العالم القديم وحضارته في القرنين الرابع والخامس حين أصبحت ثقافته عربية إسلامية يمدها النبع الأصيل من القرآن وجذور التأريخ المشرق واستمر في كل

---

(١) مجلة الدوحة، ديسمبر ١٩٨٤م.

العصور ينقل القوة معه للعرب وغير العرب من المسلمين. وعندما تصرمت قوته قبل قرنين من الزمان نشأت على ركام تصرمه عامية ركيكة مبتذلة لا تعبر عن فكر ولا تمثل ديناً ولا تستوعب حضارة ولا تعتمد على تأريخ إلا تأريخ الفرقة والتناحر والمعارك العشائرية وإذا شئنا أن نلتمس له عذراً ولكلامه محملا حسناً **فالاحتمال الوحيد هو أنه قد وقع تحت تأثير الإتجاه العام** إلى الفكر العامي فقال ماقال وهو لايعني مدلول هذه الجمل التي يرددها، وإنما انساق مع الشعور الذي يحسه بتميز عادات مجتمعه، وانفعل بمن حوله فقال ذلك ونسى أن يتذكر التأريخ وأن يتمثل المعنى المحدد للجذور والأصالة والمنبع، وانطلق يقول ماكتب له مروجو العامية من كلام لايحتمل معنى ولاينطق عن حقيقة ولايقول حقاً. وقد وجد أعداء الأمة العربية في اللغة العامية ضالتهم عندما لقنوا أبناءها بأن فيها جذورهم الثقافية ومنبع أصالتهم، وتميز شخصيتهم. وليس في العامية شيء يجعل لها هذا المكان في النفوس، وليس هناك جذور أو انتماء غير الانتماء إلى حضارة الأمة العربية منذ بداية عهدها الأول في الجزيرة حتى نزل القرآن الكريم بها. فكانت الأصالة وكانت الجذور وكان المنبع الخالد الذي تعجز العامية ويعجز العاميون عن زحزحته عن مكانه مهما أعجبوا بغيره من أنواع الثقافات والأفكار فكان لابد من تبديد سحابة الإعجاب بآرائهم وأفكارهم وبيان وجه الحق، وبيان خطأ مايرددون من أقوال جوفاء.

والرد على هؤلاء مهما كانت مقاصدهم هو رد واحد، وهو تعليمهم منبع الأصالة وجذور الثقافة والإنتماء الكامل للمنبع الأول الذي وجد في دين الإسلام وفي القرآن وفي تأريخ الدولة العربية الإسلامية وأي دعوى لمنبع جديد لايقصد بها إلا ترحيل الأمة عن أصالتها ومنابع وجودها والبحث عن منبع بديل.

ولايمكن أن نفترض أن المرددين لهذه العبارات قد اقتنعوا بأهمية الانتقال إلى العامية واتخاذها منبعاً جديداً وأصالة جديدة مالم نفترض أن الفكر

الأصيل قد أعجزهم فبحثوا عن فكر وثقافة ضعيفة في مستوى قدرتهم وضعفهم حتى يستطيع الضعاف من البشر التعامل مع فكر ضعيف مثل فكرهم، وثقافة تشبه في الضعف ثقافتهم. وانكشف عجزهم أمام ضخامة موروثها الحضاري وفكرها الراقي الذي ربى وارتفع خلال القرون وأصبح مروجو العامية لايستطيعون التعامل معه أو تسلق سموقه وارتفاعه.

إن إطلاق منبع الأصالة والجذور التأريخية على أي حقبة من حقب التأريخ بعد القرن الأول للإسلام إطلاق لايقرُّه عربي صادق العروبة ولايعترف به مسلم صحيح الإيمان والإسلام، ولايقول به أحد أو يقصد معناه الحقيقي إلا من كان يريد بأمة محمد صلى الله عليه وسلم شراً وبالعرب عامة إرتداداً وانتكاساً.

ولانستطيع ونحن نواجه هذا المفهوم والقول الخاطىء إلا أن نحمل مقاصد أبناء أمتنا الذين ينزلقون إلى هذا التعبير الخطير والفكر المضطرب على الغفلة وعدم الإدراك وعدم التنبه لمقاصد الكلمات التي يتورط فيها من لايعرف دلالة الألفاظ.

الركيزة الرابعة :

الركيزة الرابعة من ركائز تفكيرهم تقول:

(إن اللغة العربية التي نخاف عليها من طغيان العامية محفوظة في القرآن الكريم ولاخوف عليها وقد تكفل بحفظها القرآن وإن لغة القرآن الكريم قد تكفل الخالق بصيانتها وحفظها بقوله: **«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»**.

واللغة العربية الفصحىٰ باقية لم تشبها أي شائبة وقد ضمن الله لها الحفاظ من الضياع)[1].

---

(١) وهبة، ١٠٣، ١١٥، ٢٤١،...وفي مواضع متكررة.
الرياض، عدد ٥٩٩٢ في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ والرياض، عدد ٦٣٥٢ في ١٤٠٦/٣/١هـ والجزيرة، عدد ٤٤٤١ في ١٤٠٥/٣/٣هـ. وغير ذلك عشرات المقالات في الصحف والمجلات التي تهتم بالفكر العامي.

فقــه برد :

هذه الأقوال التي يرددها الطيبون من محبي العامية فيما يكتبون ويذيعون على الناس مغالطة أخرى وسوء فهم جديد فهم يعتمدون في أقوالهم، على أن اللغة العربية الفصحىٰ محفوظة مصونة بالقرآن و يزعمون أنه لاخطر عليها مادام القرآن الخالد تكفل بهذا المعنى الذي يفهمون من نص القرآن. وقد ندب نفسه للفتوى في ذلك أكثر من يكتب عن الفكر العامي والأدب العامي والثقافة العامية، وأجمعوا على القول بذلك. منهم من أورد جزءً من الآية كما في النص الأول ومنهم من أجمل الحديث وأشار إلى أن القرآن حافظ لها كما في الجملة المقتبسة الثانية.

وفتاوى هؤلاء تذكرني بحديث لأهل البصرة مع برد أبي الشاعر بشار بن برد، فقد كان بشار غلاماً صغيراً يؤذي صبية الجيران وسالكي الطريق المار بداره، فذهب الجيران إلى أبيه، وشكوا مايلاقون من بذاءة ابنه فرد عليهم بقوله: «ليس على الأعمى حرج» فقال المشتكون هان علينا أذى بشار مع فقه برد، فذهب كلامهم مثلاً.

وأصحاب الأفكار الإقليمية العامية الذين يتصدرون لتفسير القرآن و يدلون بمثل هذه الآراء والحجج يفهمون القرآن مثل فهم برد في حكم الأعمىٰ فهو لايعنيه من الآية إلا ظاهر معناها الذي يحتاجه للدفاع عن سوء خلق ابنه. وهم كذلك لايعرفون غير ظاهر معنى مايرددون من قول عاجوه ولووا معناه حتى يفهم الناس أن المعنى للآية التي يستشهدون بها هو مافهمه كتبة العامية كما فهم برد معنى «ليس على الأعمى حرج».

ومفسرو الآية كلهم من عامة الناس الذين لو حدث لأحدهم سهو في صلاته لذهب يستفتي العلماء ولم يعتمد على علمه في كيفية الإتيان بالسهو، فضلاً عن ادعاء العلم بتفسير القرآن وتوجيه نصوص الآيات توجيهاً خاطئاً لايعتمد على أدنى حد من العلم في تفسير القرآن ولم يدفع هؤلاء إلا تبرير مواقفهم وفهمهم الخاطيء الذي يظنونه صواباً.

لقد كان للقرآن ولآياته حرمة في نفوس المسلمين، وقد تحرج عن الخوض في تفسيره كبار الصحابة [1] وعلماء المسلمين وكان الصحابي لايفتي في تفسير آية أو يوجه معناها حتى يسمع في ذلك حديثاً أو يسلح نفسه بسلاح العلم، وحتى يقرأ و يطلع و يعرف ماقيل في تفسير القرآن ثم لايقول رأياً إلا مايقوم عليه دليل. يروى عن أحد الصحابة قوله: ماكنا نتجاوز عشر آيات من القرآن حتى نعرف معناها، ومع ذلك كان الصحابة، بل كبار الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأولون، لايجرؤون على القول بالقرآن بغير علم، وقد وقف أبو بكر أمام ذلك وامتنع عن القول بتفسير القرآن بغير علم وقال كلمته المشهورة: أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في كتاب الله مالا أعلم، وأعلن عمر بن الخطاب وهو يتلو آية على المنبر أنه لايعرف معناها.

أما كتاب الفكر العامي وحداة الإقليمية وأنصار العامية فلم يكن لديهم حتى مجرد التفكير فيما عسى أن يكون معنى الآية التي يستشهدون بها، قبل الإقدام عليها وصرف معناها ليخدم دعواهم ويؤيد مواقفهم التي يدافعون عنها، ولم يخطر ببالهم أن يقرأوا تفسيراً من عشرات التفاسير الموجودة في كل مكتبة ومسجد ولم يسألوا أهل الذكر كما أمروا بذلك. والسبب أنهم يعتقدون وعلى يقين أن قولهم هو الصواب، والحق، وأنه لايوجد ماينقض مايذهبون إليه، حتى إن بعض من يدعي المعرفة أو من يظن فيه مثل ذلك شاركهم رأيهم الخاطيء.

لقد سمع مروجو الفكر العامي الناس يقولون: إن سبب خلود العربية هو نزول القرآن بها، ولم يكن أمامهم فسحة من الوقت تسمح بالنظر والتدبر عن أي شيء يتحدث الناس، ولم يحاولوا فهم المعنى المراد بحفظ القرآن للغة

(١) كان سعيد بن المسيب إذا سئل عن معني آية من القرآن، يقول: لا أقول في القرآن شيئاً، تحرجاً من الأقدام على تفسيره بغير معناه وخوفاً من الوقوع في الزلل، انظر الطبري ابن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمد محمود شاكر، دار المعارف (بلا تأريخ) جـ١، ص٨٥.

العربية الفصحىٰ ولكنهم سمعوا القول الذي يقول: إن أسباب خلودها واستمرارها هو نزول القرآن بها، إذ جعلها لغة دينية خالدة، ولم يعرفوا في أي سياق سيق هذا الكلام وعلى أي مقدمات بني هذا الاستنتاج فأخذوا من القرآن مايوحي ظاهر معناه بما سمعوا من أفواه الناس دون علم ودون معرفة و بلا تريث ولانظر.

إن الذين قالوا: إن القرآن حفظ اللغة العربية وسبب خلودها و بقاءها حتى يومنا هذا هم الذين درسوا تأريخ اللغات وعرفوه ووجدوا أن العربية الفصحىٰ، قد استمرتْ وقويتْ و بقيتْ على مرّ العصور حية، الأمر الذي لم يجدوا مثله لأي لغة أخرى وبحثوا عن سبب ذلك فوجدوا أن هناك تلازماً بين الدين واللغة العربية وأدركوا أن خلود القرآن واستمرار رسالته وفهمه مرتبط بقوة العربية الفصحىٰ وفهمها فوقفوا ضد حركات العاميات وانتشارها وحاولوا وقف زحفها حتى تبقى الفصحىٰ حافظة للقرآن و يبقى القرآن حافظاً لها مفهوماً بها يستعملها الناس في حياتهم وفيما بينهم فيعلمون دينهم الذي نزل بها ويعلمون فكرها وأدبها وكل مافيها، وهذا حفظ القرآن اللغة وليس المعنى الذي يذهب إليه محبو العامية. وقد فهم المستعمرون هذا التلازم بين اللغة والدين وأنهما الوحدة الكبرى الباقية للعرب، فحاولوا نشر العاميات للنفاذ من خلالها إلى مايريدون.

إن الطفل والمرأة والأمي يتكلمون لغة القرآن و يعرفونها و يدركون جمال معناها. والركون إلى العامية نقلة بعيدة عن اللغة الفصحىٰ وفي استمرار إنتشار العامية والفكر العامي صرف للسان وصرف للفهم عن اللغة الحافظة للقرآن وهو عكس مايذهب إليه مفكرو العامية. وترديدهم بأن القرآن حافظ للعربية ترديد لآراء قيلت بوجوب المحافظة على سلامة الفصحىٰ وليس وجوب انتشار العامية والاعتماد على فكرها وأدبها وثقافتها واهمال الفصحىٰ اعتماداً على زعمهم أن الله قد تكفل بحفظها لأنها لغة القرآن.

وقلبهم للمعاني واحتجاجهم لما يذهبون إليه ليس دليلاً على عدم الفهم

فحسب، لكنه قد يكون محاولة من الأذكياء منهم لإزالة الخوف من نفوس الناس الذين يحرصون على بقاء اللغة و بقاء الدين، فحاولوا إزالة هذا الخوف من النفوس وطمأنوا الخائفين على القرآن زاعمين لهم أنه إذا كان مصدر خوفهم هو الحرص على بقاء القرآن صافياً مفهوماً فإن القرآن على حد تفسيرهم للآية محفوظ من عند الله، وعلى هذا الرأي والتفسير العلمي المتقن لامعنى للاهتمام باللغة الفصحىٰ ولامعنى للتردد عن استعمال العامية.

ومادام أصحاب الفكر الإقليمي والثقافة العامية ومراسلو الصحف الشعبية وكتابها قد أجمعوا في تفسيرهم على أن القرآن قد تكفل بحفظ اللغة وأن الله قد وعد بذلك في كتابه واستشهدوا بآية بعينها من القرآن وحددوها فإن الأمر يقتضى نقل آراء المفسرين الذين فات عليهم هذا الفهم الجديد الذي فهمه العوام لمعنى القرآن. ولابد من وضع آراء المفسرين القدماء والمحدثين وعرضها أمام مفسري الفكر العامي، لعلهم يعرفون الحق و يعودون إليه، أو تقوم عليهم حجة الإعراض والقول في القرآن بلا علم.

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: **(إنا نحن نزلنا الذكر)** رد لإنكارهم واستهزائهم في قوله: **(يا أيها الذي نزل عليه الذكر)** كذلك قال إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والثبات وأنه الذي بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم و بين يديه ومن خلفه رَصَدَ حتى نزل و بلغ محفوظاً من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها إنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً، فكان التحريف، ولم يكل القرآن إلى غير حفظه. فإن قلت فحين كان قوله: **(إنا نحن نزلنا الذكر)**، رداً لإنكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله **(وإنا له لحافظون)** قلت: قد جعل الله ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده آية[1]، لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه،

(١) يعني دليلاً و برهاناً تقوم به الحجة على صدق النبوة.

وقيل الضمير في (له) لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله: (والله يعصمك من الناس) [1].

أما الرازي فيقول في تفسيره الآية المذكورة: قال تعالى: **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)**. وفيه مسائل. ثم ذكر من المسائل مانحن بصدد الحديث عنه وهو معنى الحفظ للقرآن الذي أشار إليه مفسرو الآية وموجهوها إلى أغراضهم وأهوائهم، يقول: (إنا نحفظ ذلك الذكر من التحريف والزيادة والنقص). ثم استطرد في تفسير حفظ القرآن وكيف يتم ذلك، فقال: **(فعجز الخلق عن الزيادة فيه أو النقصان عنه لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغير نظم القرآن** فيظهر لكل العقلاء أن ذلك ليس من القرآن... واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ فإنه لاكتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير، أما في الكثير منه أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات وأيضاً أخبر الله تعالى عن بقائه محفوظاً عن التغيير والتحريف) [2].

أما سيد قطب في تفسيره ظلال القرآن فيقول عن معنى الآية التي يتخبط كتاب وفقهاء الأدب الشعبي في معناها: (وقد أراد الله لهم خيراً مما يريدون بأنفسهم، فنزل بهم الذكر يتدبرونه ويهتدون به، وهو خير لهم من تنزيل الملائكة بالحق الأخير: **(إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون)**. فخير لهم أن يقبلوا عليه. فهو باق محفوظ لايندثر ولايتبدل ولايلتبس بالباطل ولايمسه التحريف وهو يقودهم إلى الحق برعاية الله وحفظه، إن كانوا يريدون الحق.. لأنه أراد بهم الخير فنزل لهم الذكر المحفوظ) [3].

إن الحفظ الذي يحتج به «الطيبون» من الناس في الآية يعني حفظ

---

(١) الزمخشري، عمر، الكشاف جـ٢، ص٥٧٢.

(٢) الفخر، الرازي، التفسير الكبيرجـ١٩ ص١٦٠.

(٣) قطب، سيد، في ظلال القرآن جـ١٤، ص١٢.

القرآن من الزيادة والنقص والتحريف، وقد صدق الله، فقد تم حفظ كتابه قرآناً يتلى، أحصيت آياته فلا يستطيع أحد زيادة آية واحدة أو نقصها، وحفظت سوره فلا يمكن زيادة سورة واحدة فيه أو نقص ذلك، وأحصيت حروفه حرفاً حرفاً فلايمكن الطمع لأحد أن يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً. وهذا هو معنى الحفظ الذي فهمه فقهاء العامية ومفسروها فهما آخر.

وليس هناك في نصوص القرآن ضمان بدوام اللغة العربية الفصحى واستمرارها حية يستعملها كافة الناس ويفهمها القطاع الكبير من المجتمع، إذا لاسمح الله أعرض عنها أهلها، وأحلت كل طائفة منهم لهجتها العامية محل لغتها العربية. وأسوق كذلك مثلاً يعرفه كل من يبحث عن الحقيقة والمعرفة ويريد الصواب وينظر إلى الأشياء كما هي في طبيعتها، وليس كما يريدها هو. إن اللغة العربية الفصحىٰ لغة القرآن كانت هي اللغة التي تكتب بها علوم الدين ويقرأ بها القرآن ويتكلمها العلماء وعامة الناس، وكانت هي لغة الحياة والفكر والأدب والدين في جميع الممالك والدول الإسلامية الشرقية من إيران حتى سد الصين. وكانت الدول الإسلامية التي قامت في تلك الديار تتكلم العربية لغة رسمية ــ كما يصفها عندنا اليوم العوام ــ وماكان لها منافس في القرون: الثلاثة الأولى من الهجرة. ولم يستعمل المسلمون في شؤون الحياة غيرها لأنها لغة القرآن ولغة الأمة المسلمة، ولغة الوحدة التي تجمع كيان الأمة كلها.

وعندما شعرت تلك الأقاليم الإسلامية بالضعف والتفكك نشأ عندها شعور بقوميتها وإقليميتها مثل شعور هواة الفكر العامي والثقافة العامية بإقليميتهم وقوميتهم، فاهتم المسلمون في تلك الدول بلهجاتهم المحلية، وزعموا أن اللغة الفصحىٰ لغة القرآن واللغة الرسمية محفوظة ولاخطر عليها مثلما يزعم إخواننا هواة العامية اليوم وبدأت تظهر إلى الوجود فكرة مدح لغاتهم ولهجاتهم المحلية وربط قوميتهم بها وأصبح لكل قطر لغة محلية مع اللغة الرسمية واستمر الحال تدريجياً بعض الوقت حتى تأصلت في نفوسهم مكانة

لهجاتهم المحلية ومالبثت أن أصبحت تلك اللهجات لغات مستقلة لتلك الأمم والأقطار، وبدأ ذلك بظهور شعراء مبدعين باللهجات المحلية العاميَّة مع اللغة العربية الفصحىٰ فتوجهت الأقاليم الإسلامية إلى لهجاتها ولغاتها المحلية ومجدت شعر شعرائها الذي بدأ ينظم بتلك اللغات، وبدأ الابتعاد شيئاً فشيئاً عن لغة القرآن الحافظة له كما يزعم العوام، وقام الشعر والشعراء بدور جلي في تهيئة الفكر واللغة المحلية للانفصال والاستقلال عن العربية الفصحى أول الأمر ولم يمر قرنان حتى استقلت الأقاليم الشرقية بلغاتها المحلية وانتهت العربية من هناك إلى الأبد. ولم يحفظ القرآن اللغة العربية لهم في بلادهم عندما أهملوها، وأحلوا لغاتهم المحلية مكانها.

ونحن وإياهم في نظر الإسلام سواء، والقرآن لايميز بين عربي مسلم، ومسلم من غير العرب. ولو كان القرآن قد تكفل بحفظ اللغة العربية الفصحىٰ للمسلمين حتى تبقى لغة لهم لحفظها للمسلمين في باكستان وإيران، وبنقلادش ، وتركيا وغيرها وكلها دول إسلامية وشعوب مسلمة، ويحسن أن يورد رأي للدكتور شكري عياد حول هذا الموضوع وما ألمح إليه من استنامة الناس على هذه المقولة يقول: (وإني لأربأ بالأمة العربية الإسلامية أن يقولوا كما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه. وأن يناموا على آذانهم ثقة بأن الله جلت قدرته ضمن الحفظ لقرآنه، ما دام القرآن محفوظاً فالعربية محفوظة، ألا فاعلموا يا قوم أن الله قادر أن يحفظ القرآن بغيركمْ، ثم لايكونوا أمثالكم، إنما تدعون لتكونوا جدير ين أنتم وأبناؤكم بحمل ذلك القرآن المجيد) [1] .

ماتت اللغة العربية عندها وانحصرت معرفتها في القلَّة من علماء تلك الأمم مثلما هي حال اللاتينية عند المسيحيين، حتى وإن بقىٰ القرآن متلواً وبقيتْ دولاً إسلامية. أما إن كان لدىٰ مفكري العامية رأي أو دليل بأن القرآن قد تكفل للعرب خاصة بحفظ لغتهم العربية الفصحىٰ وضمان بقائها فليعلنوا ذلك و يأتوا بشهدائهم إن كانوا صادقين.

---

(١) عياد شكري، الرياض عدد ٥٧١٠ في ١٤٠٤/٥/٩هـ.

والدول التي مثلت بها واقع مشاهد محسوس أمام الأنظار ولا أظن مفكري العامية يستطيعون القول بأن هذه الدول تتكلم العربية وأن القرآن قد حفظ العربية لها ونحن وتلك الشعوب في حكم القرآن سواء. فلماذا لم يحفظ القرآن العربية الفصحى لهم وهم مسلمون مثلنا عندما لم يحفظوها هم لأنفسهم؟ وكيف ضاعت العربية التي كانت لغة القرآن ولغة الأمة عندهم على مدى خمسة قرون عندما أراد أهل تلك البلاد إحلال لهجاتهم محلها؟.

لقد كان دعاة الاقليمية والانفصال منهم يقولون مثلما يقول العوام هنا: إن اللغة العربية لغة القرآن محفوظة به ولاخوف عليها، حتى غرروا «بالطيبين» الذين صدقوا نبوءاتهم فذهبت لغة القرآن وقامت لغات أعجمية مكانها ولم يستطيعوا العودة إلى الصواب والحق بعد أن بعدت بهم الشقة.

بقي أن استميح القراء عذرا، فقد بدأت أعالج بدهية من بدهيات المعرفة وأولياتها لايخفى علمها على أدنى الناس حظاً من الثقافة والعلم. لكن ما الحيلة؟ وها أنتم ترون بين أيديكم نصوصاً تدلى بها فئة من المجتمع، إما لأنها لاتعرف هذه الأوليات والبدهيات وإما لأنها تتجاهل ماتعرف لتضليل عامة الناس فكان الواجب يحتم مناقشة الآراء على مستوى من يدلي بها إنْ كان جاهلاً فيرد إلى الحق و يُعَلّم حقيقة مايجهل وإن كان متجاهلاً فتقام عليه الحجة حتى تذهب دعواه التي يدعي و يعرفها على حقيقتها من كان يحسبها صواباً.

ثم إن الدفاع عن اللغة العربية ليس لأنها لغة القرآن فحسب، ولكن لأنها أيضاً لغة الأمة العربية في جميع أقطار الأرض ولأنها عنوان الوحدة التي تجمع هذه الأمة ولأنها حوت موروث الأمة الفكري والحضاري منذ ألف وخمسمائة سنة، ولأنه لاتوجد عامية يمكن أن توحد العرب أو تجمع تأريخهم وأصالتهم غير العربية ولأن الاهتمام بالفكر العامي والثقافة العامية سيشغل حيزاً من الأجدى شغله بما يطور الفصحى و يقربها إلى حياة الناس الخاصة والعامة ويجعلها إن لم تكن لغة الحديث اليومي في كل شيء لغة باقية

مستمرة كما كانت من قبل يفهمها كل العرب على اختلاف لهجاتهم وتباين أوطانهم، وعلى اختلاف نصيبهم من العلم والمعرفة.

والاهتمام بالعامية كما هو حاصل في الوقت الحاضر سيجعل اللغة العربية الفصحىٰ والقرآن الكريم الذي يزعم أنصار الفكر العامي أنه يحفظها، سيجعلها لغة أخرى، هي وقرآنها، لايفهمها عامة الناس ولايتذوقون جمالها الفني ولايدركون معانيها السامية، ثم تبعد شيئاً فشيئاً حتى تصبح لغة دين ــ وليست لغة حياة ــ يتعامل بها القلة من الناس مثلما هو حال اللاتينية التي أصبحت لغة الكنيسة وليست اللغة الحية للأمم المسيحية ويصبح فهم العرب للقرآن كفهم المسلمين من غير العرب له حيث يقرأونه دون أن يعرفوا معناه أو يتلذذوا بجماله الفني وبلاغته المؤثرة في الألباب والساحرة للفؤاد عند من يدركها ويعرفها دون مترجم أو رجل دين يقف أمامهم يفسر لهم مايقيمون به شعائرهم الدينية ثم تنتهي صلتهم القوية به في ذلك المكان مثل ماهو حاصل في البلاد الإسلامية كلها التي غلبت عليها لهجاتها المحلية فتركت لغة القرآن فبعدت عنه وانغلق فهمه عليها. وقد أدرك ابن خلدون خطورة بعد اللسان عن استعمال الفصيح من الكلام وقال: (إن ذلك سبباً بانغلاق القرآن والحديث على المفهوم) ووصف السمع بأنه أبو الملكات اللسانية[1].

واستمرار لغة العرب ولغة القرآن، لغة دين ولغة حياة ولغة أمة توحد أجزاءها، رغم اختلافاتها السياسية والاجتماعية ورغم تعدد اتجاهاتها هو ماكان يحسدنا عليه أعداؤنا.

وقد تحدث أكثر من عالم أجنبي وحاضر أكثر من مفكر عن معجزة اللغة العربية، وذكر الذين يهتمون بدراسة اللغة كنشاط إنساني استغرابهم لاستمرار اللغة العربية الفصحىٰ في طريق الحياة حتى الآن وخروجها على القاعدة.

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن، المقدمة، ص٥٤٦.

وقالوا: إن هذا مالم يحدث لأي لغة من لغات الأمم. واستكثروا بقاءها وصمودها بالرغم من ضعف أهلها وذهاب سلطانها منذ أمد بعيد. وقد حاول الغربيون الذين حتمت عليهم مصالحهم التعامل مع الفكر العربي خلخلة بنيان اللغة وبعث الشك في قدرتها على الدوام والاستمرار القوي الذي يلبي حاجة الأمة حتى يدخلوا من أضعف نقاط الارتكاز في منعطف الفهم الذي يتمتع به عدد غير قليل من العرب ولله الحمد على كل حال.

الركيزة الخامسة :

من الحجج التي تعرض في تبرير استمرار العامية آراء تقول إن ٨٠٪ من سكان الجزيرة يفهمون العامية أدباً وفناً [١] وإن الإقبال على صفحاته في الصحف شيء لامثيل له مما يدل على أن أغلب الناس يحبون الأدب العامي [٢]. وإن التعبير العامي هو الوسيلة المتاحة للكثير من الناس [٣].

هذه الحجج نماذج حية تدل على استبداد الهوى وميل العاطفة عند أنصار الأفكار الإقليمية وأمثلة أخرى على المغالطة المكشوفة، لأن إيراد النسبة الكبيرة وهي ٨٠٪ لايقوم على أساس صحيح وليس الغرض منه إلا التهويل بشعبية العامية وكثرة عشاقها. وهي نسبة غير صحيحة لما يأتي:

أولاً : الذين يشيرون إلى هذه النسبة لايعرفون عدد سكان الجزيرة حتى يحددوا نسبة العوام منهم بهذا العدد ولم يقوموا بإحصاء رسمي ولم يعتمدوا على مصادر علمية تحدد الذين يفهمون العامية ويحبونها. ولم يشيروا إلى مصادرهم التي استقوا منها معلوماتهم.

---

(١) وهبة، ص٩٥، ١١٢.

(٢) وهبة، ص١٥١، وانظر صحيفة الندوة عدد ٧٤٤١ في ١٤٠٣/١١/١٦هـ.

(٣) الرياض، عدد ٥٩٩٢، في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ، تصعب الإشارة إلى كل ماقيل حول هذا الرأي لكثرته ولكنني أكتفي بالقليل وعلى من يريد المزيد، النظر في الصفحات الشعبية وماكتب فيها دفاعاً عن الفكر العامي أو تبريراً له.

ثانياً : الحديث عن نسبة ٨٠٪ أو أي نسبة كانت، حديث عن الشعر النبطي خاصة وليس عن كل أنواع الفنون العامية من شعر وغيره في مناطق المملكة كلها. والشعر النبطي شعر إقليمي لايفهمه إلا أبناء القبائل العربية وبعض حاضرة نجد. ونسبة هؤلاء إلى السكان لا تصل إلى هذا العدد على فرض أنهم جميعاً يفهمون الشعر النبطي، وليس الأمر كذلك فمن هؤلاء نسبة لابأس بها لا تفهم الشعر العامي ولا تستلذ به ولا تعرف معناه وقد سألتُ في منزل الدكتور سعد الصويان شابين من أساتذة جامعة الملك سعود أحدهما من منطقة القصيم والآخر من اليمامة عن معنى بيتين من الشعر العامي «النبطي» ومعناهما من الوضوح بمكان إذ إن موضوعهما هو خلق الكرم والمروءة واحترام الجار ومكانته عند العرب. فلم يعرفا مما أقول شيئاً حتى تدخل الدكتور سعد وترجم لهما معنى البيتين العاميين ترجمة فورية. واحتج لقصر فهمهما بأن ملكة الشعر وفهمه مختلفة لدى الناس حتى وإن كانوا يفهمون لغته التي قيل فيها فأتيت لهما ببيتين من الشعر الفصيح يعنيان نفس المعنى الذي عناه البيتان السابقان فعرفا ذلك وأحسنا فهمه بالرغم من أنهما لم يسمعا الشعر العربي أو العامي من قبل كما ذكرا لي.

إذاً النسبة مبالغ فيها إذا أريد بها السكان عامة وليست صحيحة، أما الإقبال عليه وعلى ماينشر في الصفحات الشعبية، ممن يفهمه فهى حقيقة لأن الصفحات الشعبية أصبحت هي الوسيلة لكل من يريد أن يقول في العامية رأياً أو يعرف عنها شيئاً.

وإقبال نسبة كبيرة من الشباب المتعلم المثقف على صفحات الأدب العامي تجعل خطورته متحققة لما يأتي:

أولاً: إغراؤهم به لسهولته وقرب مأخذه عليهم. وكثرة الاعتناء بالعامية وبأدبها إن شعراً وإن نثراً تجعل الخوف على فكر الشباب وثقافته وارداً، وتجعل الابتعاد به عن لغة دينه وأمته أمراً متحققاً، ولاسيما إذا وجدوا أن العامية مهيأة لهم ووسائل الإبداع فيها ميسرة بل مشجعة مفضلة.

ثانياً: النسبة الكبيرة التي تقبل على العامية في الوقت الحاضر من الشباب الذين لايعرفون العامية التي كانت منتشرة قبل عشرين عاماً وإقبالهم على العامية الآن وإتاحة أسباب تعلمها والاهتمام بها من وسائل الإعلام عامة، يصرف هؤلاء عن التعليم ويحول بينهم وبين صلتهم بالثقافة العربية والإسلامية ويحد من نشاطهم الفكري. مع أن مايبدعون من أفكار عامية في الوقت الحاضر يعد متخلفاً عن العامية التي كانت قبل ثلاثين عاماً وبناء شعرهم وموضوعاته وصوره وفنونه مختلفة ومتخلفة أيضاً.

الركيزة السادسة :

تقول : إن أغلب مفردات العامية والأدب العامي عربي فصيح ولايمكن أن يكون فيه خطورة على اللغة العربية[1].

أما أن أغلب مفرداته عربية فصيحة سليمة المبنىٰ والمعنىٰ فنحن لانختلف مع أهل الرأي القائل بعربية أغلب مفردات اللهجات العامية في الجزيرة اليوم. وإن كانت نسبة لابأس بها قد بعدت عن أصلها العربي الفصيح. والكثير من المفردات العربية الفصيحة التي بقيت على ألسنة العوام قد قُلِبَ معناها، واستعمالها اليوم ليس من الضرورة أن يكون هو ماكانت تستعمل له أصلاً. وعلى أي حال فإن المفردات الفصيحة الباقية في العامية توجب علينا عند تحقق صحتها وفصاحتها، أن يستغل الحريصون على لسان الأمة الواحدة هذه الفصاحة، ثم يردون مفردات العامية إلى اللهجات القديمة ويقربونها إلى أصلها العربي مادام الأمر ممكنا ومادامت مفردات العامية صحيحة سليمة. بدل تغريب القليل من مفردات اللغة وجرّها إلى مهابط العامية والابتعاد بها شيئاً فشيئاً حتى تنطمس معالم الفصاحة فيها وتبعد القربىٰ بينهما وتوغل العامية بالانتقال التدريجي فتوضع لها الأسس والقواعد

---

(١) وهبة، ص٧٦، ٩٨، ١٠٣، وانظر مقدمة ديوان النبط، جمع خالد الفرج. ط١ الترقي. والجزيرة، عدد ٥٧١٠ في ١٤٠٣/١١/١٢هـ، والجزيرة عدد ٤٣٧١ في ١٤٠٤/١٢/٢١هـ والندوة، ١٤٠٣/١١/١٦هـ والجزيرة، عدد ٤٤٥٣ في ١٤٠٥/٣/١٥هـ.

و يرسخ استعمالها في فكر الأجيال و ينشر أدبها و يكتب حتى تصبح لغة أخرى جديدة و بعيدة عن الأصل الذي نشأت عنه واستقلت منه.

مع أن أسباب انتشار العامية في الماضي هو ــ كما لايختلف على ذلك كثير من الباحثين ــ نتيجة لندرة المتعلمين وقلة التعليم فيما مضىٰ من فترات مرتْ بكل البلاد العربية، ولم يسلم منها أي بلد عربي. أما في وقتنا الحاضر فالأمية مدبرة لاشك في ذلك والثقافة مزدهرة والتعليم يطارد شبح الجهل في جميع البلاد العربية. والاهتمام بالعامية فكراً ولغة وقيمة اجتماعية يناقض الهدف الذي تسعى إليه الأمة العربية كلها، و يثير السؤال الذي لانجد له إجابة كافية وهو لماذا الاهتمام بالفكر العامي واللغة العامية مع وجود البديل ووجود الثقافة الفصحىٰ وإمكانية الرقي بها إلى مستوى أعلى؟.

لقد أمحت في الحاضر اللهجات العامية التي كانت قبل عشرين عاماً عاميات متباعدة، وكان في ذلك الوقت لايستطيع أهل إقليم من أقاليم الجزيرة فهم عامية الإقليم الآخر[1]. وأصبحت اللغة في طريق الاتصال والتعامل والارتقاء إلى الفصاحة، وهذا الرقي التدريجي يجب أن يكون مشجعاً ودافعاً إلى الاستمرار في استعمال الفصحىٰ، وهجر اللهجات الدارجة واللكنات الإقليمية. ولم يبق إلا أن تقوم مؤسسات التعليم ووسائل الثقافة المساعدة الأخرى مثل التلفاز والصحف والمجلات بالابتعاد عن الابتذال اللغوي حتى تنشط اللغة العربية الفصحىٰ. ولو حدث ذلك فلن يكون هناك شك بأن فترة قصيرة جداً ستعيد للفصحىٰ مكانتها في نفوس الناس وعلى ألسنتهم، وتعيد لها الثقة التي بدأت تفقدها. وستصبح العامية في حيزها الضيق وعلى ألسنة العوام الذين لايعرفون غيرها وعندئذ تصبح لاخطر منها ولاضرر من بقائها حيث هي حتى وإن لم تمح من الوجود. بل إنها لن تمحى وستدوم وتبقى و يبقى من يتكلم بها و يقول الشعر والغناء بها

(١) انظر الأدب الشعبي، ص٤٧.

ولاخطر في ذلك ولاضرر منه بل هو أمر طبعي ومقبول ولاينكره باحث ولايعترض عليه أحد من الناس لأنه أمر في حدود المعقول.

الركيزة السابعة :

الركيزة السابعة من الركائز التي برروا بها انتشار العامية واستمرارها، وضرورة الاهتمام بها تتلخص في نقطة واحدة. هي أن الأدب العامي في الماضي حفظ لنا في الحاضر الكثير من الأحداث التي كانت في الجزيرة إبان عصور العامية.

وقالوا : إنه مصدر وحيد لتأريخ الجزيرة السياسي والاجتماعي وليس هناك مصدر غيره يمكن أن ينقل لنا حقائق الأوضاع التي عاشها أجدادنا في ذلك التأريخ [1].

على صحة القول بأخذ الشعر كشاهد يصور موقفاً من المواقف أو يصف حدثاً من الأحداث أو معركة من المعارك، إلا أن المؤرخين لايعتبرون الشعر مصدراً أساسياً للتأريخ إذا كان وحيداً في نقل الخبر كما أشار النص السابق، ولايعتبرونه مصدراً للأحداث التي يرصدها التأريخ. يستوي في ذلك الشعر العربي والشعر العامي، والشعر في أي لغة من لغات الأمم.

والسبب الذي جعل المؤرخين لايعتمدون الشعر هو أن الشاعر وإن انفعل

---

(١) مقدمة شاعرات من البادية.
ندوة تاريخ الجزيرة العربية «الأولى».
مقدمة ديوان التميمي.
الرياض، عدد ٥٩٩٢ في ١٤٠٥/٢/٢٥هـ والندوة عدد ٥٧١٠ في ١٤٠٣/١١/١٦هـ.
الجزيرة، عدد ٤٤١٤ في ١٤٠٥/٢/٥هـ.
الرياض، عدد ٦٣٥٢ في ١٤٠٦/٣/١هـ.
وهبة ٤٢، ٦٦، ٩٣، ٩٦، ١٣٨، ١٨٥، ولاتكاد تحصى الأقوال التي تزعم أن العامي مصدر تأريخ الجزيرة وهي منثورة في الدواوين العامية والمقالات الصحفية والمؤلفات التي تتناول هذا الفن.

بالحدث التأريخي ووصفه في شعره وتحدث عنه وذكره إلا أنه يهمل نقطتين أساسيتين يعتمد عليها التأريخ كل الاعتماد هما الزمان والمكان، وإهمال هاتين النقطتين يفقدان الشعر الكثير من قيمته التأريخية ويجعلانه قليل الفائدة للاعتماد عليه كمصدرٍ وحيدٍ للتأريخ مالم تتوفر أخبار وروايات أخرى تقرر الحادث الذي يصوره الشعر.

أما إذا توفرت الأخبار من مصادر تأريخية غير الشعر وصاحب تلك الأخبار شعر يشهد لها و يصفها و يصورها فإن بعض المؤرخين يوردون منه مواطن الشاهد حتى يجسم الصورة و يصف الإنطباع الذي خلفه الحدث في نفوس الشعراء. وممن استعمل ذلك في تأريخه شيخ المؤرخين ابن جرير الطبرى.

ولو تناول المتحدثون عن أهمية الشعر التأريخية في الماضي جانباً آخر غير التأريخ وهو أن الشعر سجل ووصف مكارم الأخلاق وأشار إلى بعض الأسر من أبناء الجزيرة العربية الذين كان لهم في ماضينا القريب أمجاد وأخلاق عرفت عنهم وسجلها الشعراء وذكروها في كثير من قصائدهم. لو فعلوا ذلك لكانوا قد أصابوا كبد الحقيقة، ووفقوا في استعمال دلالة الشعر في مكانها المناسب لأن بعض الأسر وشيوخ القبائل العربية الضاربة في غرب الجزيرة وشرقها وفي وسطها وشمالها وجنوبها، وفرسانها وأجوادها كان لهم في الماضي ذكر وفضل ومروءة وصفها الشعر العامي وسجلها الشعراء في تلك الفترة. ولانجد لها اليوم دليلاً في زحمة الادعاء والتبجح غير ماقال الشعراء العوام وماوصفوا.

وأبناء القبائل العربية و بعض سكان المنطقة الوسطى الذين يعرفون الشعر «النبطي» العامي يعرفون أكثر من شاهد يردده الرواة وتتناقله الألسن يجسد القيم الاجتماعية الفاضلة التي عرفتْ عن الأمة العربية منذ القدم. وهي سجايا ورثها العربي بطبعه وجبل عليها وأدَّاها بلغته العربية عندما كانت لغته مساعفة وطبعه مؤاتياً ولسانه طلقاً، وأدّاها بعاميته التي يحسن

عندما بعدتْ به الحياة عن المنبع الصافى للغة التي كان يتحدثها أباؤه. وقد بقي له الخلق الكريم والجبلّة التي جبل عليها، بقيا له في كلا الحالين، ولم تضعفهما الأحداث ولم يتزحزح عنهما العربي إن فصيحاً وإن عامياً. ومن قيم العربي التي حافظ عليها وأبقاها حية في ضميره وعلى لسانه الكرم، وسخاء النفس والبشاشة للضيف، وطارق الليل، وإطعام الجائع وإكرام الغريب، والدفاع عن المحارم، والغيرة على الحوزة، والتسامح في موضع التسامح، أو الانتقام عندما لاينفع شيء غيره.

كل تلك القيم الاجتماعية كانت سلوكاً وطبعاً جبل عليه العربي ابن هذه الجزيرة، فافتخر بها ومجد الصابرين عليها وتغنى بها وعبر عنها بلسانه الذي يعرف ويحسن وكانت العامية هي لسانه الذي ينطق به خلال القرنين الماضيين لاشك في ذلك.

أما القول بأن **الشعر العامي «هو المصدر الوحيد الذي نقل** إلينا أحداث التأريخ الماضي التي حدثت في جزيرة العرب، ولامصدر سواه». فهو قول أقل مايجب أن يوصف به أنه إجمال وتعميم لايسنده شيء من الحقيقة العلمية. وكان الأجدر بمن يقول بهذا القول أو يعتقد هذا الاعتقاد أن يحدد مصدر التأريخ ويعرِّفه حتى يميز الباحث إن كان تعريفه ينطبق على الأدب العامي أو لاينطبق.

أما إطلاق القول بأن الشعر العامي هو «مايعوَّل عليه في دراسة أحوال سكان الجزيرة في مختلف النواحي» أو «أنه كل ماسيجده الباحث» فهي أقوال وآراء ليس لها نصيب من الحقيقة ولاتعتمد إلا على حسن النية بفهم القارىء. ولو صدر هذا القول عن كاتب واحد لاعتبر زلة قلم أو عثرة لسان. أما وقد قال به أكثر من كاتب وتحدث عنه أكثر من متحدث، وتواطأت على القول به الآراء كلها[1] التي تتحدث عن العامية، حتى كاد

(١) ماعدا الدكتور عبدالله بن صالح بن عثيمين الذي حاول أن يحترز من إطلاق القول وتعميمه. أنظر الشعر النبطي مصدراً لتأريخ نجد دراسات تأريخ الجزيرة العربية، جـ١، ص ٣٧٧ ــ ٣٩٦.

يصبح قناعة وأمراً مسلماً به. فلابد والحال كذلك من دراسة حقيقة هذه الأقوال وبيان الخلل العلمي فيها وخطأ استعمالها، استعمالاً لايسنده إلا هوى النفس والضرب بعلم القارىء وعقل الباحث عرض الحائط.

الأمر الأول : هو، إن أول نقطة تطرح للمناقشة هي قول القائلين بالرأي السابق حيث عمموا الحكم على الجزيرة العربية كلها ولم يستثنوا منها موضعاً مع أن في الجزيرة مدناً وعواصم إسلامية لم تخبو بها شعلة العلم ونور الإيمان ولو لم يوجد من ذلك غير مكة المكرمة والمدينة المنورة ومن فيهما من العلماء وأهل الذكر وحلقات الدرس لوجب على من يرسل القول بلا دليل التروي قبل إصدار الحكم فالجزيرة لم ينقطع تأريخها كلها[1] ، و يكفي أن قوافل حجاج الأمصار الإسلامية كانت تفد كل عام و يصحبها العلماء والمؤرخون وكتاب الرحلات الذين يصفون أحوالها و يصفون الطرق المؤدية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة التي تسلكها قوافل الحجاج من جهات الجزيرة الأربع و يصفون كل جزء من هذه الجزيرة وكل رحلة ومنزل ثم يصفون الحياة في الحجاز وفي الطرق المؤدية إليه ومسالكها من نجد واليمن وغيرهما. وسأشير إلى بعض الرحلات التي فصلّتْ الحديث عن أحوال الجزيرة في القرون التي بدأت فيها العامية تنشر و ينظم فيها الشعر، وقد وصف كتابها حياة السكان وحرفهم وعددهم وطرق معيشتهم وتكوينهم السياسي وتركيبهم الاجتماعي والظروف التي تسود في كل عام وتحدثتْ هذه الرحلات عن واقع الجزيرة وسجلت أخبارها، ومنها:

١ ــ الرحلة الكبرى، أحمد بن ناصر الدرعي، حج عام ١١٢١هـ.
٢ ــ رحلة القاصدين، ورغبة الزائرين ــ عبدالرحمن بن أبى القاسم النساوي، حج عام ١١٤١هـ.
٣ ــ رحلة الوزير الإسحاقي ــ أبو محمَد الشرقي الإسحاقي، حج عام ١١٤٣هـ.

---

(١) الحجاز واليمن من الجزيرة العربية وتأريخهما متصل لم ينقطع ولم يهمل.

٤ ــ بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام ــ عبدالمجيد بن علي الملقلب بالزيادي، حج عام ١١٤٨هـ.

٥ ــ رحلة إلى الحرمين ــ أحمد اللكوس الحفيكي، حج عام ١١٥٢هـ.

٦ ــ الرحلة الحجازية ــ أبو مدين محمد بن الصغير الدرعي، حج عام ١١٥٢هـ.

٧ ــ الرحلة الكبرى ــ محمد بن عبدالسلام الناصري، حج عام ١١٩٦هـ.

٨ ــ إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام ــ محمد بن عبدالوهاب ابن عثمان، حج عام ١٢٠٠هـ [١].

٩ ــ مرآة الحرمين.إبراهيم رفعت حج عام ١٣١٩هـ.

نورد هذه الرحلات مجرد تمثيل ونماذج لما كان يكتب كل عام عن الجزيرة وعن أهلها وقد اخترنا القرن الثاني عشر الهجري، وعرضنا ماكتب فيه وهو القرن الذي وصل إلينا شعره العامي الذي يزعم الزاعمون أنه مصدر وحيد لتأريخ الجزيرة كما سبقت الإشارة. أما إذا افترضنا أنهم يعنون بالجزيرة وسطها «نجداً» ولم يقصدوا الجزيرة كلها عندما رددوا أقوالهم السابقة، فلابد إذن على أساس هذا الفرض أن ينظر الباحث إلى وسط الجزيرة «نجد» ويعرف أحوالها، وبداية الشعر العامي الموثق الذي اعتمدوا عليه وعدّوه مصدراً وحيداً لتأريخ الجزيرة. وتأريخ الشعر العامي قد خدم وتصدى لدراسته دراسة علمية تأريخية عدد كبير من الكتاب [٢] تواترت آراؤهم على أن الشعر العامي الذي عرف شعراؤه وحفظ شعرهم ونسب

---

(١) كريم عبدالكريم ــ بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية، بحث مقدم للندوة الأولى لتأريخ الجزيرة، ص٤٠٤، جـ٢.

(٢) منهم خالد الفرج في مقدمة كتابه ديوان النبط، وعبدالله بن محمد بن خميس في كتابيه الأدب الشعبي في جزيرة العرب، وراشد الخلاوي، وأبو عبدالرحمن بن عقيل في كتابه نجد في عصور العامية أو ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد وعبدالله خالد الحاتم في كتابه خيار مايلتقط من شعر النبط، وعبدالله بن عثيمين في مقالة نشرت في مصادر تأريخ الجزيرة العربية بعنوان «الشعر النبطي مصدراً لتأريخ نجد، جـ١ ط١ ١٣٩٩هـ منشورات جامعة الرياض.

إليهم، بدأ في القرن الحادي عشر الهجري، ومنهم الأستاذ عبدالله بن خميس الذي يقول في بحثه الأدب الشعبي: (وأقدم من دونت أشعارهم، راشد الخلاوي، وأبو حمزة العامري من أهل الأحساء، وقطن بن قطن من أهل عمان ورميزان وجبر بن سيار من أهل سدير، في نجد، وقد عاش هؤلاء في القرنين العاشر والحادى عشر من الهجرة، وكانوا ينظمون الشعر النبطي على أوزان الشعر الفصيح وتفاعيله وبحوره ولايقيمون الإعراب لفساد اللغة).

ورأي الأستاذ ابن خميس هو أقرب الأقوال إلى الصواب، ومعه أكثر الباحثين الذين حددوا بدايته في هذه الحدود. أما أبو عبدالرحمن بن عقيل وهو أحد الدارسين لتأريخ هذا الشعر فقد تلمس بداية الشعر العامي بلغة أهل نجد كما يسميه فحاول مدّ الزمن أمام بدايته وجعل لها احتمالاً في القرن السابع الهجري مفترضاً إفتراضاً أن راشد الخلاوي ــ الذي يعتبر شعره نمطاً خاصاً في بناء القصيدة العامية ــ من أهل ذلك القرن. ولم يلبث إلا قليلاً حتى افترض افتراضاً آخر أنه ــ أي راشد الخلاوي ــ ربما يكون من أعيان القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الهجريين واضعاً لوجوده احتمالاً في كل قرن مرّ به من السابع حتى الثاني عشر.

واحتمال يدور في بحر ستة قرون جدير بباحث مفكر مجتهد مثل أبي عبدالرحمن رفضه والشك في صحة الاعتماد عليه. وتحديد زمن شخصية يوجود في أيدينا أهم نتاجها وخصائصها وهو شعرها لايمكن أن يدور الباحث به هذه الدورة الطويلة في سلم الزمن بهذا البعد. والاختلاف فيه لايجوز أن يتجاوز الباحث في تحديده قرناً أو قرنين من الزمان. ولايرضى باحث بافتراض ستة قرون لتحديد وجود شخصية نحفظ جلّ مانسب لها من شعر ومانسب لها من علم فلك. والأجدر به أن يحاول تحديد أي القرنين الحادي عشر أو الثاني عشر الهجريين يمكن أن يكون هو عصر راشد. أو ينضم إلى الافتراض الذي تقاربت حوله آراء الباحثين في تأريخ العامية. وهما القرنان العاشر والحادي عشر، ويد الله مع الجماعة. ومادام الخلاوي

مشكوكاً في شعره وعصره وفي شخصه أيضاً، فلا يمكن الاعتماد على المشكوك في وجوده، ولايمكن الاعتماد على شعره كمصدر للتأريخ، مع أن الباحثين لم يتفقوا على وجوده ولاعلى عصره بله الاستدلال بشعره.

أما أول ماحفظ من شعر عامي صحيح النسبة إلى شاعر بعينه عرف عصره ووثق شعره ونسب إليه نسبة صحيحة، فهو شعر حميدان الشويعر. وشعره يمكن أن يعتمد على صحة نصه وتوثيقه ونسبته إليه وهو ذات معروفة. وماسبق ذلك من شعر عامي فلا يمكن أن يُعتمد عليه إما لأن قائله مجهول الذات[1]، أو لعدم تحقيق نسبة الشعر المحفوظ إلى قائل معين[2] أو أن زمن الشعر وزمن قائله لايزالان مجهولين[3]، أو لأن النص نسب إلى عدة شعراء عاشوا في فترات تأريخية متفاوتة. مع مايصاحب النص السائب والرواية الشفوية من حذف وتعديل وإضافة[4].

وحميدان الشويعر كان معاصراً لظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ومنذ ظهور تلك الدعوة وحتى اليوم ونجد موضع اهتمام المؤرخين من أهلها ومن الأمصار الإسلامية. سواء تلك التي انضمت إلى الدعوة وأيدتها أو تلك التي وقفت منها موقف المعارضة. وحاولت تفنيد آراء الشيخ الإصلاحية التي نادى بها. ومع حركة الشيخ وقيام الدول السعودية المتعاقبة الأولى والثانية والثالثة، والمؤرخون من أهل نجد ومن العالم العربي والإسلامي يتابعون أحداث وسط الجزيرة وأطرافها و يسجلون تأريخها يوماً بيوم؛ وأشهر مؤرخى نجد ابن بشر وتأريخه (عنوان المجد في تاريخ نجد) مطبوع محقق منشور ومنه ننقل هذه الجملة التي تظهر منحى ابن بشر واهتمامه بكل صغيرة وكبيرة

---

(١) مثل شعر راشد الخلاوي.

(٢) مثل شعر بني هلال.

(٣) مثل البدايات الأولى للشعر العامي.

(٤) انظر مثلا اعتراف أبي عبدالرحمن بن عقيل بتعديل وزن بعض القصائد في كتابه «ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد» ص٩٢. مع أنه عالم باحث وصاحب منهج. فما بالك بمن لايعرف عن أمانة النقل وحرمة النص شيئاً.

تحصل في الجزيرة «نجد» وفي غيرها وتؤرخ لأحداثها، وتنقل لنا المعلومات الموثقة المحققة كلها التي توفر فيها عنصر الزمان والمكان، يقول: (ثم دخلت السنة العشرون بعد المائتين والألف وفي هذه السنة اشتد الغلاء والقحط على الناس في نجد ومايليها، وسقط كثير من أهل اليمن، ومات أكثر إبلهم وأغنامهم وفي آخرها في ذي القعدة بلغ البر ثلاثة آصع بالريال، وبلغ التمر سبع وزنات بالريال وبيع في ناحية الوشم والقصيم خمس وزنات بالريال، وأما مكة فالأمر فيها أعظم مما ذكرنا بسبب الحرب والحصار وقطع الميرة والسابلة عنها)[1].

هذه أسطر معدودة من حوادث عام واحد حدثنا المؤرخ فيها عن كل شيء في نجد وأقاليمه وأحداث الجزيرة كلها في الحجاز واليمن والشام والعراق ووصف القضايا الداخلية والخارجية وتحدث عن الحياة بعامة وفصل ذلك كله في ثمان صفحات من تأريخه ولم يفته أن يخبرنا بأسعار الطعام والمؤونة وكم ثمن الصاع وقيمة الوزنة وعن موت الماشية وانحباس الغيث، الشيء الذي لم يلتفت إليه أكثر المؤرخين في الماضي البعيد ولافي الحاضر، ومع ذلك يقول محبو العامية: إن الشعر العامي هو المرجع الوحيد لأحوال سكان الجزيرة ولا مرجع غيره. ويريدون من القارىء أن يصدق ذلك ويؤمن به ويعض على العامية بالنواجذ وإلا ضاع تأريخه وضاع ماضيه. وقد لانحتاج إلا إلى هذه الإشارة من مصدر واحد ومن أراد مزيداً من المعلومات الدقيقة المفصلة عن تأريخ الجزيرة كله فاليرجع إلى كتب المؤرخين من أهل نجد ومن غيرهم التي سيشار إلى أسمائها في هذه الصفحات حتى يتأكد إن كانت الجزيرة غفلاً إلا مما يسجل العامي من أحداث أو كانت أحداثها التي واكبتْ انتشار العامية مسجلة موثقة محفوظة.

ولم يكن تأريخ ابن بشر الذي نقل منه النص السابق هو المصدر الوحيد الذي أرخ للأحداث في وسط الجزيرة في العصور التي انتشرت فيها العامية

---

(١) ابن بشر، عثمان، عنوان المجد، جـ٢، ص٢٨٤ دارة الملك عبدالعزيز ط٤ عام ١٤٠٢هـ.

بل سبقه وجاء بعده عدد كبير من المؤرخين من أهل نجد خاصة منهم على سبيل المثال لا الحصر:

(١ ــ أحمد بن بسام عام ١٠٤٠هـ.
٢ ــ أحمد بن محمد المنقور أرخ لنجد من عام ٩٤٥ ــ ١١٢٥هـ.
٣ ــ ابن يوسف، أرخ لنجد حتى عام ١٠١١هـ.
٤ ــ عبدالله بن عضيب، أرخ بعض الحوادث وتوفى عام ١١٦٠هـ.
٥ ــ حسين بن غنام أرخ لنجد وحوادثها وكتب عن تأريخ الدعوة الإصلاحية فيها حتى عام ١٢٢٥هـ.
٦ ــ محمد بن بسام، كتب عن القبائل العربية وأنسابها في نجد عام ١٢٣٣هـ.
٧ ــ محمد بن عمر بن حسن الفاخري، توفى عام ١٢٧٧هـ، وتأريخه محقق منشور.
٨ ــ حمد بن لعبون أبو الشاعر العامي محمد بن لعبون.
٩ ــ عثمان بن سند، أرخ حوادث نجد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.
١٠ ــ عثمان بن بشر الذي اطلع على أغلب ماسبقه من كتب المؤرخين وضمن تأريخه كل الحوادث التي ذكرها المؤرخون النجديون السابقون له مما جعل لتأريخه قيمة علميَّة مهمة.
١١ ــ راشد بن جريس، كتب تأريخا عن نسب آل سعود، وتعرض لتأريخ نجد وقد ألف تأريخه عام ١٢٩٤هـ بناء على طلب الأمير عبدالله بن ثنيان إبَّان ضعف الدولة السعودية الثانية واضمحلالها.
١٢ ــ محمد بن عبدالله بن حميد توفى عام ١٢٩٥هـ ذكر تأريخ الحنابلة ومنهم أهل نجد.
١٣ ــ ضاري بن فهيد الرشيد أملى في عام ١٣٣٢هـ تأريخ القرن الثالث عشر الهجري في نجد.
١٤ ــ إبراهيم بن صالح بن عيسى، توفى عام ١٣٤٣هـ له تأريخ (عقد

الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في القرن الثالث عشر والرابع عشر) [1].

١٥ ــ مطلق بن صالح بن مطلق وله تأريخ (شذى الندى في تأريخ نجد) وشاركه ابنه في ذلك.

١٦ ــ عبدالله بن محمد بن بسام، توفي عام ١٣٤٨هـ.

١٧ ــ إبراهيم بن محمد القاضي عاش حتى ١٣٤١هـ.

١٨ ــ إبراهيم بن ضويان توفي ١٣٥٣هـ.

١٩ ــ سليمان بن صالح الدخيل، كتب أحداث نجد وتأريخها، وتوفي عام ١٣٦٤هـ.

٢٠ ــ مقبل الذكير، أرخ لنجد منذ بداية دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى عام ١٣٥٣هـ واعتمد على الوثائق والمعلومات الحديثة.

٢١ ــ محمد بن مانع كتب عن أمراء عنيزة وكتب عن أعيانها توفي عام ١٣٨٥هـ.

٢٢ ــ إبراهيم بن عبيد بدأ تأريخه عام ١٣٦٧هـ، وانتهى به عام ١٣٥٢هـ.

٢٣ ــ سعود بن هذلول كتب عن تأريخ الأسرة السعودية منذ بدايتها حتى عام ١٣٧٣هـ) [2].

أضف إلى ذلك جهود الرحالة الغربيين الذين جابوا الجزيرة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً أثناء القرون التي انتشر فيها الشعر العامى. وقد وصفوا الحياة فيها وتحدثوا عن أحوال سكانها وحياتهم السياسية والاجتماعية، وتحدثوا عن النظم القائمة فيها وعن الشخصيات ذات النفوذ المؤثر في وسط الجزيرة وأطرافها.

---

(١) وقد بدأ من حيث أنتهى ابن بشر حيث تكتمل سلسلة تأريخ نجد في العصورالتي ذكر محبو العامية أن الشعر العامي هو المصدر الوحيد لتأريخها.

(٢) الجاسر، حمد، مجلة العرب، جـ١ السنة الخامسة، عام ١٣٩١هـ، ثلاث مقالات بعنوان مؤرخو نجد من أهلها، ربيع الأول والثاني وجمادى الأولى، ١٣٩١هـ.

ورحلاتهم مطبوعة موجودة محفوظة[1] وليس غرض هذا البحث جمع النصوص والإشارة إليها ونقلها فلو حصل ذلك لاحتاج الباحث في هذا الموضوع إلى أجزاء متعددة. وكتب تأريخ نجد وجهود مؤرخيها مشهورة يعرفها أقل الناس اهتماماً بتأريخ الجزيرة وليست الإشارة إليها إلا رداً على الأقوال التي تكرر في الصحف والمجلات والوسائل الإعلامية الأخرى فيقرأوها من لاصلة له ولامعرفة عنده بما كتب عن تأريخ الجزيرة، فيظن ذلك صحيحاً وهو ليس بصحيح.

الأمر الثاني : على فرض أن الشعر العامي هو المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الباحث، وعلى فرض أننا ألغينا كل مانعرف وأن مؤرخي نجد الذين تحدثنا عنهم قبل قليل، لم يوجدوا وأن المنقور والفاخري وابن بشر وابن غنام لم يوجدوا ولم يكتبوا حرفاً واحداً في تأريخ الجزيرة. وأن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى لم يوجدا في الجزيرة معاصرين للبداية الحقيقية للشعر العامي الذي سجلت فيه أحداث الجزيرة التأريخية كما زعموا. وأن دعوة الشيخ والدولة السعودية لم يكن لهما علماء ومؤرخون ولم يكتب عنهما شيء. ولم تتخذ الدول الإسلامية والعربية منهما موقفاً سجلت فيه كل الأحداث التي حدثت في نجد ولاسيما مايتعلق بقيام الدولة السعودية الأولى. هب أن هذا كله لم يحدث حتى يصح رأيهم وحتى

---

(١) منهم ولن: WALLEN زار نجداً ووصفها، وبالقريف W.G. PALGRAVE خاض الجزيرة وخصوصاً وسطها نجداً، دوتي DOUGHTY زار نجداً وتجول مع القبائل العربية ووصف حياتها، ولفرد WILFRID تجول في نجد وعاش مع القبائل العربية فيها ووصف حياتها وعاداتها وتقاليدها وهوبر HUBER زار حائل وتيما والقصيم «عنيزة»، ومثله BARON NOLDE هؤلاء جميعهم تحدثوا عن وسط الجزيرة، وأرخوا لرحلاتهم كما تحدثوا عمَّن زاروا من أمراء الجزيرة ووصفوا الحياة العامة والخاصة وكتبوا عن الأوضاع السياسية والاجتماعية في وسط الجزيرة ورحلاتهم هذه كانت في أواخر القرن الثالث عشر وخلال القرن الرابع عشر الهجرين. انظر مصادر تاريخ الجزيرة العربية عبدالشافي غنيم عبدالقادر، الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين ص٤٢١ ــ ٤٣٦، وانظر نشأة إمارة آل رشيد ومصادر المعلومات عن نجد حيث استعان المؤلف بالمعلومات التي أوردها هؤلاء الرحالة الغربيون عن نجد.

يكون الأدب العامي هو المرجع الوحيد لتأريخ الجزيرة ولامرجع غيره. إذاً تكون قيمة الأدب العامي قيمة تأريخية و يكون الاهتمام به محدداً بزمن معين لايتجاوزه إلى غيره. ومحبو العامية متفقون على ذلك و يرددون القول بأن تعلقهم به من أجل قيمته التأريخية ليس إلا.

ومادامت قيمة الأدب العامي قيمة تأريخية فقد مضت أهميته عندما كانت الجزيرة على رأيهم ليس فيها من يكتب تأريخها، وعلى هذا يكون تمسكهم به لقيمته التأريخية فقط. إذن تكون هذه المرحلة منتهية لانتهاء ماسجل فيها من الشعر الماضي، ولاحاجة بهم إلى الجديد منه الذي ينشرونه اليوم و يدوّنونه و يدافعون عنه وهو لايسجل تأريخاً ولايصور ماضياً. فلدينا الآن علماء ومؤرخون وكتاب يسجلون تأريخ حاضرنا لحظة بلحظة، ولسنا بحاجة إلى العامية التي تنشر في الوقت الحاضر حتى تكون مرجعاً وحيداً لأحوال الجزيرة في القرن العشرين وفي زمن التعليم وفي حضور سبع جامعات تنتشر في مناطق المملكة وأخرى في بقية أجزاء الجزيرة.

ولامعنى للتوسع الآن في العامية فكراً وأدباً وتأريخاً وطريقة حياة، وليس ثمة ضرورة لعقد وإقامة الندوات من أجلها حيث تهدر عليها الأموال التي يذهب أكثرها إلى أيدى أجنبية وجامعات غربية وكل مايقال ويعالج بهذه المؤتمرات والندوات هو حاضر العامية وليس ماضيها.

هل يحدث هذا من أجل أن يكون مرجعاً يعتمد عليه الباحثون في تأريخنا في المستقل؟.

والأهم من ذلك أن ماقيل في الماضي من الشعر العامي الذي يحتج به مناصرو العامية قد أصبح محفوظاً مدوناً. أحصي وجمع من مضانه ودون من مصادره الأساسية وحفظ في المكتبات العامة والخاصة، وفي مراكز البحوث، وأصبح التحكم فيه ميسوراً وسهلت دراسته وراسة علمية، وهيء الاطلاع عليه ليستفيد منه الباحثون الذين يحتاجون إلى الرجوع إليه لدراسة فترة

مضتْ من تأريخ الجزيرة ويطلعون على مافيه من أشياء قد يحتاجها الباحث.

وقد تمَّ واكتمل ماقيل في الماضى من الأدب العامي ودوّن وانتهى تدوينه واحتوته كتب منشورة محفوظة ومخطوطات لدى الذين يهتمون به أو لدى الأسر التي مدحتْ به أو قاله بعض أفرادها وقد بلغت قيمة بعض مخطوطاته مئات الآلاف.

ولم يشذ من قديم الشعر العامي والأدب العامي إلا القليل عن بطون الكتب والمصادر والمراجع التالية[1]:

(١ ــ روضة الشعر، جمعت للشيخ سلمان بن حمدان آل الخليفة.
٢ ــ الشوارد، الجزء الثالث، جمع عبدالله بن محمد بن خميس دار اليمامة ١٣٩٤هـ.
٣ ــ شعر شليويح العطاوي لأبي عبدالرحمن بن عقيل في ١٣٩٤/٨/١١هـ.
٤ ــ شعر النبط، صدر عن ديوانيَّة شعر النبط بالكويت.
٥ ــ الأنباط والشعر النبطي، لصادق محمد بخيت.
٦ ــ شاعرات من البادية، عبدالله بن محمد بن رداس.
٧ ــ من آدابنا الشعبية، منديل بن محمد بن فهيد.
٨ ــ خيار مايلتقط من شعر النبط، عبدالله الحاتم.
٩ ــ راشد الخلاوي، عبدالله بن خميس.
١٠ ــ أساطير شعبية، عبدالكريم الجهيمان. أربعة مجلدات.
١١ ــ أبطال من الصحراء، محمد أحمد السديرى.
١٢ ــ الأزهار النادية من أشعار البادية، جمع محمد سعيد كمال، خمسة عشر جزءً.

---

(١) ابن عقيل، أبو عبدالرحمن، الشعر العامي بلهجة أهل نجد.

١٣ ــ شعراء الرس النبطيون، فهد الرشيد، جزآن.
١٤ ــ من البادية على الصفراني، تسعة أجزاء فيها نتف من الشعر العامى القديم.
١٥ ــ أول خلطة من شعر القلطة [١].
١٦ ــ الأدب الشعبي في الحجاز عاتق غيث البلادي.
١٧ ــ ديوان النبط خالد الفرج، جزآن.
١٨ ــ الأنوار الهادية من أشعار البادية، محمد البادي، جزآن.
١٩ ــ منتخبات من الشعر النبطي، لم يبين الجامع اسمه.
٢٠ ــ ديوان الدرر اليتيمة من أشعار النبط القديمة، لم يبين الجامع اسمه.
٢١ ــ من فنون البادية نايف بن زابن الحربي فيه نتف من الشعر العامي القديم.
٢٢ ــ الفنون الشعبية في الجزيرة العربية، محمد بن أحمد الثميري، رواية محمد بن عيد الضويحي.
٢٣ ــ الشعر العامي في نجد، عبدالله الفرج.
٢٤ ــ ديوان حمود ناصر البدر، لعبدالله الدويش.
٢٥ ــ الأزهار الشادية في صحراء البادية، لناصر المحمد الحميد.
٢٦ ــ ديوان ابن جعيثن والعوني، جمع محمد اليحيىٰ، تحقيق عبدالله الحاتم.
٢٧ ــ بين الغزل والهزل، شعر (هويشل بن عبدالله) سعد الجنيدل.
٢٨ ــ الكنوز الشعبية محمد بن مشعي الدوسري، فيه نتف من الشعر العامي القديم.
٢٩ ــ الأمثال العامية في نجد، محمد العبودي، خمسة مجلدات.
٣٠ ــ الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية، عبدالكريم الجهيمان، ستة مجلدات.
٣١ ــ ديوان حمد بن علي المدحوس المري.
٣٢ ــ الشعر عند البدو، شفيق الكمالي.

---

(١) لم يذكر أبو عبدالرحمن بن عقيل مؤلفه.

٣٣ ــ الأدب الشعبي في جزيرة العرب، عبدالله بن خميس.
٣٤ ــ من أحاديث السمر، عبدالله بن خميس.
٣٥ ــ حكم وأشعار ليس فيها شيء مستعار، محمد بن سليمان الفوزان.
٣٦ ــ ديوان شعراء من الجزيرة العربية، محمد الهاجري جزآن.
٣٧ ــ رياض الصيد، زايد بن سلطان آل نهيان.
٣٨ ــ ديوان قاسم بن محمد آل ثاني وقصائد أخرى نبطية.
٣٩ ــ شاعرات من البادية، عبدالله بن محمد بن رداس.
٤٠ ــ مقارنة الشعر العربي الفصيح بالشعر النبطي المليح عبدالله العلي الزامل.
٤١ ــ من الأدب الشعبي، عبدالله الزامل.
٤٢ ــ المجموعة البهية من الأشعار النبطية، عبدالمحسن أبا بطين.
٤٣ ــ التحفة الرشيدية من الأشعار النبطية، مسعود بن سند سيجان، أربعة مجلدات.
٤٤ ــ من شيم العرب، فهد المارك، أربعة أجزاء.
٤٥ ــ ديوان حميدان ومحيسن وعيون الشعر النبطي، عبدالله الحاتم.
٤٦ ــ أضواء النجوم في أشعار البقوم، حسين عائض.
٤٧ ــ روائع مع الشعر النبطي، عبدالله اللويحان، معظمه من شعره وفيه نوادر من الشعر القديم).

وفي مجلة العرب، جـ١١، ص١٣٩ ــ ٨٨٣ مقالة نفيسة للدكتور العثيمين عن هذا الشعر ومصادر تاريخ نجد وفي جـ١، س١، ص٨ ــ ١٣ مقالة للشيخ ابن خميس عن هذا الشعر ومعالم الجزيرة.

قال أبو عبدالرحمن بن عقيل:
ومالايوجد في مكتبتي من هذه القائمة وهو قليل استفدته من الأخ محمد الحمدان.

وهناك بعض الكتب تحفل ببعض النتف والومضات لاسيما كتب معاجم

البلدان الحديثة ابتداء بصحيح الأخبار لابن بليهد، ثم أسرف الشيخ سعد الجنيدل في الاستشهاد بالشعر العامي. ومثل ذلك كتب التأريخ كتأريخ مقبل الذكير، وكتاب الزبير ليوسف حمد البسام وقلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ونبذة ضاري الفهيد. وبعض كتب الرحلات ككتاب مارأيت وماسمعت للزركلي. وبعض كتب الأنساب كنسب حرب للبلادي وقبيلة العوازم لعبد الرحمن العبيد والحويطات لعدنان عطار وكنز الأنساب ومجمع الأدب لحمد الحقيل، والعرينات لفهد الربيعان. وبعض الدواوين كابتسامات الأيام لابن بلهيد وديوان مرشد البذالي ففيه مايفيد عن الشاعر سليمان بن شريم. وبعض الكتب المؤلفة في موضوعات خاصة كرسالة الملك عبدالله بن الحسين عن الخيل الملحقة بكتاب الصافنان الجياد، وكتاب تحفة العقلاء في القهوة والثقلاء لعبدالعزيز الأحيدب. وبعض كتب التراجم ككتاب عبدالعزيز في التأريخ للحقيل، والأمير عبدالعزيز المساعد لحسن حسن سليمان، وكتاب الشيخ ابن بسام عن علماء نجد. وبعض كتب القصص والحكايات. وهناك مجموعات لا تزال محفوظة منها مجموعة سليمان الصالح الدخيل بمكتبة الآثار العراقية، ودواوين جمعها محمد الحمد العمري وهي الآن مودعة بجامعة الرياض. ولدى الربيعي بعنيزة عدة دواوين وأشار ابن خميس في ثبت مراجعه إلى مجموعات خطية وقد أعد فهد المارك رحمه الله دراسة حافلة عن العوني لا تزال محفوظة ولدى الشيخ سعد الجنيدل مجموعات لم تطبع بعد. وديوان عبدالكريم الجويعد رحمه الله ــ مخطوط ضخم انتقل إلى حوزة بعض الفضلاء ولدى الأستاذ محمد الطويل مجموع خطي عن شعر البواريد وأهل شقراء. والأستاذ عبدالرحمن بن عقيل المحمد يجمع ديواناً حافلاً يضم طائفة من أشعار أهل عنيزة كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد العبودي في كتابه بلاد القصيم ١٦٤١/٤.

قال أبو عبدالرحمن: وقد علمت أن سمو الأمير عبدالله الفيصل يعد العدة لنشر هذا الشعر في عشرات الأسفار.

قال أبو عبدالرحمن هذا مايتعلق بالشعر العامي القديم، أما الشعر العامي الحديث فليس من منهج دراستى في هذه الأسفار)[1].

هذه المصادر التي أوردها وتحدث عنها أبو عبدالرحمن بن عقيل في كتابه تأريخ نجد في عصور العامية أو ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد جمعت ماقيل عن الشعر في الجزيرة العربية في الماضي وهي إما منشورة محفوظة بين أيدي الباحثين أو محفوظة في مكتبات الجامعة أو المكتبات الخاصة ومكانها معروف والعودة إليها سهلة في حالة البحث عن المعلومات التي يتضمنها الشعر العامي. وقد جمعت أدسم مادة من الأدب العامي في الجزيرة في الماضي ومن جميع أجزائها التي نما فيها شعر العامية، وأكثرها منشور ومطبوع منه آلاف النسخ منتشرة بين أيدي الباحثين.

وهناك عدد من مجموعات الشعر العامي لدى بعض المهتمين به غير ما أشار إليه أبو عبدالرحمن.

وعلى ضوء هذا الاهتمام الذي تمّ يكون ماضي الجزيرة الذي سجله الشعر العامي عندما كانت قطعة من سيبريا أو جزءً من سطح القمر حسبما يزعم محبو العامية محفوظ مدون. ولاخوف عليه من الضياع وليس هناك خطر ولا تفريط به إن شاء الله.

إذن الدعوى بأن اهتمامنا بالفكر العامي في الوقت الحاضر وتركيزنا على الثقافة العامية ومحاولة نشرها هو من أجل المحافظة على الماضي وحفظه دعوى لاحقيقة لها، لأن مافي الماضى سجل وحفظ لكن لماذا الاستمرار والعطاء الجديد المتزايد من العامية الذي تحوّل إلى فكر منظم وتنظير لثقافة عامية معاصرة؟ وليست من الماضي بشيء. إنه تكريس لمفهوم الفكر والثقافة العاميين حتى أصبحت ثقافتنا ومميزات حضارتنا هي الثقافة العامية. وأصبح الفكر العامي هو المفضل الذي يقرؤه الناس ويهتمون به و يعتنون بنشره وحفظه. وهم ليسوا المؤرخين الذين يبحثون عن حقائق التأريخ.

(١) ابن عقيل، أبو عبدالرحمن، ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد، ص٣٣.

الركيزة الثامنة :

تقول الركيزة الثامنة التي استخلصناها من مجمل الآراء المطروحة التي تدافع عن وجود العامية واستمرارها: إن الأدب العامي والشعر منه خاصة لايختلف كثيراً عن الشعر الفصيح، وهو سليله وفرع من فروعه، وفي استطاعة الشاعر العامي أن يأتي بما يطابق الشعر الفصيح وزناً ومعنى إذا أراد [1] .

الذين يدعون تشابه الشعر العامي والفصيح و يزعمون أن الاختلاف بينهما ليس اختلافاً كبيراً لم يحددوا أوجه الشبه ولاضروب الاختلاف، حتى يستطيع الباحث مناقشة آرائهم أو يتفق معهم.

فإن كان المراد اللغة: فالاختلاف بلغة كل منهما كبير وإن كان المراد طريقة النظم والانشاد فلكل من هذين الفنين أصول ونظم مختلف. وكذلك البناء في كل منهما والوزن والبحر والمفردات والقافية وطريقة الإنشاد مختلفة أيضاً، على الرغم من أن للشعر العامي وزناً وقافية وللشعر العربي الفصيح وزناً وقافية. لكن التزام كل منهما بوزن وقافية لايحقق الشبه بينهما. والشعر الفارسي والشعر التركي ينظمان على أوزان الشعر العربي الفصيح إلى يومنا هذا و يصاغان في قالب الشعر العربي باللغة الفارسية واللغة التركية ولم يزعم أحد أن هذين الشعرين في لغتيهما الفارسية والتركية فرع من الأدب العربي أو سليلين له أو متطورين عنه على الرغم من أنهما ينظمان على قوالبه وأشكاله [2] .

---

(١) انظر وهبة، ص٤٠، ٤٢، ومقدمة شاعرات من البادية، ومقدمة مايلتقط من شعر النبط، وهبة، ص٥٧، ص٦٧، ص٧٦، ص١٦٧.
الأدب الشعبي ص٢٥. الجزيرة عدد ٣٩٧٨ في ١٤٠٣/١١/١٢هـ وعدد ٤٣٧١ في ١٤٠٤/١٢/٢١هـ.

(٢) الأدب الشعبي، ص٨٦، والجزيرة، عدد ٤٠٧٧ ١٤٠٤/٢/٢٣هـ وكما سبقت الإشارة سيترك أمر الكثير من الأقوال لمن يريد العودة إليها في مظانها.

والشعر العامي له أوزان كثيرة منها ماقد يوافق وزناً من أوزان الشعر الفصيح ومنها مالايوافق شيئاً من ذلك. وأوزان الشعر العامي لازالت في علم الغيب لم تحدد ولم تعرف ولم تكتشف وإلى أن تعرف جميع أوزان الشعر العامي التي ينظم عليها نؤجل الحديث عن المشابهة التي تتحدث عنها الأقوال السابقة إن كان المراد بها الوزن والقافية[1].

أما الفارق الكبير المميز للشعر الفصيح عن العامي فهو اللغة. فقد فقدت لغة الشعر العامي خصلتين مهمتين من خصائص الشعر العربي الفصيح:

الأولى : الإعراب.. والثانية : التركيب...

فالإعراب هو أساس الشعر الفصيح وإذا أخلَّ الشاعر بإعراب كلمة واحدة في بيت الشعر الفصيح أفسده واحتاج إلى الإتيان بالكلمة معربة صحيحة حتى يستقيم شعره. وإلا سقط في عثرات وعجز يؤاخذ عليه، ولايعتبر الشعر في هذه الحال شعراً فصيحاً. أما الشعر العامي فقد أشار بعض الباحثين إلى وجوب الإبتعاد به عن اللغة العربية الفصحى حتى يستقيم وزنه ومنهم الأستاذ عبدالله بن خميس حيث يقول (لاتحاول وأنت تقرأ هذا الشعر أن تسلك جادة اللغة الفصيحة، فتسلط العوامل على معمولاتها، وتحاول الرفع أو النصب أو الجر أو السكون بالعلامات الأصلية، أو الفرعية أو الحذف أو السكون أو تحاول أن تقول عن هذا الفعل إنه مثال أو عن الآخر إنه أجوف أو عن ثالث إنه ناقص أو مهموز أو واوي أو يائي ألخ... ولا عن هذا الاسم إنه مقصور أو منقوص أو مؤنث حقيقي أو معنوي ولاعن هذا الجمع أو هذه التثنية أنها صحيحان أو غير صحيحين. لاتحاول أن تقرأ الشعر وأنت مرتبط بشيء من هذا ولا أن تقول إذا جئت تقرؤه لم هذا كذا أو ليس هذا بصحيح. فالشاعر النبطي يريد أن يخضع كل شيء من أجل استقامة وزن بيته وكفى)[2].

---

(١) يقول عبدالله بن خميس: إنه تتبع الأوزان التي استعملها شاعر عامي واحد فأحصى منها عشرين وزناً ولمَّا يقارب نهاية الديوان. الأدب الشعبي ص٨٦.

(٢) ابن خميس، عبدالله بن محمد الأدب الشعبي، ص٨٢.

و يقول في مكان آخر: (ينفرد هذا الشعر بخصائص تنأى به عن الشعر الفصيح ونظراً لأنه لم تقعد له قواعد ولم يوضع فيه دراسات يفهم على ضوئها وقد جانب كثيراً من قواعد اللغة العربية واصطلاحاتها: نحوية كانت، أم صرفية أم إملائية أم عروضية، لذا فإنه من العسير على الدارس لهذا الشعر وهو بعيد عن بيئته ومحيطه أن يركز فهمه فيه أو يخرج منه بكبير فائدة، مالم يؤده الأداء الصحيح بلهجته الخاصة به)[1].

أما نظم الجملة العربية الفصيحة فكلنا يعرف أنه يرد على وجوه أقلها أن يتألف من اسمين أو من فعل واسم أو من جملتين أو من فعل واسمين، أو من فعل وثلاثة أسماء أو من فعل وأربعة أسماء..

والمؤلف من اسمين له أربع صور لأن الاسمين إما مبتدأ وخبر نحو «زيد قائم» وإما مبتدأ وفاعل سد مسد الخبر نحو «أقائم الزيدان» وإما مبتدأ ونائب فاعل سد مسد الخبر نحو «أمضروب زيد» وإما اسم فعل وفاعله نحو «هيهات العقيق» وإما مؤلف من فعل واسم وله صورتان، لأنه إما أن يتكون من فعل وفاعل نحو «قام زيد» وإما من فعل ونائب فاعل نحو «قُطِعَ الغصن» وأما المؤلف من جملتين فله صورتان لأن الجملتين، إما جملتا القسم وجوابه نحو (أقسم بالله لأكرمنَّك) وإما جملتا الشرط وجوابه نحو «إن تجتهد تنجح» والمؤلف من فعل واسمين له صورة واحدة وهى (كان) أو إحدى أخواتها مع اسمها وخبرها نحو قولك «كان الجو حاراً «وأصبح الجو بارداً»[2] وهذا أقل مايمكن أن يفيد معنى من المعاني في اللغة العربية الفصحىٰ و يسمى كلاماً ولايخرج الشعر الفصيح عن هذا النظم.

أما نظم الجملة العامية فليس له قاعدة معروفة حتى الآن وقد يوافق حالاً من أحوال بناء الجملة العربية ونظمها في بعض التعبيرات وقد يخالف

---

(١) ابن خميس، عبدالله بن محمد، الأدب الشعبى، ص٨١.

(٢) ابن هشام جـ١، ص١١.

ذلك ولا أعرف حداً لأقله ولم أطلع على تحديد لنظم الجملة العامية يمكن الاعتماد عليه حتى يمكننا أن نقارن بين الجملة الفصيحة والعامية، و يعرف وجه التشابه بينهما، وليس الغرض من هذه الدراسة هو مقارنة الجملة العامية بالجملة العربية إنما الغرض هو بيان الاختلاف بين نظام الجملتين و بعد كل منهما عن الأخرى وانتفاء التشابه بينهما.

أما الآراء التي تقول: إن الأدب العامي والشعر منه خاصة فرع من فروع الأدب العربي وأنه سليله ومتطور عنه فهى لا تعنى مايريد محبو العامية.

وأول من قال هذا الرأى ــ على حد ما أعرف ــ هو الأديب الشاعر خالد الفرج رحمه الله في مقدمته لديوان النبط، الذي يعد أول مجموع شعر عامي صدر في الجزيرة العربية وإن سبقه ديوانان في كل من قطر والكويت. أحدهما بعناية خالد الفرج نفسه. ورأي خالد لايسر مروجي الفكر العامي في الوقت الحاضر، وهذا نص ماقال: (ولكنه في البادية تطور بحكم ــ يعني الشعر العامي ــ التطور الطبيعي إلى لغة ممسوخة مشوهة عن الأصل ولكنها محتفظة بكل عناصر أمها القديمة)[1]. هذا حكمه على لغة الشعر العامي الذي نتحدث عنها في هذا البحث. أما عناصر أمّه التي أشار إلى أنه احتفظ بها فهي لا تعني لغته وإنما تعني مضمونه، وهذا تمام الجملة التي تبين مايعني الكاتب بالفرع والأصل عندما زعم أنه فرع من الشعر العربي الفصيح: (فالشعر العامي النجدي توجد فيه جميع العناصر والمميزات التي كانت موجودة في الشعر الجاهلي **من بلاغة وايجاز وسرعة خاطر ودقة وصف واتحاد موضوع**)[2].

إذن خالد الفرج يعني وظيفة الشعر الفنية ولايعني لغته وليس هناك خلاف في ذلك. فالشعر العامي يعبر عن مضمون تتوفر فيه العناصر التي ذكرها المؤلف. وقد تبع رأيه أراء أخرى ودراسات تذهب هذا المذهب.

---

(١) مقدمة النبط.

(٢) مقدمة النبط.

وهي لاتعني غير وظيفة الأدب العامي الفنية وقيمته الأدبية. وسنفرد للحديث عن ذلك باباً نستعرض فيه مرتكزات الشبه بين الفصيح والعامي.

أما إنه فرع من فروع الأدب العربي الفصيح فلاشك في ذلك وهو في حقيقته فرع إنحدر من الأدب العربي و بعد عنه واتخذ مساراً غير مسار الأدب العربي وتميز بخصائص ومقومات لغوية غير خصائص ومقومات أصله، وانحداره من أصل العربية لايقلل من خطورته عليها وعلى أدبها، وابتعاده عنها سيجعله منافساً لها ثم لايلبث أن يحل هو ولغته محل اللغة الفصحىٰ. ودارسو اللغات وعلماء تأريخها يعرفون أن كل مجموعة لغات قائمة اليوم بالرغم من اختلافها وتباينها في الوقت الحاضر فإنها تعود في أصلها إلى لغات أقدم منها وتعتبر فروعاً متطورة عن أصل واحد. و يصفون كل مجموعة منها و ينسبونها إلى أصل لغوي واحد. و يعرفون أن كل لغة مع مرور الزمن يصيبها التحلل والانفكاك فتنمو فروعها حتى يصبح كل فرع لغة قائمة لا صلة لها بأخواتها الأخر التي كانت تشركها في أصلها الأول، حتى تصبح اللغات ذات الأورمة الواحدة لغات منفصل بعضها عن بعض لايربطها إلا الجذور، وصيغ التراكيب التي يستدل بها الباحثون على صلة القربىٰ بينها. مثال ذلك مايقولون عن اللغة الفصحىٰ، حيث يجمعون على أنها فرع من فصيلة كبيرة يطلق عليها فصيلة اللغات السامية يقول الدكتور رمضان عبدالتواب: (تنقسم اللغات السامية عموماً إلى شرقية وغربية، كما تنقسم السامية الغربية إلى غربية شمالية وغربية جنوبية. أما السامية الشرقية فهي الأكادية بفرعيها البابلية والأشورية... وأما السامية الغربية الشمالية فتنقسم إلى اللغتين: الكنعانية والأرامية أما الأولى فتنقسم إلى الكنعانية الشمالية والكنعانية الجنوبية ومن الكنعانية الجنوبية اللغة العبرية واللغة المرابية والأفنيقية... ونصل إلى القسم الغربي الجنوبي من اللغات السامية ويضم لغتين هما العربية، والحبشيه... أما العربية فتنقسم إلى قسمين هما: اللغة العربية الجنوبية، واللغة العربية الشمالية... أما الأولى فهى ماتعرف عند اللغويين العرب باللغة الحميرية وموطنها اليمن وجنوبى الجزيرة العربية

وتنقسم إلى لهجتين هما السبئيَّة والمعينية... أما العربية الشمالية فهى لغة وسط الجزيرة وشماليها، وهى التي تسمى في عرفنا اللغة العربية الفصحى)[1].

وما قيل عن هذه الصلة يقال عن اللغات الأوربية وعن اللغات الهندية الإيرانية والقرابة بين اللغات المذكورة وتفرع بعضها عن بعض[2] لم يمنع أن تصبح كل منها لغة يستغلق فهمها على غير أهلها.

ومابالنا نذهب بعيداً في تأريخ اللغات ونحن نعرف ماهو أقرب زمناً وأصدق تمثيلا. فاللغات الأوربية الحية مثل الأسبانية والفرنسية والإيطالية الحديثة كلها كانت قبل أقل من أربعة قرون لغة واحدة هي اللاتينية فتفرعت وأصبحت لغات مستقلة.

وتشجيع العاميات في الوطن العربي وتفضيل استعمالها في بعض الأحوال ونشرها والحديث عن ميزاتها وفضائلها وتقريبها للناس سيبعد بها عن أصلها ويحولها في نهاية المطاف ومع مرور الوقت إلى لغات مستقلة تنفصل وتبعد عن أصلها العربي وأمها اللغة الفصحى و يستغنى بالعامية عن غيرها. وقد راود هذا الإحتمال، إحتمال انفصال اللهجات العامية العربية اليوم إلى لغات مستقلة لايفهم من يتكلم واحدة منها اللهجات الأخرى كبار المفكرين العرب والأدباء وأهل العلم بتطور اللغات ومنهم الدكتور طه حسين الذي استشهد العوام بثنائه على أدب العامية في الجزيرة، يقول طه حسين: (فلنحذر من أن تشجع الكتابة باللهجات العامية فيمعن كل قطر في لهجته وتمعن هذه اللهجات في التباعد والتنافر و يأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم لهجته إلى كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل مايحتاج إليه المصريون كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والأسبانيين)[3].

(١) عبدالتواب، رمضان، فصول في فقه اللغة العربية، ص٢٨.

(٢) بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ص١٢ ترجمة رمضان عبدالتواب.

(٣) وهبة، ص٢٤٦ عن مجلة الفيصل ٦٨ في ١٤٠٣/٢هـ نقلا عن المصور المصرية.

وقد تحقق ماحذر منه طه حسين في اللغة غير المكتوبة في لهجات الجزيرة وهي إقليم واحد يربط أهلها روابط تأريخية واحدة وجغرافية واحدة وليس بينهم فاصل جغرافي أو عرقي أو غير ذلك وهذا الأستاذ عبدالله بن خميس يقرر حقيقة الاختلاف بين العاميات الدارجة في الجزيرة العربية فيقول في بعض ماسبقت الإشارة إليه إن المتكلمين بلهجة خاصة لبعض أطراف الجزيرة العربية كانوا لايعرفون اللهجات الأخرى التي كانت تستعمل في الجزيرة نفسها ولايتفاهم أهل هذه اللهجات إلا بالإشارة وفحوى القول. هذا إذا كان الحديث كما يقول الكاتب. عن الأمور المشتركة. أما إذا كان عن خصائص كل لهجة عامية فلا سبيل إلى معرفة ذلك)[1].

وعلى حد وصف الكاتب فلو كانت تلك اللهجات العامية التي أشار إلى بعدها عن بعضها وهي لأهل الجزيرة العربية، لو كانت مكتوبة ومكتوب أدبها وفنها وشعرها ونثرها لكانت الجزيرة اليوم كأوربا الغربية تتكلم عدة لغات رسمية يجمعها أصل واحد لايتفاهم الناس بها إلا بالإشارة وفحوى القول كما ذكر في حال العاميات في الجزيرة العربية في الماضي. أما الحاضر فلا نجد صعوبة بفهم أي متحدث بأي لهجة من لهجات العالم العربي وليس الجزيرة العربية وماذاك إلا بفضل العلم والوسائل الحديثة التي حطمت السدود أمام اللغة العربية الفصحى وخففت من الإنغلاق الذي كان سائداً من قبل.

---

(١) ابن خميس، عبدالله بن محمد، الأدب الشعبي، ص٤٧.

الفصل السابع

تقعيد العامية وتقنينها

خطا محبو العامية ــ كما سبق أن قدمنا ــ خطوات متقدمة عبروا فيها عن آرائهم ونظرياتهم حول أهمية الموروث العامي الذي يرون ضرورة الاهتمام به. فمهدوا لذلك بالكثير من الآراء والنظريات. ودللوا على سلامة وصحة مايذهبون إليه من اهتمام بالفكر العامي بآراء يعتمد الكثير منها على محض الحب للعامية ويعبر عن عاطفة صادقة نحو فكرها وأدبها، وعن غفلة قاتلة عما سيحدث من جراء ذلك، إن ترك لهم السبيل في السير قدماً في خططهم وبرامج دراساتهم. وكانت الخطوة التالية التي لابد من القيام بها هي محاولة التطبيق العملي للنظريات السابقة. وكان لابد من قيام مؤسسة علمية تحتضن التراث العامي وتنادي بحفظه والاهتمام به فأنشىء لذلك الغرض (مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية) الذي يضم في عضويته وزراء الإعلام في الدول المذكورة ومقره دولة قطر. وقد بدأ المركز أعماله بداية قوية وجريئة في نفس الوقت تمثلت في باكورة أعماله وهي الندوة الأولى التي أقيمت في الدوحة من ١١ ــ ١٤٠٥/٢/١٥هـ ــ ٤ ــ ١٩٨٤/١١/٨م. واستمرت أربعة أيام وحضرها عدد كبير من المهتمين بالتراث العامي وعلماء الفولكلور وأساتذة الجامعات بصفتهم الشخصية من دول الخليج والدول العربية، وجامعة جنيف بصفتها المشرفة على الندوة فقدمت الاستشارة وخططت لها وتمخضت الندوة عن قرارات وتوصيات خطيرة وآراء وأفكار لم يسبق أن طرح مثلها في جميع البلاد العربية التي عرفت الدعوة الصريحة إلى العامية.

فالدعوات السابقة إلى العامية التي كانت في الوطن العربي منذ مناداة سبيتا في عام ١٨٨٠م أي قبل مايزيد على مائة عام حتى ندوة التراث

الشعبي في ١٩٨٤/١١/٤م كانت آراء فردية يعبر بها أفراد من عامة الناس بشكل مقالات أو محاضرات أو كتب تحمل آراءهم وتعلن أهواءهم. ويتعاطف معها من يستحسنها، و يرفضها من يرفضها. ولم تحتضن تلك الدعوات مؤسسات فكرية أو علمية تجمع بين التنظيم والتمويل، ولم يسبق أن اجتمع للدعوة إلى العامية والفكر العامي في كل البلاد التي عرفت الدعوة إلى العامية عدد كبير من المهتمين بها، ولاقامت مؤتمرات وندوات مخصصة لها تشرف عليها أكاديميات علمية وجامعات أجنبية.

أما في الجزيرة والخليج فقد بدأ التنظيم للفكر العامي والثقافة العامية بعصر المؤسسات ذات التنظيم العالي والاستقلال المالي والإداري، وذات الصفة شبه الرسمية. واجتمع في أول ندوة تعقد في الجزيرة مهد العربية الفصحىٰ من المهتمين بالفكر العامي عدد لم يسبق أن اجتمع مثله في أي ندوة أو مؤتمر مماثل. ومن الطبعي أن تكون التوصيات التي يتمخض عنها مثل هذا الاجتماع المنظم توصيات في غاية الأهمية والإحكام والقوة في نفسها وفي طرحها أيضاً. ومن أهم تلك التوصيات، التوصية التي تنص على تشكيل لجنة من المختصين لدراسة صيغة علمية لكتابة اللغة المحلية أي أبجدية عامية غير أبجدية اللغة الفصحىٰ وسوف أستعرض في هذا الفصل مجمل الأفكار والآراء التي تداولها المجتمعون ونصوص بعض الخطب التي وشحت بها أعمال الندوة محاولاً الاختصار والتركيز على أهم النقاط التي تعرض المتحدثون لها. وسأعرض بعض النصوص التي ألقيت في الندوة وأشير إلى التغطية الإعلامية الواسعة التي سبقت وصاحبت عقدها، والمرتكزات الفكرية التي تناولها المجتمعون وأملوا أن يحقق مركز التراث الشعبي الكثير منها. ولن أتدخل التدخل المباشر في توجيه النص أو تحميله أكثر مما يحتمل، فليس من هدف هذا البحث التحل وإنما يهدف إلى معالجة قضية الاهتمام بالفكر العامي معالجة علمية يرى من خلالها حقيقة مايمكن أن يتمخض عنه مثل هذا العمل الدؤوب من نتائج قد لايتوقعها الكثير ممن يتعاطف مع الفكر العامي اليوم. ولكن نتائج الاهتمام بالثقافة العامية ستصبح حقيقة مع

مرور الوقت، وسيوجه اهتمام الأجيال المتعلمة الواعية من أبناء الجزيرة والخليج إلى الاهتمام بالفكر العامي والثقافة العامية وذلك سيصرف الناس عن الاهتمام بالثقافة العربية والفكر الأصيل اللذين يمران اليوم بحال ركود وضعف لايعلم إلا الله أين سيؤولان بالتراث العربي الصحيح.

ارتكزت ندوة التخطيط للتراث الشعبي على محاور فكرية عبرت عنها الكلمات التي تبادلها المجتمعون وظهرت مؤكدة عليها توصيات الندوة. وكان أهمها القناعة التي تجلت لدى المجتمعين بقيمة العامية والتراث العامي وهذه القيمة أحلته في نظرهم محل الفكر العربي الأصيل والموروث الثقافي العظيم [1]، الذي يجمع شمل الأمة و يوحد العرب والمسلمين وجعلته بديلاً عنه يقول رئيس مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية موجهاً كلامه إلى المؤتمرين حاثاً لهم على الاهتمام بالعامية و بفكرها: (إن حرصنا على رعاية وحماية التراث الشعبي لهذه المنطقة هو جزء من اهتمامنا الشامل بالفلكور العربي ومن رغبة أكيدة في البحث عن منبع أصالتنا والتعرف على جوانب إبداعات أجدادنا لدراستها وتحليلها وحفظها ذخيرة لأجيالنا القادمة وهو واجب وطني وقومي لأمتنا تضطلع به النخبة المثقفة من أبنائها الذين يعايشون التطور الاجتماعي والاقتصادي لعالمنا العربي ويحدوهم شعور أصيل في التشبث بالجذور الثقافية لأمتهم) [2].

تلك أهم الأفكار التي لايني محبو العامية عن ترديدها وأجدرها بالمناقشة فكرة أن البحث عن منابع أصالة الأمة في الجزيرة والخليج هي في العامية والتراث العامي وأن الجذور الثقافية للأمة العربية كامنة في التراث العامي.

---

(١) يقول أحد الباحثين المجتمعين في ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي: لم نعد في حاجة إلى الدفاع عن التراث الشعبى الذي يمثل الدائرة الحية المتواصلة في حياتنا.

انظر عبدالحميد يونس، الأدب الشعبى المقارن بحث قدمه للندوة المذكورة.

(٢) الجزيرة، عدد ٤٤٣٥ في ١٤٠٥/٢/٢٦هـ.

مجلة الدوحة، ديسمبر ١٩٨٤م.

وقد ردد هاتين الفكرتين الكثير من كتاب الصحافة العامية[1]. وكنت أظن أن الأمر قد اختلط في أذهانهم وأنهم يريدون مافي العامية من بعض الإشارات إلى الماضي القريب الذي يتجلى فيه بعض العادات والتقاليد المعروفة في المنطقة قبيل انتشار التعليم والثقافة العربية وأنهم قد لمسوا بعض خصائص هذه العادات والتقاليد الاجتماعية وأدركوا تميزها عن غيرها من العادات والتقاليد الأخرى فأرادوا التعبير عن الإحساس بما يجدونه و يشعرون به حيال ذلك فلم يوفقوا إلى الاستعمال المناسب.

والعوام وأشباه العوام لايعرفون الدقة في استعمال اللفظ لمدلوله المحدد أو المصطلح عليه. وكتاب العامية معذورون أيضاً لأن كلاً منهم ينقل عن الآخر وقد يعجبهم النص فيأخذونه ويضعونه في غير موضعه.

كل تلك الاحتمالات وردت في خاطرى عندما كنت أقرأ لهم عبارات تصرح أن في العامية منابع أصالة الأمة وفيها جذورها التأريخية. وكان من الممكن أن لا أفهم من استعمالهم غير ذلك لولا أن ندوة التراث الشعبي بل مؤتمره الفكري غيَّر رأيي لأن المؤتمرين فيه تحدثوا عن هذه الكلمات ورددوها كما في النص السابق، وهم ليسوا عواما يلقون القول على عواهنه بل يعرفون مايعني منبع الشيء وماتعني أصالته وجذوره وكلهم من العلماء وأساتذة الجامعات وأصحاب المناصب العليا وأهل الثقافة الواسعة وترديدهم لكلمات المنبع والأصالة والجذور ووصف العامية بذلك يعتبر قناعة ومدلولاً على معنى يريده المستعملون لدلالة الكلمة وليس فحواها أو معانيها الجانبية.

ولا أدري كيف أناقش هذه الفكرة. وأنا لازلت غير مصدق بأنهم يعنون مايقولون. ومن يصدق أن مدلول هذه الكلمات يخفى على هؤلاء؟ وكيف نضع احتمالاً آخر؟ فالنص صريح على أن منابع أصالتنا وجذورنا التأريخية

(١) انظر المقالات التي جمعت في كتاب، الشعر الشعبي شعر أم زجل، حيث جاءت أقوال كثيرة تردد هذا القول الذي يزعم أن منابع أصالة الأمة في الجزيرة العربية تكمن في العامية الدارجة.

والثقافية هي العامية والتراث العامي في رأيهم، وهو نص لايحتمل غير وجهين لاثالث لهما.

الأول : إما أنهم يعنون مايقولون ومقتنعون بأن ثقافة الجزيرة والخليج يجب أن تكون هي العامية وأن الأمة يجب أن تبدأ حياة فكرية وثقافية جديدة من حيث بدأت العامية وأن تنفصل عن ماضيها العربي في الجاهلية وماضيها في عهد النبوة وصدر الإسلام ودولة بنى أمية ودولة بني العباس ومافي ذلك كله من ثقافة وتأريخ وموروث حضارى عظيم. وأن تجعل الأمة ثقافتها العامة هي الثقافة العامية ولاثقافة غيرها وأن هذه الثقافة يجب أن تحل محل الثقافة العربية والإسلامية الفصحىٰ التي وجدت جذورها ومنابعها في العصر الجاهلي ممثلة في المعلقات ودواوين الشعراء الجاهليين ثم أصبحت دوحة ملتفة تفيأ ظلالها العرب والمسلمون بعد نزول القرآن بها واستمر حالها كذلك إلى القرن الثاني عشر حيث انحسرت، وبدأ في الجزيرة والخليج نبع العامية وجذورها من شعر ونثر يحل محل الفصحىٰ. كل ذلك يجب أن يفهم حتى تصدق دلالة الكلمات لدى مستعمليها في ندوة التراث الشعبي والتخطيط له. ومن يستطيع أن يصدق أن منابع أصالتنا في العامية؟ وعلى أي حال فإن كانوا يعنون هذا الأمر ولديهم القناعة بصحة جعل العامية ثقافة لنا بدل العربية فلاشك أنهم صادقون، ولاشك أيضاً أن منابع العامية وأصالتها وجذورها الثقافية هي في حفظ العامية المتداولة اليوم والاهتمام بها وببدايتها التي كانت مع بداية القرن الحادي عشر الهجري هو عين الصواب وماشعر الخلاوي وبركات الشريف ومعاصريهما ومن جاء بعدهما إلا منابع أصيلة لهذا السيل الجارف من العامية اليوم، وجذور أولية للثقافة العامية الحالية. ولايشك في ذلك أحد، وهم بهذا العمل يقدمون للأمة التي يريدون لها أن تبدأ بتأسيس ثقافتها الخاصة بها خدمة علمية كبرىٰ، وهم أيضاً على حق عندما يصفون الثقافة العامية بأنها تحمل الجذور ومنابع الأصالة لأدب الأمة وتأريخها العامي ولاعليهم إلا أن يعلنوا رأيهم صراحة دون تلبيس أو تدليس حتى يرتاح أمثالنا ويتعامل مع الواقع الذي يريده هؤلاء.

الاحتمال الثاني : أنهم يعتقدون أن العامية إنعكاس شامل للحياة العربية المعاصرة يمثل ارتداداً بالعرب إلى منطلقات الفكر الأول الذي كان سائداً قبل البعثة يوم كانت اللغة تمثل خيطاً ضعيفاً للوحدة بين القبائل الضاربة في الجزيرة مع استقلال الذات والأهداف وقد صرح المجتمعون في ندوة التراث الشعبي بشيء من هذا قائلين: (إن الفولكلور أو التراث هو هوية أي شعب، وهذا الشيء **الوحيد الذي يوحد الأمة العربية**)[1]. وقالوا: إنه تراث ثقافي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشخصية الذاتية لكل شعب[2]، وينحدر من جيل إلى جيل ويعبر **عن روح الشعب** وحكمته ومدى الصلة التي تربطه بالحضارات الإنسانية العريقة[3].

وعلى هذا المعنى يكون استعمال الجذور ومنابع الأصالة التي يرددونها استعمالاً مرتداً هو الآخر إلى المشابهة في الفكر الأول ذي الطابع البدائي المنطلق من قيود التقنين والسائب من مرتكزات القاعدة ذات الالتزام الفكري.

وإذا أخذنا نص العبارة الصريحة التي ترى أن الفولكلور والتراث العامي هو الشيء الوحيد الذي يوحد الأمة العربية. وحاولنا تفسير معناها فسنجد أن الأمر لم يعد حباً في العامية وغراماً بالعادات والموروثات الشعبية، إنما أصبح تشكيكاً بالثوابت من الفكر الذي قامت عليه حضارة عمرها سبعة عشر قرناً. فاللغة والدين كانتا هما الوحدة التي أجمعت عليهما كلمة الأمة العربية والإسلامية مع الإقرار باختلاف العادات والتقاليد الاجتماعية التي لا تناقض المباديء الأساسية التي يمثلها الفكر المشترك والموروث الحضاري. ودعوى أن وحدة المجتمع قائمة على مفهوم الفولكلور والتراث الشعبي، دعوى تسقط اللغة المشتركة وموروثها الحضاري وتخفف أهمية الإلتزام التأريخي

---

(١) الجزيرة، العدد ٥٩٧٨ في ١٤٠٥/٢/١١هـ.

(٢) الجزيرة، العدد ٤٤١١ في ١٤٠٥/٢/٢هـ.

(٣) الرياض، العدد ٥٩٥٥ في ١٤٠٥/٢/١٧هـ.

والديني وتجعل إرتكازات الفكر محدودة المساحة في محيط الإرتكاز البدائي وفي أضيق الحدود التي تسمح فقط باتجاه الذهن إلى بروز العادة نحو نقاط تمحور الفكر الإقليمي الضيق التي لا تسمح بامتداد النظر إلى ماسواه. وتجزئة الوطن الكبير إلى محاور للعادات والتقاليد الشعبية أمر وارد في رأي علماء الفولكلور وأهل التراث العامي المجتمعين في ندوة التخطيط للتراث العامي. والحرب في فلسطين ليست في رأيهم إلا حرب عادات وتقاليد موروثة تحاول إسرائيل استلابها. وهذه إحدى عبارات الفكر الإقليمي الذي ينظِّرُ له المجتمعون تقول: (مثال ذلك حينما جاءت إسرائيل إلى المنطقة (فلسطين) ونسبت عادات وتقاليد الشعب العربي إليها في حين أنها أبعد ماتكون عن ذلك)[1].

هذه نماذج وأمثلة محزنة تكشف عن منطلقات الفهم الجديد وتبين أبعاد الوعي الذي يتمتع به المجتمعون لإحياء التراث العامي، فالحرب بين العرب المسلمين وإسرائيل في رأي مفكري العامية لم تكن حرباً حضارية دينية، بل كانت حرب عادات وتقاليد شعبية لمنطقة فلسطين.

ومعنى هذا أن اهتمامهم بالعامية والفكر العامي منطلق جديد آخر لتحرير فلسطين والعودة بها إلى حظيرة العادات والتقاليد للشعب العربي. والإدلاء بمثل هذه الأقوال والتسقط لها يدل على أن مفكري العامية لم يتركوا وسيلة يظنون أنها تدعم وجهة نظرهم إلا سلوكها. وكانت أذهانهم موجهة إلى حشد الحجج والبراهين والتبريرات الخاطئة في سبيل نصر مذهبهم، فأوقعهم الحرص على الإقناع في مأزق التناقض المضحك الذي أجدني مضطراً إلى الإشارة إليه بعد أن طرحوا إسرائيل وانتهابها لعادات وتقاليد منطقة فلسطين حجة ومثالاً.

إن الدولة الإسرائيلية التي يجعلونها دليلاً يمثلون به على أهمية العادات الشعبية هي في الواقع دليل يدمغ حججهم بالبطلان ويذهب بدعواهم مع

(١) الجزيرة عدد ٥٩٧٨ في ١٤٠٥/٢/١١هـ.

الريح. ويعزز الرأي الذي ينادي بالمحافظة على وحدة الدين واللغة حتى تستمر وحدة لا تنفصم عراها للأمة كلها التي تتقسمها أقاليم العامية في رأي العوام.

إسرائيل الدولة الجاثمة اليوم على أرض العرب كانت قبل أربعين عاماً عادات وتقاليد مشتتة في رؤوس فئات من اليهود يعيشون في كل مجتمعات الدنيا. كانت كل فئة منهم تنتسب إلى مجتمع وتشاركه عاداته وتقاليده الشعبية. وعندما أرادت أن تكون دولة لم تفكر بعاداتها وموروثها الشعبي ليكون هو الشيء الوحيد الذي يوحدهم كما يزعم العاميون في النص السابق. بل عرفت أن اللغة والدين المشتركة هي أساس الوحدة التي لا تنفصم عراها فعمدت إلى رفات لغة ماتت منذ ثلاثة آلاف عام وإلى دين نسخ مرتين في الإنجيل والقرآن فلملمت هذا الرفات المهتري وصنعت منه حياة وأعادت العمل بها فحييتْ اللغةُ العبريةُ والدين اليهودي وقامت على أساس اللغة المشتركة والدين وحدة أمة هي اليوم إسرائيل التي يتحدث عنها مفكرو العوام ويمثلون بها، وأصبحت تنسب نفسها وتعود بكل مصطلحات حضارتها الحديثة إلى أسس فكرية قديمة، لم ترض أن تفرط في شيء منها، فوضعت لجنسيتها الحاضرة مصطلحاً تأريخياً ماضياً هو إسرائيل، ووضعت لدينها مصطلحاً تأريخياً دينياً هو اليهودية ووضعت لثقافتها مصطلحاً تأريخياً قديماً هو العبرية[1]، حتى تجمع لنفسها مقومات شخصية الدولة ذات التأريخ الحضاري والدينى والثقافي الذي يوحد الشعب على أسس ضاربة في أعماق التأريخ.

ولم تجعل تأريخها الحديث بداية حقيقية لوجودها ولامنبعاً لأصالتها ولاجذوراً لها. رغم أن حاضرها هو أزهى العصور التي عرفها التأريخ اليهودي منذ ألفي عام. وكان الأولى بهم لو كانت لهم عقول أن يأخذوا من تجربة إسرائيل عظة ودرساً حتى لايفرطوا في أصل الوحدة وأساسها. وهي الثقافة

(١) انظر: ظاظا، حسن، الشخصية الاسرائيلية، دار القلم ط١٤٠٥، ص٣١.

العربية الإسلامية واللغة الفصحى الموحدة للعرب. والواجب أن يعودوا مرة أخرى إلى أساس الوحدة التي أضاعوها وجعلوا إسرائيل بتخليهم عنها قوة تتحكم بمصير شعوبهم وتهدد وجودهم وتأريخهم. لكن المنظرين للعامية وأمثالهم في الفكر والسلوك أهملوا أسباب قوتهم ووحدتهم وأتاحوا أسباب النصر والنجاح لإسرائيل وأعطوها القوة ومكنوها من البقاء ولايزالون مستمرين في خدمة أهدافها دون علم ولا وعي ولاحياة.

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لاحياة لمن تنادي

إنها مأساة أخرى عندما نرى إسرائيل تقوم بإحياء لغتها بعد موتها وتوثق دينها بعد نسخه وتحاربنا بالدين ولغة الدين فنقابل ذلك بتشتيت الجهود وبلبلة الفكر وزعزعة الثقة باللغة الحية القوية التي هي أمل الوحدة وهي سبب البقاء للأمة العربية وسبب الوحدة إن بقيت.

مركز التراث الشعبي :

بدأ مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية بداية قوية من أجل الحفاظ على الموروث الشعبي في الجزيرة وهيأ لذلك قدرات مالية وإدارية فعالة وأعدّ خبرات فنية قادرة من أجل تحقيق رسالته. وأقام باكورة أعماله (ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي) كما مر، ومن البدهيات المسلم بها لدى كل الناس أن الأدب الشعبي، موروث محلي له خصائص محلية لايعرفها ويتذوق جمالها ويحسن فهمها واستعمالها غير المجتمع الذي يفرزها. وقيمته الفنية في أغلب الأحيان تكون حكراً على أهله ولايهتم به سواهم. ومن هذا الفهم كنا نظن أن مركز التراث مؤسسة محلية أقامها أبناء الجزيرة عشاق العامية والتراث العامي لقناعتهم بأهمية أدبهم الشعبي وفكرهم العامي فانطلقوا من هذه القناعة آخذين على عاتقهم مسؤولية القيام بأعباء الاهتمام به، وأن المركز وجد ليكون مؤسسة محلية إقليمية تهتم بتراث

محلي إقليمي وتستمد أفكارها ونظمها وأعمالها من أبناء المنطقة التي تهتم بتراثها دون ما حاجة إلى عون من خارج الحدود (حدود منطقة الخليج) لأن التراث تراث الخليج «وأهل مكة أعلم بشعابها» كما يقول المثل ولم يخطر ببالنا أن هناك تنظيماً عالمياً يرعى جهود المركز و يوجهه و يقرر له متى يدعو إلى مؤتمر عامي ومتى لا يفعل ذلك.

لقد مرّ العالم العربي في عهده الأخير بتجارب مرّة مع المنظمات العالمية الفكرية والسياسية التي تقدم له النصح والمشورة، وتعوَّد أن ينسب كل خطأ يرتكبه إلى دسائس الغرب أو الشرق التي لم تتكشف له إلا بعد فوات الأوان. حتى ملّ الناس مثل تلك الإسقاطات والتبريرات، وسئموا من تعليق أخطائهم على مشاجب الخدع الدولية، وجعل كل مايقعون فيه من أخطاء نتيجة لمشورة دولية لا تتكشف لهم أبعادها إلا بعد أن تحقق الأغراض التي رسمت لها.

وصاحب هذا البحث أكثر الناس امتعاضاً من جعل الغرب أو الشرق هو المسؤول عما نرتكب من مزالق. وماكنت أود أن ينسب إلى أي مؤسسة فكرية أو شخص في كل البلاد العربية شيئاً من ذلك. لكن ماذا أصنع وأمامي نصوص تقرر أن الاهتمام بالفكر العامي والثقافة العامية في ندوة التخطيط للتراث الشعبي كان تلبية لقناعة المنظمات الدولية واهتمامها. وليس منبعثاً من ذاتنا واقتناعاتنا نحن أهل التراث العامي.

إن لكل أمة حضارة وثقافة تميزها عن غيرها وتحافظ عليها ولا ترضى بخلطها أو مزجها مع ثقافات تطغى عليها ولا ترحب باستيراد مفاهيم الآخرين وثقافاتهم إذا كانت تتعارض مع أسس ثقافتها الخاصة ولا توظف أفكار الأمم والمنظمات لكي تتحكم بفكرها وثقافتها. وما تعرضت له ندوة التراث الشعبي كان رغبة آتية من وراء البحار وفكراً مغلفاً صمم لأمم غيرنا وأتي به ليوظف عندنا، وإليكم النص الآتي الذي صرح به أحد كبار المسؤولين عن المركز وافتتح به ندوة تخطيط ودراسة الأدب الشعبي الأولى

«إن هذا الاجتماع جاء تلبية لدعوة من منظمة اليونسكو ومنظمة (الويبو) لتدارس إمكانية تطبيق أحكام نموذجية في الدولة العربية... بعد اجتماعات عديدة وجهود موفقة من قبل المنظمتين في وضع تشريع دولي في هذا المجال»[1]. والمنظمتان اللتان أشار إليهما الحديث السابق منظمتان تعملان على تنمية الفكر الثقافي أممياً بغض النظر عن خصائص كل مجتمع وتميز ثقافته واستقلاله الفكري. يقول ممثل اليونسكو في مؤتمر التراث الشعبي العامي (إن هذا الاجتماع يأتي تنفيذاً للقرار رقم (١) و(١٥) الذي اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثانية والعشرين وللقرارات التي اتخذتها هيئات منظمة الويبو أثناء دورتها المنعقدة في سنة ١٩٨٣م وقد عهد لهذه اللجنة المجتمعة ابتداء من هذا اليوم بالدوحة بتحقيق مواءمة الأحكام النموذجية للتشريع الوطني المتعلق بحماية التعبير الفلكلوري من الاستعمال غير المشروع. كما يأتي هذا الإجتماع تتمة لسلسلة الإجتماعات التي نظمت لنفس الغرض بأمريكا وآسيا وأفريقيا[2]. والاستعانة بنظم وتشريعات أكبر المنظمات الثقافية والفكرية ينقض الدعوى التي يدعي هؤلاء والتي تقول: إن الأدب الشعبي أدب عامي محلي يستعمله العامة والأميون الذين لايحسنون غيره ولايعرفون سواه[3].

ومفهوم منظمة اليونسكو للثقافة مفهوم أممي، فثقافة أمريكا وآسيا وثقافة إفريقيا لديها مثل الثقافة العربية الإسلامية، ولافرق في نظر هاتين المنظمتين بين الثقافات الإنسانية ولافضل ولاتميز لشيء منها ولاخصوصية تنفرد بها ثقافة أمة على أخرى كخصوصية ثقافة الأمة العربية الملازمة لدينها وارتباطها به دون غيرها من الثقافات والأفكار المعاصرة.

فهل نوافق نحن على أن ثقافتنا الإسلامية العربية ذات البعد الحضاري

---

(١) الجزيرة، عدد ٤٤١١ في ١٤٠٥/٢/٢هـ.

(٢) الجزيرة، عدد ٤٤١١، في ١٤٠٥/٢/٢هـ.

(٣) سبقت الإشارة إلى تلك الأقوال.

والالتزام الديني والموروث المقدس هي نفسها مثل حضارات تلك الشعوب أم أن لها تميزاً واختلافاً يجعل تطبيق الأنظمة عليها ضاراً بها؟ إن قوانين هاتين المنظمتين وتشريعاتها ليست صالحة للتطبيق في البلاد العربية جملة، وإنما نستفيد من جهود هاتين المنظمتين بما لايضر ولايخالف خصوصية ثقافتنا. وهاتان المنظمتان تقومان بجهود ممتازة من أجل تنمية الثقافة عالمياً والاستفادة من جهودهما أمر مطلوب ولاغبار عليه إذا كان مما يوافق و يتسق مع أسس ثقافتنا العربية الإسلامية ولايضر بها حتى يكون لها عطاء مع غيرها من الحضارات لايمسخ تميزها ولايضعف شخصيتها، أما أخذها وتطبيقها جملة فهو يتنافى مع موروث الأمة الثقافي الأصيل ومع وظيفة هذا الموروث. ونصر على أن التشريع الذي يوضع لحضارة آسيا الوثنية وافريقيا البدائية وأمريكا العلمانية دون تميز تشريع يتعارض تطبيقه جملة مع فكرنا وثقافتنا وموروثنا الديني، لأن ثقافتنا ثقافة تضرب في أعماق التأريخ الإنساني وفيها موروث حضاري عظيم و بعض تشريعات اليونسكو والويبو تتعارض مع أهداف الثقافة العربية الأصيلة وتتعارض مع أهداف العرب وقوميتهم وتخدم أهداف أعدائهم. مثال ذلك أن اليونكسو تنظر إلى الثقافة في البلاد العربية بأنها ثقافات متعددة مختلفة **مثل ثقافة المصريين القديمة، وثقافة الهلال الخصيب، وثقافة حوض الرافدين وثقافة اليمن القديمة.** وكل تلك التقسيمات قائمة في أذهان المنظمات الدولية على الإستقلال والإختلاف والتميز. أما العرب فلا يقرون إلا ثقافة واحدة متكاملة استطاعت أن تستوعب كل تلك الثقافات وتصهرها في بوتقة الثقافة العربية الإسلامية وتجعلها واحدة لا تقبل الاختلاف والتعدد. والفرق بين فهمنا نحن العرب لمكونات ثقافتنا و بين فهم المنظمات الدولية فرق شاسع، واستشارات المنظمات الفكرية وأخذ آرائها وهي آراء ستكون قائمة على مفهمومها لهوية الثقافة ومعتمدة على التقسيم الإقليمي للعرب شيء يتعارض مع أهداف وحدة الثقافة واللغة والدين التي لانقبل تقسيمها ولانرضى إلا بها كاملة.

ومركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية أخذ كما أشار القائمون عليه

والمجتمعون تحت رعايته نظم المؤسسات الفكرية العالمية وتشريعاتها التي وضعتها جملة. وبدأ يحاول تطبيقها على ثقافة الأمة العربية والمجتمع المسلم محاولاً تطبيق النظم والأحكام الدولية على الدول العربية كما صرح بذلك المشرف العام عليه بعد أن دارت مناقشات واجتماعات لجانه حول الأحكام النموذجية للقوانين الوطنية الخاصة بحماية أشكال التعبير الفولكلوري من استغلالها بطرق غير مشروعة واستند إلى القرارات التي اعتمدتها لجنة الخبراء الحكوميين الدولية في جنيف عام ١٩٨٢م والتعليقات المعدة حولها لحماية الفولكلور على المستويين الوطني والإقليمي وتطبيق أحكام نموذجية للقوانين الوطنية في الدول العربية في هذا المجال [١].

يقول المشرف على مركز التراث: (بأن اللجنة ناقشت خلال اجتماعاتها الأحكام النموذجة والتعليقات الواردة حولها والمعدة من قبل خبراء حكوميين وبجهود منظمتي اليونسكو والمنظمة العالمية للملكية الفكرية «الويبو» كما بحثت اللجنة مدى ملاءمة هذه الأحكام للتطبيق في البلاد العربية واستعرض الخبراء المشاركون في الاجتماع الأوضاع الراهنة لحماية أشكال التعبير الفولكلوري في البلاد العربية الأعضاء في منظمة (الويبو) وقد أعرب مندوبو الدول المشاركة في الاجتماع عن ارتياحهم للنتائج التي تم التوصل إليها والتي في مقدمتها إقرار النتائج النموذجية في صيغتها الأخيرة واستعدادهم لحث دولهم على الأخذ بوضع تشريعات محلية على هدى هذه الأحكام لحماية التراث الشعبي الذي يعد جانباً من جوانب الثروة الوطنية القومية.. وقال إن الإجتماع على أرض دولة قطر يكسب أهمية خاصة لكونه أول اجتماع من نوعه في البلاد العربية كما أن نتائجه سوف يسترشد بها في تحقيق أحد أهم توجهات الدول السبعة «السبع» الأعضاء في مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية التي اتفقت من خلال المركز على وضع تشريع خليجي لحماية التراث الشعبي في المنطقة، وسيقوم مركز

---

(١) الجزيرة، عدد ٤٤١١ في ١٤٠٥/٢/٢هـ.

التراث الشعبي باتخاذ الخطوات العملية نحو إعداد هذا التشريع ورفعه للدول الأعضاء لتتولى تطبيقه حسب [نظمها] الدستورية وبموجب ماتراه ملائماً لأجهزتها المحلية المعنية بهذا الجانب)[1].

فمركز التراث الشعبي الذي تحدث القائمون عليه في كلماتهم عن أصالة الخليج ومنابع ثقافته وعن جذوره التأريخية الخاصة به وعن شعورهم بالحاجة إلى حمايته وحماية تراثه والعناية به وعن اقتناعهم الذاتي بمدلوله وقيمته الفكرية. لم يلبث هذا المركز أن تحول إلى متلق أمين للنظم الدولية ونشرها والتبشير بها وإلى محاولة فرضها على التراث الشعبي ولم يستطع المجتمعون فيه وضع نظم وقوانين خاصة لهم توافق أهداف المركز المحلية التي يدعي أنه قام من أجلها. ولو كانت القناعة بقيمة التراث الشعبي نابعة من نفوس المجتمعين في ندوة التراث العامي لاستطاعوا الاستغناء عن نظم المؤسسات الفكرية الدولية ووضعوا نظماً محلية تتفق مع أهدافهم وتجسد تصوراتهم لمستقبل ثقافتهم المحلية الشعبية التي ينادون بها وتضع التراث العامي في مكانه المناسب له الذي لايضر أصل الثقافة ولايتعارض مع الأهداف الكبرى للعرب.

كيف يجتمع ثلاثة وثلاثون أستاذاً جامعياً وعالماً عربياً مدفوعين برغبة ذاتية وإدراك لقيمة العامية وللنظر فيها وفي أهمية المحافظة على الفكر المحلي، فلا يستطيع هذا العدد المؤهل علمياً وضع تشريع متميز بمحليته يناسب إقليمية التراث الذي اجتمعوا من أجل المحافظة عليه، و يضع له هوية محلية إقليمية تجعله في محيطه الذي عرف له منذ زمن بعيد.

ثم يعجزون عن ذلك ولايجدون بداً في نهاية الأمر من استعراض النظم العالمية لتقدم لهم تصوراً يضعون في إطاره المادة الشعبية الإقليمية. مما جعل المقرر العام، لمؤتمر التراث العامي يعلن للمجتمعين أنه وجد في ملفات

---

(١) الجزيرة، عدد ٤٤١١، في ١٤٠٥/٢/٢هـ.
والرياض، ٥٩٥٥، في ١٤٠٥/١/١٧هـ.

النظم الفكرية الدولية نظاماً يصلح توظيفه ووضعه لهم ولتراثهم الشعبي فيقول: (إن منظمة «الويبو» في اجتماعها الذي عقدته سنة ١٩٨٣م في جنيف قد أقرت مشروع قانون يمكن استخدامه في الدول العربية كما يليق بهذا الإستخدام ويمكن لأية دولة عربية أن تغيِّر أو تبدِّل في نص القانون حسب قوانينها الموجودة فيها)[١].

لو كان المجتمعون ينطلقون من قناعة شخصية بأهمية الفكر العامي وقيمته ولديهم تصور نابع من أنفسهم لوظيفته ما احتاجوا إلى استعراض النظم الدولية وتوظيفها لتكون أطراً يصبون فيها المادة الإقليمية المحلية.

ومركز التراث الشعبي على حد هذا النص ليس إلا وسيطاً وناقلاً للنظم العالمية يطرحها و يتولى تسويقها في دول الخليج رغم أن مؤسسيه يتحدثون عن منابع الأصالة والجذور الوطنية والقومية الإقليمية.

الأبجدية العامية بدل الأبجدية العربية :

ذكرنا فيما مضىٰ أن عقد ندوة التراث الشعبي والتخطيط له كان الأول من نوعه في الجزيرة والخليج وكان المجتمعون فيه يمثلون اتجاهاً فكرياً وخطاً واضحاً هو تبني النظم والأفكار والقوانين الدولية التي تطالب بحماية الفولكلور الشعبي. وقد حمل المدعوون إلى الندوة خمسة عشر بحثاً ينظرون فيها لدراسة العامية أو اللغة المحلية كما يسمونها وقسموا بحوثهم إلى بحوث نظرية وأخرى علمية تطبيقية. جاء في الأولىٰ ثمانية بحوث وفي الثانية سبعة، وكان من الباحثين ثلاثة فقط من أهل الجزيرة والخليج بينما جاء اثنا عشر باحثاً من خارج الجزيرة، وفيهم من ليست العربية لغة له، وأخذ الباحثون يبدون و يعيدون فيما قال علماء اللغات المعاصرون وعلماء الاجتماع والانثربولوجيا. وأهم تلك البحوث بحث سماه جامعه (علم اللغة ودراسة الأدب الشعبي) وجامع البحث أستاذ بجامعة مصرية لايعرف عن أدب

---

(١) الرياض، عدد ٥٩٧٨، في ١٤٠٥/٢/١١هـ.

الخليج العامي والجزيرة شيئاً وكان بحثه إحصاءاً للمؤلفات العامية، وتنظيراً لمناهج علم اللغة الحديث ووصفاً تأريخياً لم يجرؤ على ملامسة التطبيق الفني لأدب العامية في الجزيرة. وقد أعرب عن أمله في إمكانية تطبيق منهجه والاستفادة منه في دراسة الأدب العامي في الجزيرة والخليج[1].

وجاءت نظرية الباحث على أن اللغة العامية التي يتحدث عنها لغة قومية يجب أن توضع لها القواعد وتقام لها الأسس حتى تصبح ذات قيمة تستوعب الفكر والفن والأدب ولهذا طرق في بحثه رأياً كان هو أهم التوصيات التي تبناها المجتمعون وهي قوله (ومن الأهمية اتفاق الباحثين اللغويين والفولكلوريين على طريقة موحدة لتدوين النصوص الشعبية منعاً لازدواج العمل وحرصاً على التكامل بينهم، ومن الضروري إعداد المعاجم والأطالس اللغوية)[2].

وقد تظافرت جهود المجتمعين في هذا المؤتمر للخروج بتوصيات يعتمد عليها وتكون ملزمة للدول العربية للأخذ بها رغم تصريحاتهم بأن اجتماعهم كان مبادرات فردية وليس تكليفاً من دولهم إلا أنهم حاولوا في صياغة التوصيات إضفاء الصيغة الرسمية وربط نجاحها باستجابة الدول لها وذلك برفع توصياتهم إلى الدول العربية ومطالبتها بالأخذ بتلك القرارات والتوصيات التي كانت منصبة على إحياء العامية والعمل على تنمية فكرها وأدبها ولذا طالبت بحشد كلّ الإمكانيات والطاقات لنجاح العامية وأهم ما أوصى به المجتمعون[3].

١ ــ تشكيل لجنة من المتخصصين لدراسة صيغة علمية لكتابة اللغة المحلية لتدوين أنماط الأدب الشعبي.

٢ ــ الإتفاق على المقومات الأساسية المحددة لمفهوم الأدب الشعبي.

---

(١) مجلة المأثورات الشعبية، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ.

(٢) الجزيرة، عدد ٤٤٣٥، في ١٤٠٥/٢/٢٦هـ.

(٣) الجزيرة، عدد ٤٤٢٦، في ١٤٠٥/٢/١٧هـ، والعدد ٤٤٣٥ في ١٤٠٥/٢/٢٦هـ.

٣ ــ الإتفاق على المقومات التي تستقل بتحديد أصناف خاصة من الأدب الشعبى.

٤ ــ ضرورة الاستفادة من التجارب الرائدة في مجال مفهوم الأدب الشعبي في الأوساط العربية والعالمية.

٥ ــ ضرورة الاستمرار والتواصل بين البحث في الدراسات الشعبية في الوطن العربي بمفهومه المعاصر وبين ماقام به العلماء العرب من جهود لاتنكر في هذا المجال.

٦ ــ الجمع والتدوين والتوثيق وإعداد ببليوجرافيا مشروحة في موضوع الأدب الشعبي لكل دولة من دول الخليج العربية.

٧ ــ الحصول على أهم المراجع والمصادر عن الأدب الشعبي في مكتبات العالم مع التركيز على أدب الرحلات والمخطوطات العربية القديمة.

٨ ــ دعوة الجامعات العربية ومراكز البحث العلمي إلى الاهتمام بالدراسات والأبحاث في مجال الأدب الشعبي.

٩ ــ الاهتمام بالجامعين الميدانيين لتقدير مايقومون به من عمل عظيم لجمع وحفظ المأثورات الشعبية في الأدب الشعبي، والتغلب على المشكلات التي يواجهها الباحث في الأدب الشعبي وإعداده إعداداً علمياً وفنياً.

١٠ ــ إعداد فرق عمل ميدانية كاملة مجهزة بحيث يشتمل الفريق الواحد على جميع المختصين من جامعين وباحثين ومصورين ومهندسي صوت.

١١ ــ الاستعانة بوسائل الإعلام.

١٢ ــ جمع وتصنيف مواد الأدب الشعبى وفهرستها وحفظها.

١٣ ــ الاهتمام بالطرق والمناهج المتبعة.

١٤ ــ العمل على تكريم الرواد الأوائل من أبناء الخليج والجزيرة العربية الذين ساهموا بجهود طيبة في مجال جمع وتدوين وتصنيف ودراسة أنماط الأدب الشعبي[1].

---

(١) مجلة المأثورات الشعبية العدد الأول السنة الأولى، ربيع الثاني ١٤٠٦هـ.

التوصيات التي تمخض عنها مؤتمر التراث الشعبي كانت مليئة بالكثير من الأفكار والآراء الكثة الكثيفة التي لو تحقق بعضها للعامية لأصبحت لغة حية يمكن أن تحل محل لغة الأمة العربية من المشرق إلى المغرب وأن تسد مكانها.

و يكفي أن التوصيات التي أقرها المجتمعون نقلت العامية من لغة محلية منطوقة ليس لها ثبات إلى لغة أدب وفكر وفن تكوّن في نظرهم جذوراً حضارية أولية وتعبر عن منابع أصالة وتمثل ذاتاً مستقلة وفيها روح الشعب وحكمته ومدى الصلة التي تربطه بالحضارات الإنسانية العريقة وهي في رأيهم موروث الشعب العربي الذي يتميز بالثراء والتنوع والتعدد والغنى، وتعكس الصورة المثلى لعراقة هذا الجزء من العالم الذي كان مهداً لحضارات أسهمت بنصيب وافر من التراث الإنساني [1].

من هذا الإدراك لقيمة العامية كان التوجه الكامل إلى خدمة اللغة المحلية ومحاولة تهيئة الوسائل التي تخدم أدبها وفنها وتأريخها.

لكن السؤال الذي لم يشر إليه المجتمعون هو: إذا كان هذا هو الأدب العامي، وإذا كانت هذه وظيفة العامية وإذا كنا نفهمها على أن فيها روح الشعب وحكمته وأصالته التي تربطه بالحضارات الإنسانية العريقة، فأين مكان الحضارة العربية الفصحى وأين الثقافة العربية والإسلامية التي استمرت حتى مؤتمر التراث الشعبي العامي؟ هل هي رافد متضائل يصب في محيط الأدب الشعبي الذي له هذه القيمة الحضارية، أو هي جزء منه، أو هي إحدى الحضارات الإنسانية العريقة المنفصلة عن الأدب الشعبي، أو أنها غير واردة في أذهان المجتمعين المنظرين للفكر العامي؟

---

(١) انظر عن هذه العبارة. الجزيرة عدد ٤٤١١ في ١٤٠٥/٢/٢هـ، وعدد ٤٤٣٥ في ١٤٠٥/٢/٢٦هـ، والرياض، عدد ٥٩٧٨ في ١٤٠٥/٢/١١هـ، وعدد ٥٩٥٥ في ١٤٠٥/١/١٧هـ. ومجلة الدوحة، ديسمبر ١٩٨٥م وعشرات المقالات التي ألقيت في الندوة.

الجواب إن الحضارة العربية الإسلامية لم تخطر ببال أحد في زخم التوجه العامي الذي رآن على الإجتماع. وسبب نسيانها أن جامعة جنيف التي أشرفت على تنظيم الندوة الأولى للأدب المحلي العامي في دول الخليج، وضعت للندوة الاستشارات وأسس العمل وتابعتها منذ بدايتها فكرة حتى تحقق اجتماعها الأول، لم يخطر ببالها أن لهذه الأمة لغة عربية فصيحة حضارية مرّ عليها أكثر من سبعة عشر قرناً ولازال عامة هذه الأمة يتلذذ بشعرها الذي قيل في القرن الأول و يفهم لغة امريء القيس والأعشى و يرتل القرآن وكأنه أنزل اليوم. وظنّت الجامعة الموقرة أن العامية في الجزيرة والخليج منبتّة لا أصل لها مثلها مثل لغة إحدى القبائل المتنقلة في أدغال أفريقيا فعالجت الأمر على أساس أن العامية في الجزيرة والخليج لغة بدائية منطوقة لا تعتمد على موروث حضاري عريق. وعلى هذا التصور الذي قدمه لها مفكرو العامية تعاونت مع منظمتي اليونسكو والو يبو لوضع أبجدية عامية لهذه اللغة المنطوقة، وجاء دور المجتمعين فبصموا على الاقتراح بأصابعهم العشرة وجاءت التوصية التي أشرنا إليها برقم[1] في توصيات الندوة.

والسؤال الذي لابد منه هو مادام المسؤولون عن مركز التراث الشعبي محتاجين إلى معاونة واستشارة مؤسسة علمية أكاديمية(١) مثل الجامعة المذكورة لماذا وقع الاختيار على جامعة أجنبية ليست لغتها العربية ولا العامية المحلية؟

لماذا لم يقع الاختيار على جامعة محلية خليجية في الجزيرة؟ وفي الجزيرة أكثر من عشر جامعات تفوق في إمكانياتها العلمية والمادية جامعة جنيف، وفي هذه الجامعات ــ من أهل الجزيرة والخليج أهل العلم والمعرفة بالتراث الفصيح والعامي ــ نخبة من أبناء الخليج من العلماء والمفكرين الذين تخصصوا في علم اللغات والذين يعرفون بيئة الجزيرة والخليج و يعرفون أهمية المحافظة على قيم المجتمع الذي ينتمون إليه و يعرفون الأدب المحلي

(١) الرياض، عدد ٥٩٧٨ في ١٤٠٥/٢/١١هـ.

و يدركون قيمته وأهمية الموروث الذي ينسجم مع حضارات الأمة و يتسق مع أهدافها القومية والدينية والاجتماعية والسياسية، وهذا العدد الكبير من الجامعات وجد وكوّن من أجل تطوير الفكر الذي يتناسب مع منطلقات آمال الأمة ولايعارض أو يناقض أسس الفكر والثقافة الخالدة. والأولى أن تستعين ندوة التراث الشعبي بالجامعات العربية الخليجية وتأخذ بنصيحتها وأقربها إليها جغرافياً جامعة قطر التي لا تبعد عن مقر الاجتماع غير بضعة أميال.

وعلى فرض أن الجامعات الخليجية قد دُعِيتْ فامتنعت ورفضت الاشتراك ولم تجب الدعوة وعلى فرض أنه طلب منها العون ولم تنشط لذلك، فلابد أن امتناع الجامعات الوطنية التي مهمتها ورسالتها الأولى النهوض بالفكر والثقافة المحلية والمحافظة على منابع الأصالة وجذور الثقافة كان أمتناعاً قائماً على قناعة ومستنداً على أسس قومت من خلالها أهداف الندوة ومايثار فيها من فكر وقضايا يتناقض الاهتمام بها مع الأهداف التي من أجلها جاءت الجامعات في الخليج والجزيرة. وإجماع جامعات الجزيرة والخليج كلها على عدم القيام بالمهمة التي قامت بها جامعة جنيف يعتبر إجماعاً ليس في صالح ندوة التراث الشعبي. لأن الجامعات الخليجية بمن فيها من العلماء والمفكرين وصفوة المثقفين من أبناء الوطن لايمكن أن يمتنعوا عن عمل يحفظ تأريخ بلادهم وجذور أصالتهم ومنبع ثقافتهم ــ كما يقول منظرو العامية ــ إذا كانوا قد دعوا فامتنعوا ولن يمتنعوا مالم يعرفوا أن في ذلك ضرراً على ثقافة الأمة ولغتها وعلى وحدتها، وهذه هي الأسس التي جاءت الجامعات لتنميتها وتطويرها والاهتمام بها. أما إذا كان الاختيار قد وقع على جامعة جنيف دون النظر إلى جامعات الخليج وأن منظمي ندوة التراث الشعبي قد تجاوزوا هذه الجامعات إلى جامعة أجنبية لغتها غير العربية لكي تشارك فيما يدّعون أنه أصول الثقافة وجذور الأصالة فهذا يتناقض مع مايصرّحون به من غيرتهم الوطنية والمحلية والقطرية و يتناقض مع أسس الأصالة والجذور التي لايفهمها غير أبنائها الذين ينادون بالمحافظة عليها.

وأياً ماكان الأمر فقد جاءت توصيات ندوة التراث الشعبي فوق مايمكن أن يتوقعه الناس لا في الجزيرة والخليج فحسب بل في الوطن العربي كله من شرقه إلى غربه.

فمن يستطيع أن يتوقع أن تكون لنا أبجديتان نتعامل معهما ونكتب بهما في وقت واحد. أبجدية اللغة العربية الفصحىٰ وأبجدية اللغة العامية المحلية التي أوصت ندوة التراث الشعبي باختراعها لتكتب بها اللغة العامية المحلية زاعمين أن أبجدية اللغة العربية الفصحىٰ عاجزة عن تلبية حاجة كتابة المحلية العامية وعاجزة من استيعاب متطلباتها.

كيف نعتذر إلى التأريخ كله عندما كانت أبجدية العربية التي تعجز عن استيعاب اللغة المحلية في رأي ندوة التراث الشعبي، أبجدية لا تعجز عن استيعاب حضارات وثقافات ولغات أمم ليست عربية.؟

كيف نواجه التأريخ عندما يخبرنا أن اللغة العثمانية التركية كتبت بالأبجدية العربية الفحصىٰ منذ أن بدأت لغة مكتوبة إلى ماقبل خمسين عاماً. على ما في اللغة التركية من أصوات تخالف أصوات اللغة العربية ومع ذلك فلم يحتج المسلمون الأتراك إلى أبجدية غير العربية.؟

وكيف ننظر في صفحة تأريخنا عندما يخبرنا أن اللغة السواحيلية بل كل لغات أفريقيا المكتوبة على مابها من أصوات وحركات كانت تكتب بالأبجدية العربية الفصحىٰ ولم يعجز الحرف العربي عن استيعابها عندما كانت لنا قوة. وقد استمر الحال على هذا المنوال حتى غلب الاستعمار وغلب أعداؤنا على أفريقيا فحوّلها أو حولوا مااستطاعوا منها إلى أبجدية لغاتهم.؟!

وماذا نقول عن حضارة الفرس وثقافتهم التي استعارت الحرف العربي وكتبت به تأريخها وأدبها اللذين عادت بهما إلى عهد الأكاسرة حتى يومنا هذا.؟ ولغة الأردو والبنجاب لازالت تكتب بأصول الأبجدية العربية ولم تضق عنها.؟!

كل تلك الأمم على تباين لغاتها وتنوع ثقافاتها واختلاف أصواتها أخذت الأبجدية العربية وكتبت بها لغاتها ولم يقولوا بعجزها أو يتذمروا من قصورها بحيث لا تستطيع رسم صور كل الأصوات والحروف التي توجد في تلك اللغات الأجنبية على اللسان العربي.

ولم يقل بعجز أبجدية اللغة العربية وتقصيرها إلا مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية عندما حاول كتابة العامية المحلية المحكية التي يرى أنها تحتوي على أصوات وحروف لم تحوها اللغات التي أشرنا إليها مما حدا بالمنظرين للعامية إلى البحث عن أبجدية للغة العامية بالرغم من أنهم يزعمون أن مفرداتها فصيحة صحيحة وأن الأدب العامي هو فرع للأدب الفصيح وسليله ولكنه في نظرهم يحتاج إلى حروف غير حروف العربية وأبجدية غير أبجديتها.

ما الفرق بين البحث عن أبجدية عامية واختراع حروف غير حروف الفصحى وبين الدعوات المسعورة في مصر والشام التي كانت تنادي بكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية؟

إن الفرق هو في الوسيلة أما الغاية فواحدة، الحرف اللاتيني رفضته الأمة العربية لأنه حرف أجنبي منتزع من بيئة أجنبية ونقل العربية به وإليه لايقره أحد لوضوح أهداف الذين يحاولون ذلك. أما البحث عن حروف عامية محلية فهي وكما يتصورون أجدر بالقبول لأنها ستكون محلية مثلها مثل اللغة المحلية نألفها ونعرفها ولايكون في النفس منها كزازة وهي ستؤدي الغرض نفسه الذي ينادي به الدعاة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني. والنتيجة التي تؤدي إليها كتابة العربية باللاتينية أو اختراع أبجدية عامية في كلا الحالين هي حجب الموروث الهائل من الفكر العربي الإسلامي الذي بناه الأجداد على مر عصور التأريخ وفيه أمجاد الأمة العربية يوم كانت أمة لاتغرب الشمس عن سلطانها، ووضع حاجز الحرف اللاتيني أو العامي سيضع سداً منيعاً أمام عامة الأمة من الاستفادة من تأريخها وحضارتها

وسيمكن أعداءها من التحكم فيما تسمح بتسربه من هذا الفكر خلال ثقوب السد المنيع الذي أقامته كما هي الحال الآن في تركيا بعد إكراهها على اختيار الحرف اللاتيني. ولايعني هذا أن الذين بصموا على توصيات ندوة التراث الشعبي وجعلوا إحداها البحث عن أبجدية عامية، لايعني هذا أنَّهم يدركون خطورة مثل هذا العمل ولايتوقعون النتائج التي ستؤول إليها توصياتهم ولكنهم مخدوعون بجامعة جنيف ومشورتها. ومجتهدون اجتهاداً يضر بمصالح أمتهم و يضر بمستقبل وحدتهم العربية الكبرى التي يحاول كل مخلص واع استمرارها وزيادة قوتها وإبعاد كل مايكثف حدود المفاهيم العامية والإقليمية.

وحب عامية الجزيرة والخليج والشعور بتميزها عن غيرها من عاميات الوطن العربي الكبير أنسى الكثير من المهتمين بالعامية ثغرة قاتلة سيتسرب منها مالا يتوقعه ولا يدركه الكثير ممن ينشطون الآن لها. هذه الثغرة هي تربية عامة الأمة على حب العامية وتقديس الموروث العامي وتفضيله على الفصحى وموروثها ومع مرّ الزمن ستتأصل هذه القناعة لدى كافة الأمة أو لدى أكثرها وعندئذ لايكون هناك صعوبة من التحول التدريجي إلى العامية وهجر العربية الفصحى وليس حدوث ذلك مستحيلاً لاعقلاً ولا شرعاً وإن ردد العوام وأصحاب الأهداف الآية **«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»**.

الفصل الثامن

الشعر العربي الفصيح
والشعر العامي

أ ــ اللغـــة :

تحدث المدافعون عن الفكر العامي وأطالوا الحديث عن الشبه والصلة بين الشعر العربي والشعر العامي وأكثروا القول في أن الشعر العامي سليل للشعر الفصيح ومتطور عنه وقد سبقت الإشارة إلى بعض أراء متقدمي الكتاب الذين قالوا بهذه القرابة ولاسيما رأي الأستاذ خالد الفرج الذي نعتقد أنه أول من أطلق عبارة «إن الشعر النبطي سليل للشعر العربي الفصيح ومتطور عنه «وقد عالجنا هذا الرأي وتبين أنه يعني بالتشابه الأغراض والمعاني والقيم التي حملها الشعر العربي والتي تضمنها الشعر النبطي أيضاً، وذكر الباحث العلاقة بين لغة الشعر الفصيح ولغة الشعر النبطي ووصف لغة الأخير بأنها «لغة أخرى فاسدة ممسوخة» [١]، وإذا كان خالد الفرج قد حدد مايعنى بالصلة بين الشعرين، فإن الذين جاءوا بعده وأخذوا آراءه لم يحددوا المقصود بالقرابة أو الشبه بين الفنّين، وجاءت أقوالهم على منحى التعميم كقولهم «فالشعر العامي في الجزيرة هو الشعر العربي القديم باختلاف في طريقة التعبير[٢]، أو أن شعراءه التقوا مع امرىء القيس والمتنبي وأبى العلاء[٣]، أو أن الشعر العامي جاء اشتقاقا من اللغة الأم» [٤]. أو أنه امتداد للشعر

---

(١) انظر مقدمة شعر النبط.

(٢) وهبه، ٤٢.

(٣) وهبه، ٤٤.

(٤) وهبه، ٧٦.

العربي الفصيح[1] «وأن هناك علاقة حميمة بينه وبين الفصحى»[2]، «وأن أصله عربي»[3]، وأنه عربي في كلماته وأوزانه وموضوعاته[4] أو أنها صنوان[5] أو هو الشعر العربي لاغبار عليه»[6]، «أو ترديد بعض الأبيات التي يجوز فيها الحالان الفصيح والعامي»[7].

ولا خلاف في أن الشعر «النبطي» شعر منحدر عن الشعر الفصيح حمل وهو في سبيل إنحداره بعضاً من جذور الشعر الفصيح وصفاته، تلك الصفات المعنوية والقيم الاجتماعية التي رصدها الشعر العربي في الجزيرة على مر العصور. وعندما إنتشرت العامية واستغلق فهم لغة الشعر الفصيح احتاج الأميون والعوام إلى التعبير عن قيم المجتمع العربي العامي، ولما أعجزهم الحال عن النظم بالفصيح، أخذوا ينظمون بشعر العامية صوراً لهذه القيم بلغة عامية ركيكة ضعيفة لاتشابه فصاحة العربية ولاتمثل بلاغتها ولاتتفق مع بيانها وأساليبها، ففسدت لغة الشعر ومسخت وابتعدت عن الإعراب والبناء العربي المستقيم، والذين يدافعون عن الشعر العامي اليوم ويصفونه بما سلف من الصفات لايستطيعون أن يحققوا للغته صفة من صفات اللغة باستثناء المفردات التي بقيتْ فصيحة ــ في الغالب ــ في الشعر العامي ولكنها نظمت نظماً مناقضاً لنظم العربية وبنيتْ بناءً مخالفاً لبنائها مما جعل هذه المفردات (أعني الفصيحة) في لغة الشعر العامي تفقد قيمتها وتبعد عن أصلها وينطمس بريق حيويتها، وبالنظر إلى لغتنا العامية اليومية نجد أنها لاتزال تحتفظ بمقدار لايستهان به من المفردات الفصيحة ولكن استعمالنا لها لايجعلنا ندعي لأنفسنا أننا نستعمل الفصحى في لهجاتنا العامية. والحال هنا

(١) الجزيرة، عدد ٤٣٤١ في ١٤٠٤/١١/٢٠هـ ومجلة المجلة، عدد ١١ في ١٤٠٦/٥/١٨هـ.
(٢) الجزيرة، عدد ٤٠٧٧ في ١٤٠٤/٢/٢٣هـ.
(٣) الجزيرة، عدد ٣٩٨٨ في ١٤٠٣/١١/١٢هـ.
(٤) المسائية، عدد ١٠١٩ في ١٤٠٥/٧/٢٤هـ.
(٥) المسائية، عدد ١٠١٩ في ١٤٠٥/٧/٢٤هـ.
(٦) الجزيرة، عدد ٤٣٧١ في ١٤٠٤/١٢/٢١هـ.
(٧) مجلة المجلة، عدد ٣١١ في ١٤٠٦/٥/١٨هـ والأدب الشعبي، ص٢٢٨.

هو نفسه في حال إستعمالها في الشعر العامي. واحتواء اللهجات أو الشعر العامي لمفردات فصيحة ليس حجة تسوِّغ لنا التهاون بخطر البعد من الفحصىٰ. وبروز الجذور اللغوية الفصيحة في الشعر العامي لايجعل خطره هيناً أو يقلل من ضرر لغته التي ينظم بها على الفصحىٰ فالفصحىٰ لابد أن تبقى جذورها واضحة بيِّنة فيما انحدر عنها من لهجات وعاميات.

إن نظرة سريعة إلى كتب تأريخ اللغات تكشف الجذور المشتركة للغة الأصلية فيما تفرع عنها من لغات يزعم علماء اللغة أنها متطورة من أصل واحد فمثلاً: اللغات الأوربية المنحدرة عن اللاتينية، نجد بعض مفردات اللغة الفرنسية لفظاً ومعنى تقريباً في اللغات الإيطالية والأسبانية وربما الإنجليزية لأن الثلاث الأول متطورة عن اللاتينية نفسها والأخيرة آخذة منها متأثرة بها، وسنورد مثالاً لتوضيح ذلك، فالمصطلحات: الشعر، اللغة، الأدب، الشخصية، في اللغات الأوربية تشترك في جذور المادة الأصلية لها وهي كما يأتي[1]:

(٢)

اللاتينية : POEOIS LINGUA LITTERAE PERSONA

في الفرنسية : POESIE LANGUE LITTERATURE PERSONNALITE

في الإيطالية : POSIA LINGUA LITTERATURA PERSONALITA

في الاسبانية : POESIA LENGAA LITERATURA PERSONALIDID

في الانجليزية: POETRY LANGUAGE LITERATURE PERSONALITY

هل يجد القارىء فرقاً جوهرياً في رسم هذه الكلمات؟ إنها متشابهة تمام التشابه وحتى في نطقها بالرغم من كونها لغات متباينة لايفهم أهل أي لغة منها اللغة الأخرى.

(١) وهذا لايعني أن الفرق بين اللغات المذكورة هو بهذا القرب دائماً إنما هناك اختلاف جوهري بينها في البناء والمفردات، ولكن المثل هنا للتدليل على استمرار جذور اللغة الأولىٰ فيما يتطور عنها من لغات.

(٢) لا يقصد بها الشخصية الفنية وإنما الذات.

وهذه القرابة بين هذه الكلمات والمصطلحات في اللغات الأوربية هي القرابة نفسها التي يزعم محبو الفكر العامي أنها موجودة بين الفصيح والعامي، وهي قرابة طبعيَّة لاينكرها الذوق السليم.

المعاني والقيم الاجتماعية :

الضيافة :

وأقوال مروجي العامية هذه تصدق على القيم الاجتماعية التي عبر عنها الشعراء العوام في الماضى القريب كما عبر عنها أسلافهم الشعراء العرب في الماضي البعيد. والمعاني مطروحة في الطريق كما يقول الجاحظ، والتقاط الشاعر العامي لمعنى كريم والتغني به مثل النظم في مكارم الأخلاق التي اتصفت بها حياة العربي، لاتجعل للشعر العامي هذه القيمة ولا تنفي ماتحمله لغته العامية من شوائب تؤثِّر على صفاء لغة العرب ورمز وحدتهم. ولو كان هذا البحث يميل إلى المماحكة والجدل لتتبع المعاني والقيم الإجتماعية التي جاءت في شعر العوام وردها إلى مايطابق معناها من شعر الشعراء الفصحاء الذين سبقوا إليها ولسهل عليه تجريد لغة العوام من كل فضيلة وزعم أن الشاعر العامي مسبوق إلى هذه المعاني وأنه آخذ عن الشعر العربي معناه ومضمونه وأنه مقلد لغيره في كل ماجادتْ به مواهبه وملكات إبداعه كما كان يفعل النقاد الذين تتبعوا معاني الشعراء وردوا كل معنى وجدوا له شبيهاً في شعر سابق إلى الشاعر السابق وزعموا أن المتأخر سارق ومستلب لفكر ليس له وآخذ شعراً قد سبق إليه.

لكنه يعلم أن شعراء العامية ولاسيما شعراء القبائل العربية التي لم تستقر في المدن والقرى، لا تعرف عن الماضي العربي الفصيح شيئاً، ولكنها عاشت المناخ الاجتماعي والسياسي واستوطنت البيئة التي عاش فيها شعراء الفصيح، ومارست حياة مثل حياة الشعراء الجاهليين بكل مضامينها وعاداتها وتقاليدها والأعراف السائدة فيها ولم تختلف عنها كثيراً. فكان لابد لهم من أن يعبروا عن المضامين الشعرية التي عبر عنها أسلافهم ولكن بلغتهم العامية التي لايُجيدُون غيرها. وقد عرفت بيئة أحد هؤلاء الشعراء وأدركت عشرين

شيخاً من أترابه ومعاصريه وعرفت حياتهم ونمط معيشتهم وأبعاد ثقافتهم ووجدت عند هذا الشاعر العامي معنى وصورة مطابقة لمعنى جاء عند شاعر عربي فصيح مثّل فيه موقفاً إنسانياً ومعاناة ذاتية في ظروف قاسية المرارة قبل أربعة عشر قرناً وتكرر مثل هذا الواقع بكل أبعاده وحيثياته للشاعر العامي قبل سبعين عاماً[1]. فجاء بشعر يصف فيه مأساته كما وصفها الشاعر العربي القديم حتى لكأنه قرأ كل بيت من النص الفصيح فقلده. وأنا أشهد عند الله أن هذا الشاعر العامي قد عاش ومات وماعرف أن هناك شيئاً اسمه شعر فصيح وعامي وماعرف شعراً غير الشعر العامي الذي ينظمه لأنني أدركت بعض أترابه الذين عاشوا بعده سبعين عاماً وانتقلوا إلى الحواضر واستقروا بها، فقرأ بعضهم القرآن الكريم ثم لما سألتهم عن الشعر

---

(١) هو الشيخ رشدان بن موزه من بني عمرو من مسروح من حرب، كان عقيداً وشاعراً عامياً له أجمل الشعر الذي يحفظه الرواة و يتناقلونه إلى اليوم وهو من شعراء الردّ انضم إلى الثورة العربية عندما بدأت في المدينة المنورة، وعسكر مع أبناء الشريف حسين في بلاد قومه بني عمرو في آبار علي «ذى الحليفة» وعندما جمع فيصل بن الحسين مشائخ حرب وحثّهم على الاشتراك في الثورة و بيّن لهم أهدافها قام راشدان بن موزة وأعلن تأييد مشائخ حرب للثورة مرتجزاً بأبيات منها:ـ

جئنا بمان الله ومانك ياشريف حنا سيوفك و ين مايهوىٰ بها
مانقبل الصلحات والسلم النظيف لين الدول تنكس على اللي جابها

وفي تلك الليلة، ليلة الخامس من شهر يونيو حزيران عام ١٩١٦، كانت الحامية التركية تتقدم نحو معسكر الشريف في آبار علي وقبيل الظهر زحزحت المعسكر وفضت جنود الشريف فانتقل إلى الرس ونزل بها. وكان الشريف فيصل بن الحسين قد وجه رشدان بن موزه مع قومه، ومرزوق بن راشد بن تنباك مع قومه وأمرهم بأن يكونوا بأبى بريقا حيث يقيم بعض بني عمرو فمروا وهم في طريقهم على بيت الشيخ مقبول السرانى، وكان حكيماً ذا رأي ومعرفة فأمرهم أن ينزلوا في سفح جبل عير ويجعلوه على ظهورهم و يرتفعوا عن بطن الوادى و يستقبلوا المدينة المنورة. وقد قتل الكثير من جيش الشريف وقتل رشدان في ذلك اليوم ولم يقتل من بني عمرو غير عدد قليل، لأن المكان الذي أشار به الشيخ مقبول كان حصيناً وقاهم الضربة الأولى.

والجدير ذكره أن الثورة العربية بدأت من المدينة المنورة بقيادة علي وفيصل أبناء الملك حسين، ولم تعلن بمكة إلا بعد إشتعالها بالمدينة بخمسة أيام.

الفصيح والشعراء الفصحاء لم يعرفوا شيئاً ولم يفهموا ما أعنى بالشعر الفصيح والمثال الذي أسوقه للشاعر العامي هو في وصف الضيافة التي تعتبر إحدى القيم الاجتماعية الثابتة في حياة العرب على مرّ العصور والتي لم تمسَّ مكانتها في نفوس سكان الجزيرة ولم يتغير الاهتمام بها ولم تقل المحافظة عليها. فاكرام الضيف يعتبر من الصفات التي تختصُّ بها الأمة العربية في جزيرتها دون غيرها من أمم الأرض ولها عندهم قانون لم يكتب ولكنه ثابت لايتبدل ولايتزحزح من نفوسهم إذ استمر مع الأيام وازدادت شدة المحافظة عليه والتمسك بحقوق الضيف والمسارعة إلى أداء الواجب ولعل وضع الجزيرة الصحراوي وطبيعة الحياة فيها وقسوتها وخشونتها وطعم الجوع الذي يعاني منه أهلها في الماضى هو الذي أصَّل الاهتمام بالضيافة في نفس العربي كما قال الشاعر:

لعمرك قدما عضنَّى الجوعُ عضة فآليت ألا أمنع الدهرَ جائعا

وأهل الجزيرة وقعوا تحت عضّ الجوع في الزمن الماضي سواء كانوا من الأغنياء أم الفقراء.

والشاعر العامي الذي نعرض قصيدته العامية في هذا الغرض هو رشدان بن موزة الذي يحكي قصة نزول الأضياف بداره بعد منتصف الليل وهو لايجد مايقدم لهم فوصف هذه المعاناة إزاء هذه القيمة الاجتماعية الكريمة وصورها في شعره بما لم أطلع على أجمل منه في كل ماقرأت من شعر العامية.

يقول الشاعر:

يا الله يافراج ياراع الافراج يا مبدِّل عسر الليالي بلين

تفرج لمن بيته على درب مسهاج كنه لحاله ماش حوله قطين

وليا سرى من عندنا كل هراج يازين طق ارقابهن هاضلين

وقولة هلا قدام يثنَنْ الأدراج　　من خاطر مافيه كَنَّه وشين

ومنارة خمة حطبها بالارواج　　ونار سناها يقعد النائمين

مع دلتين وسطها البن كدراج　　واربع طباخ تكيف المضرمين

وسريت يم مربية سمر الانعاج　　أسوم بالمعروف والله يعين

وليا فرضت له الثمن قال محتاج　　هذا ولد شاتي بدين سمين

أخذتها مالي من العذر منهاج　　يالله يالمولى لمثلي تعين

وليا تعشوا وانسمح كل بلاج　　عقب الشفاحة عودوا لليقين

وسوالف لين أول الصبح ينباج　　وتلاوذوا بظهورهن سارحين

ريح الشحم معهم يعجعج تعجعاج　　ومخضبات ارقابهن من يمين

هذه القيمة الاجتماعية التي أحسن الشاعر العامي وصفها وصور معاناته الإنسانية نحوها كان قد سبقه إليها الراعي النميرى قبل ألف وأربعمائة سنة وقال فيها مالم أطلع على أجمل منه في كل ما اطلعت عليه من شعر فصيح وعامي[1]، يقول الراعى:

عجبت من السارين والريح قرّة　　إلى ضوء نار بين فردة والرحى

إلى ضوء نار يشتوى القدَّ أهلها　　وقد يكرم الأضياف والقد يشتوى

فلما أتونا فاشتكينا إليهم　　بكوا وكلا الحيين مما به بكى

بكى معوز من أن يلام وطارق　　يشد من الجوع الأزار على الحشا

(١) قد يظن بعض الناس أن قصيدة الحطيئة (وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل). مثلها أو أجمل وليس الأمر كذلك لأن الحطيئة يقص قصة مبعثها الخيال والراعي يصف معاناة إنسانية وواقعاً عاشه مع ضيوفه وهذا ماجعل قصيدة الراعى أجمل وأصدق.

فألطفت عيني هل أرى من سمينة ... ووطنت نفسي للغرامة والقرى

فأبصرتها كوماء ذات عريكة ... هجاناً من اللائي تمتعن بالصوى

فأومأت إيماء خفياً لحبتر ... ولله عينا حبتر أيما فتى

وقلت له ألصق بأيبس ساقها ... فإن يجبر العرقوب لايرقأ النسا

فأعجبني من حبتر أن حبتراً ... مضى غير منكود ومنصله انتضى

كأني وقد أشبعتهم من سنامها ... جلوت غطاء عن فؤادي فانجلى

فبتنا وباتت قدرنا ذات هزة ... لنا قبل مافيها شواء ومصطلى

وأصبح راعينا بريمة عندنا ... بستين أنقتها الأخلة والخلا

فقلت لرب الناب خذها ثنية ... وناب عليها مثل نابك في الحيا[1]

وصفت هذه القطعة معاناة إنسانية يتكرر مثلها في حياة سكان الجزيرة وصورت المأساة التي تعرض لها طرفا القضية (الشاعر وأهل الحي) الذين لايجدون مايسد الرمق غير الجلود اليابسة يضعونها في الملة حتى تلين تحت الأضراس فيقتاتون بها، والركب الجائع الذي يضع الحجر الصلد ويشد عليه إزاره حتى تتقلص مسافة الأمعاء ليبقى له نفس يدرك به تلك النار التي شاهدها بعيدة فيتجه إليها مسرعاً ولم ينس الشاعر أن يضع القارىء في جو المأساة كما وقعت فالليلة مظلمة شاتية تتجمد فيها الأطراف، ثم يجسد الشعور النفسي لدى كل الطرفين عندما عرف كل منهما عوز الطرف الآخر. وكان لابد من البحث عن سبيل يخرج به من الأزمة منتصراً على الواقع والعار الذي كان من الممكن أن يلحق به لو ترك أضيافه يموتون جوعاً في بيته. ولم تطل حيرته حيث تصرف تصرف الأجواد فنحر للضيوف إحدى ركابهم وتكفل بالعوض مضاعفاً حاضراً وفي المستقبل بعد أن أقرى الأضياف وأطعم أهل حيه.

(١) ديوان الراعي، ص٥، ط١، ١٤٠١هـ ــ بيروت.

هذه المعاناة التي تعرض لها الشاعر العربي القديم ووصفها في هذه القصيدة الرائعة هي التي تعرض لها الشاعر العربي العامي السابق ذكره قبل سبعين عاماً فصور موقفه مثل صاحبه كما مرّ. فالمعنى الذي تعرض له الشاعران واحد وهو العوز والجوع ومفاجأة الركب الجائع لكل منهما بعد منتصف الليل طلباً للطعام في ساعة لايتأتّى فيها كثير خير. وكل منهما فقير معدم لايملك في منزله مايقدم لضيفه. وقد تطابق المعنى كل التطابق واختلفت طريقة العرض وتصوير أبعاد المشكلة وتقرير الواقع، فالنميري أعطى وصفاً مفصلاً «فكلا الحيين مما به بكى» وكلاهما لايجد مايطعم فالحي يشتوى الجلود والأضياف يشدون الحصى على بطونهم والطقس بارد يزيد ألم الجوع ويضاعف الحاجة إلى وجبة دسمة. بينما واجه الشاعر العامي المشكلة نفسها منفرداً فانكفأ على ذاته وصور معاناته الخاصة وتفرد بحمل آلامه ولم يشرك معه غيره وأهمل حال الطرف الأهم في القضية، ولم يعر الجو المحيط اهتماماً ولم يصف حال الركب القادم بعد منتصف الليل حتى يشد انتباه السامع المتابع للمشكلة مع العلم بأن كلا الركبين طالب للقرى حريص عليه.

وقد اتفق المعنيان والحالتان لدى الشاعرين فصورا قيمة اجتماعية مؤثرة تلامس وجدان المجتمع العربي واجتهد كل منهما في رسم الصورة وإجادة الوصف والتعبير عن خلجات الفؤاد فارتفعت لغة النميري فأحسنتْ رسم أبعاد الشعور الإنساني ولوّنتْ العواطف المرهقة تحت وطأة الزمن وقسوة الحياة، بينما أخل الشاعر العامي بعرض مشكلته وعجزت لغته عن التعبير الكافي وأعطى إشارة خففت شعور التعاطف معه حيث أشار إلى أن من حوله يُربُّون النعاج ويتجرون بها مما جعل العوز والفاقة شيئاً خاصاً به دون من يعيشون معه. أما النميرى فقد نفى أن يوجد في حيِّه من يستطيع المساعدة أو يملك القوت.

فإذا كانت قصيدة الراعي النميري تصور هذه القيمة الاجتماعية بهذا اللون المنفرد في التصوير فإن قصيدة رشدان بن موزة يتمة في الشعر النبطي

ولا أعرف لها مثيلاً وقد سألت من يعرف الشعر العامي فأقرَّ من سألت بتفوقها على كل شعر قيل في مضمونها، وهي من الشعر العامي القليل الذي صور قيمة اجتماعية راقية. والقصيدتان اتحدتا في المعنى ولكن لغة الشعر الفصيح أظهرت مكان القوة في اللغة العربية كما بينت ضعف العامية أمام حاجة التعبير.

المـــروءة :

المروءة اسم يجمع كل خصال الخير والكرم والشجاعة، وكل مايحب الإنسان أن يذكر به وهي في اللغة العربية لاتدل على معنى واحد وإنما تدل على قيمة اجتماعية هائلة لايمكن شرح معناها وتحديده. وهي في وصف الفضائل والشمائل المحببة مثل التقوى في وصف الأعمال الصالحة التي تجمع كل عمل طيب مرض، ولايستطيع الشارح أن يعطي أياً من هاتين الكلمتين معنى واحداً، ففيهن زخم هائل من المدلولات الجامعة لما لايمكن تحديده من المعاني. وإذا بلغ الإنسان الغاية في كل الخصال الحميدة وصف بالمروءة. فحرمة الجار والابتعاد عن الريبة وماقد يسيء إلى كل متذمم بذمام العربي، خصال من خصال المروءة وقيم اجتماعية محببة خلدها اللسان العربي وتحدث عنها ووصف الكثير منها، جاء على لسان حاتم الطائي وصفه لنفسه بالمروءة والكمال. وهو شاعر، والشاعر يسرع لسانه إلى كشف طوايا نفسه وجبلته وأخلاقه كما هي في حقيقتها لاكما يجب، وكانت نفس حاتم مجبولة على المروءة وأخلاق الرجولة الكاملة ولذا صور هذه الأخلاق في هذين البيتين يقول :

وماتشتكيني جارتي غير أنني ... إذا غاب عنها بعلها لا أزورها

سيبلغها خيري ويرجع بعلها إليها ... ولم تقصر على ستورها

هذه الخاطرة الكريمة التي سبق إليها حاتم الطائي في الجاهلية هي واحدة من مكارم الأخلاق التي أتي الإسلام ليتممها، وقد راودت نفس

شاعر عاش في بلاد حاتم قبل خمسين عاماً من زماننا هذا فحذا حذوه وقال في لغته العامية مثلما قال حاتم بلغته الفصحىٰ، فاتفق الشاعران على المعنى وبقي فضل السبق لحاتم، يقول العامي:

ماني على الجارة كثير التسرياع وإن غاب واليها عليها ألف أمان

إلا بجنب حاسبه سبعة أضلاع تاكل وتعط اللي لها من عوان

بيتان في بيتين لم يختلف منهما معنى واحد غير أن الأولين قيلا بالعربية الفصحىٰ ونظم التاليان بالعامية، ووصف كل من الشاعرين موقفه من حرمة الجار ووجوب المحافظة على السمو والمروءة ولولا معرفة بيئة الشاعر العامي لكان من السهل الزعم أن معناه هو معنى سابقه وأنه قد سرقه كاملاً وأفسده في لغته العامية التي انحطت به درجات دون المعنى الأول، لكنني على يقين بأن الشاعر الثاني لايعرف أن حاتم الطائي كان يقول شعراً مختلفاً في لغته عن الشعر الذي قاله هو، وفوق ذلك فهو لايميز بين فصيح اللغة وعاميِّها. ولكن المروءة التي أملتْ على حاتم هذا الموقف هي نفسها التي تمثَّلت بكل أبعادها لدى الشاعر العامى. وانبهار كتبة العامية وإحساسهم بتطابق معاني المروءة عند الشعراء العرب الفصحاء وعند الشعراء العرب العوام هو الذي جعلهم يقفون هذا الموقف عندما يحسُّون بزخات القيم الاجتماعية في معاني الشعراء ولم يميِّزوا الفارق بين اللغتين في تصوير هذه القيم.

الجـــــوار:

ومن القيم الاجتماعية الخالدة في حياة العرب قيمة الجوار التي انفرد العرب بتقديسها وجعلها فوق كل اعتبار. وقويت بواعث الإيمان بها مع الزمن حتى أصبحت رابطة الجوار أعظم من صلة القرابة وكثيراً ماضحى المستجارُ به، بالقرابة والنسب من أجل حماية الجار[1]. ولأن الجوار علاقة

(١) انظر فصلاً عقده فهد المارك في كتابه من شيم العرب، تحدث فيه عن حقوق الجار في الماضي والحاضر.

طارئة مرتبطة بأسبابها فإنها لا تدوم مع الزمن ولابد من إرتحال الجار وانتهاء مدة الجوار وعلاقته، عندئذ يصوِّر أحد الجارين شعوره نحو الآخر ويجسد فيه قيم المروءة من الثناء العطر والإطراء الذي لايشوبه نفاق، أو يصور لوعة الفراق وألم البعد. وهذا مثال جاء على لسان الشاعر العربي القديم، وهو الطفيل الغنوي ذاكراً الفراق ومايحدثه في النفوس من لواعج الحزن يقول:

جزاىٰ الله عوفاً من موالى جنابة ... ونكراء خيراً كل جار مودع

أباحوا لنا قواً ورملة عالج ... وخبتاً وهل خبت لنا متربع

نشق اللهاد الحوَّ لم ترع قبلنا ... كما شق بالموسى السنام المتلع

وقد علموا أنا سنأتي ديارنا ... فيرعون أجواز العراق ونرفع

وقد حاذروا ماالجار والضيف مخبر ... إذا فارقا كل بذلك مولع

وما أنا بالمستنكر البين إنني ... بذي لطف الجيران قدما مفجع

جديراً بهم من كل حي ألفتهم ... إذا أنس عزوا على تصدعوا[1]

موقف الطفيل الغنوي ولوعته من فراق الجار هو نفسه الذي حدث مع شاعر آخر[2] من بيئة الطفيل طرق المعنى بعد ذلك بأربعة عشر قرنا وأتى بما حملت أبيات الطفيل من المعاني ولكن بلغة عامية:

ياعمر رقي الرجم مافيه ثابه ... والولف يخلع بالجزم شمخ النيب

من شوفتي للدار ينعق غرابه ... ماباقى إلا موقد النار وحطيب

---

(١) ديوان الطفيل الغنوي، دار الكتاب ط١، ١٩٦٨م وأجل من هذه الأبيات أبياته في بني جعفر التي لم يقل شاعر عربي أو عامي أجل منها ولكنني فضلت اختيار هذه الأبيات عليها لتشابه معناها مع معنى الأبيات العامية التي ستأتي.

(٢) عياد الخمعلى من شمال الجزيرة العربية، انظر ابن فهيد، منديل، من أدابنا الشعبية. جـ١ ص١٩٨.

يـادار يـادار الخـطـأ والخـيـابـه يـاموقع الحقران والمكر والعيب

طـشـيـتـى الخلان طش الكعابة يـادار يـادار الخنا وين أبو ذيب

وهنا سأترك المقارنة بين النصين لفطنة القارىء ولكن هل يجد مروجو العامية حجة أقوى مما نأتي لهم به؟ ونطرح أمامهم من صور العطاء في كلا الفنين من الشعر مبيِّنِيْنَ أن الشعر الفصيح سبق إلى كل ما أتىٰ به الشعراء العوام من معاني كريمة وقيم تستحق البقاء.

واحترامنا للذين أبدعوا هذه القيم عندما لم يعرفوا لغةً غير العامية لا يجعلنا نبقي هذا الاحترام ولانقرُّ بدعوى المثقفين العوام الذين لايبدعون الشعر ولايأتون بمعنى وإنما يريدون أن يركبوا موجة العامي و يسخروا مافيها من جمال لأغراض تضر بنا وتسيء إلينا وتقودنا إلى الوقوع في الفخ الذي يضعه لنا أعداؤنا.

اللغة والفكر :

وليس غرض هذا البحث أن يجري موازنة بين الفصيح والعامي فليس هذا داخلا في حسبان هذه الدراسة ولاهي محتاجة إليه ولكن يحسن بنا إيراد بعض الأمثلة في سبيل الرد على من يظنُّون أن القيم الاجتماعية قد انفرد بها الشعر العامي وماكان من غرضنا استقصاء جميع الأغراض الفنية التي عبر عنها الشعراء في الفصيح والعامي وإلا لأتينا بكل فن من فنون الشعر وأغراضه التي جاءت على ألسنة العامة وما يشبهها أو يطابق معناها من تلك الفنون التي جاءت في شعر العربية الفصيح، ولعل هذه الأمثلة الثلاثة تكفي لبيان ماتهدف إليه فكرة المقارنة بينها وهي بيان مايحتويه، أدب الفصحىٰ من معان لايرقى إليها أدب سواه، مع الإقرار بتداول المعنى وروده في الشعر العامي. ولعل الذين وصفوا الشعر العامي بالصفات السابقة وألصقوه بالشعر الفصيح وخلعوا عليه صفات الحمد والثناء والتبجيل قد وجدوا التطابق في المعاني والأغراض التي حواها كلاهما. ولم يميزوا بين شيئين هما موضع الاعتراض على تقديس العامية:

الأول : اللغة التي نظم بها الشعر العامي وهي بعيدة عن اللغة الفصحىٰ واستمرار النظم بها قد يؤدى على المدى البعيد إلى اعتبارها لغة مستقلة بذاتها عن العربية الفصحىٰ وهذا أمر محتمل الحدوث لما نرى في اللغات التي انشقت عن اللغة الأم ثم مالبثت أن استقلت عنها.

الثاني : الفكر الذي تنقله اللغة العامية إلى الناس، والذي ينمو بنمو هذه اللغة مما يحتويه الشعر العامي، هذا الفكر قائم على نظرة إقليمية محدودة، لامكان لها في المجتمع الذي يحاول أن يوطد لبناء فكري لأمة واحدة لا تكرس في أذهان ناشئتها المفاهيم والأفكار الطبقية والإقليمية

وغفلة محبي العامية عن هذين الأمرين هي التي جعلتهم يندفعون إليه و يبالغون في نشره والعناية به، مقدرين القيم الاجتماعية التي جاء بها ظانين أنها جديدة على فهم العرب طارئة عليهم مضيفة شيئاً مهماً إلى حياتهم الفكرية أو إلى أخلاقهم. ولهذا السبب وصف بعضهم الشعر العامي بأنه رافد من روافد المعرفة وأنه يضيف إلى فكر الأمة وأدبها جديداً لا يستغنى عنه وما يعنون بذلك غير ما أحسوا به من معان سجلها الشعر الفصيح منذ فجر تأريخ اللغة العربية و بداية شعرها بلغة عربية فصيحة راقية لايحتاج الإنسان إلى ماهو دونها في الأداء والعطاء والجودة ولايحتاج إلى أى ضرب من التعبير عن المعاني المكررة في اللغة الفصحىٰ المطروقة عند العرب المسجلة في دواو ين شعرهم والتي يستطيع أن يحفظها الناشئة بلسان الأمة كلها لابلسان فئة منها، ولايحتاجون إلى الارتداد وتمثل المعاني نفسها في لغة عامية ركيكة. فكان علينا أن نبيِّن لأصحاب الميل إلى العامية أن المعاني التي يحرص عليها الإنسان في حياته و يود أن تسود في مجتمعه قد وجدت وسادت في الشعر العربي بلغته الفصحىٰ قبل أن توجد في الشعر العامي بلغته الدارجة.

الفصل التاسع

العامية والإعلام

وبالرغم من زخم التوجه العامي والانصراف إلى تمجيد أدبه وفكره فقد ارتفعت أصوات الأدباء والمفكرين وأهل الرأي تعارض نشاط وسائل الإعلام في نشر المادة العامية، وتنبه إلى الخطر الذي قد يصيب ثقافة الأمة ولغتها من جراء الاهتمام بالعامية وإغفال جانب البناء المتوازن في صرح الثقافة العامة.

وقد صدع أكثر من كاتب وعالم وشاعر وأديب بآرائهم ومواقفهم من العامية وأعلنوا النقد وبينوا الخطأ ولاموا وسائل الإعلام التي بدأت تفسح المجال للنشاط العامي، وأظهروا غير قليل من القلق على مستقبل الثقافة إذا سارت وسائل الإعلام سيرتها في تشجيع العامية والنشر بها وتمكين الناس من تداول مادتها عبر وسائل التثقيف المشترك بل ذهب بعضهم إلى أن وسائل الإعلام أخذت تفرض سماع العامية على ذوق مستمعيها والمتابعين لها حتى وإن لم يكونوا ممن يستسيغ المادة العامية المذاعة، متجاهلة بذلك رغبة المستمعين، غير عابئة بهم، وفرضت عليهم ماتريد طرحه لامايريد المستمع متابعته، يقول أحد الكتاب[1]:

«أعترف في البداية أنني من محبى الشعر الشعبى «قديمه» وأحفظ كثيراً لأعلامه البارزين وشعرائه المبدعين وأثق أنه تراث كبير يحفظ لنا أشياء كثيرة من ماضينا وسلوكياتنا ويؤرخ لحقبة زمنية مرت بنا. غير أن ما أرغب

---

(١) يحسن التنبيه إلى أننا هنا ننقل النص في كل ماسبق وماسوف يلحق كما جاء عن صاحبه دون تدخل في اللغة أو الأسلوب رغم ماقد نجد في هذه النصوص من خروج عن الاستعمال الصحيح أما الخطأ النحوي والصرفي فنصلحه.

طرحه هنا هو هذا الزخم المتعب المرهق الذي بدأت القنوات الإعلامية الثلاث توافينا به صباح ومساء، إلى جانب ضعف التفكير والرؤية والطرح وضعف التعابير والكلمات التي يتضمنها هذا الشعر، نفتح الراديو فنسمع شعراً شعبياً فيه كل شيء إلا مسألة الشعر، **نفتح التلفزيون** فنجد من يلقي قصيدة شعبية أسميها قصيدة تجاوزاً، بعضهم يلقي و يكرر في قصيدته أكثر من عشرين دقيقة واسمه مطروح على الشاشة **نأخذ الجريدة** فلا نكاد نجد عدداً واحداً يخلو من قصيدة شعبية... إنني أشفق على جيل سيظن أن كل هذا الاهتمام بهذا النوع من الشعر لم يتأت إلا لأهميته وتتعود أذنه ويستسيغ ذوقه هذه النوعية)[1].

ولم يكن الرأي الذي طرحه الكاتب والنقد الذي وجهه لوسائل الإعلام هو الوحيد، بل هناك من الآراء ماهو أقوى منه لهجة واحتجاجاً وأكثر إيضاحاً لبيان مايترتب على موقف وسائل الإعلام هذا.

يقول أحدهم:

(إن الإصرار على حضور الشعر العامي في الساحة التعبيرية بكثافة وتوفر الأقلام المدافعة عن تكثيف تواجده حتى الغثّ منه والأصوات المتحفزة لاحتضانه وتمكينه من الانتشار بما فيه من انكسارات وتشنجات وعيوب كل هذه الأشياء مجتمعة تبرهن على ترسيخ جذور العامية... والتشبث ببقاء العامية يرسم أمامنا تساؤلاً متوقعاً من عدم استعمال العامية أسلوباً عاماً للتعبير والتناول بحجة أنها أسلوب للتخاطب والتفاهم بين فئات المجتمع المتباينة... وتختلف القنوات الإعلامية عن التمكن من تصحيح الآراء الخاطئة والرؤى القاتمة والمفاهيم المعكوسة.. والإرتكان إلى التعبير باللهجات العامية إسفاف ونزول عن ألق هذه التوجيهات السامية وقناعة بما هو أدنى عما هو أسمى ورضا بسلوك الطريق الخاطىء عن انتهاج الطريق السوي القويم

---

(١) الراشد، فهد راشد، لا للشعر الشعبي، الجزيرة، عدد ٤٥١٦ في ١٤٠٥/٥/١٨هـ.

ومايختلق له من مبررات لا تتجاوز حدود الجدب والإمحال ولا تتخطى أبجديات الرؤى العاطفية والقناعات الوراثية العاجزة عن الابداع أو التي لاجذور لها في كيان التراث الراقي إننا نخشى أن نتمادى في التهاون بأمر اللغة العربية الفصحىٰ فيأتي من يطالب بقوة باستعمال العامية في الكتابة النثرية لأنها أولى من الكتابة الشعرية... ومما يؤسف له أن الصحافة هي التي تتبنى رعاية هذه الدعوة المشوهة وتخصص لها صفحات مستقلة بحجة المحافظة على الأصالة والتراث، وأية أصالة وأى تراث هذا الذي يدّعون... إن السبب هو الصحافة **والوعي المحدود**)[1].

و يقول كاتب آخر، وهو من أدباء، الرعيل الأول «لكن الشيء الذي يلفت النظر حقاً هو تسليط الأضواء على الشعر العامي في السنوات الأخيرة من قبل وسائل الإعلام **المقروءة والمسموعة** في المملكة ودول مجلس التعاون الخليجي بصورة ملفتة للنظر على الرغم من وجوده في قلب الجزيرة العربية منذ زمن طويل. هذه الظاهرة التي يجب أن تناقش في مناظرات وندوات عامة ليتعرف الشباب على الحقيقة»[2]. و يستطرد برأيه الجريء الواقعي فيقول: (أما الحقيقة فهى وجود شعر عامي معروف له أعلامه المبرِّزون فيه قديماً وحديثاً وله تأثير في نفس المتلقي لكن الباطل هو تسفيه رأي معارضيه ومحاولة تسليط الأضواء على هذا الشعر في جميع وسائل الإعلام حتى وإن كان غثاً هزيلاً لاقيمة له تأريخياً واجتماعياً... وإنشاء الديوانيات والمنتديات للإشادة بشعراء محدثين وتشجيع الشباب على تقليده ومحاكاته. قد يكون الشعر العامي مجالاً لدراسة أكاديمية تراثية وقد يكون مجالاً لبحث أدبي مقارن للتعريف بأعلامه المبرِّزين فيه وهو عمل لا اعتراض عليه، إنما الشيء الذي لايقبله العقل هو طغيانه في **وسائل الإعلام** بصورة توحي بالمراهقة وتخلف الذوق الأدبي العام)[3].

---

(١) الحميد، عبدالله سالم ، كابوس الكتابة بالعامية، الدعوة في ١٤٠٤/٣/١هـ.

(٢) العيسى، مقبل عبدالعزيز، عن طغيان الشعر الشعبي، الجزيرة، عدد ٣٩٨٨، في ١٤٠٣/١/٢٢هـ.

(٣) المصدر السابق.

إذا كانت الآراء السابقة قد عممت الحديث عن وسائل الإعلام كافة وبيَّنتْ الخطأ الذي ترتكبه هذه الوسائل بحق الأمة وبحق الثقافة التي أؤتمنت عليها وبحق المستمعين الذين لايملكون أمام سلطانها غير التسليم لها، ولرغبة الشباب الذين يولّون أمرها فيفرضون على الأمة مايريدون هم لاماتريد هي، ومايسهل عليهم تقديمه وملء الوقت به لامايَنفع فإن هناك آراء كثيرة وجهت لومها إلى الصحافة خاصة وأظهرت غير قليل من الإعتراض على فتح الصحف السعودية أبوابها للفكر العامي وتقديمه للقراء دون استئذان.

يقول أحد هذه الآراء: (إن موجة التطبيل والتصفيق لهذا الشعر العامي المعاصر يجب أن تتوقف، ويجب أن تقفل أبواب الصحافة في وجهه وألا يكون له على مجلاتنا وجرائدنا هذا الذيوع والانتشار، ونحن أمة نعلّم العربية الفصحىٰ للعرب ولغير العرب من المسلمين ونقف ضد إحياء لهجات عامية مستهجنة مرذولة، مخافة أن تطغى على معين اللغة الفصحىٰ وماخدمة الشعر العامي المعاصر وتأييده وتشجيعه على صفحات جرائدنا السيارة أو في مجلاتنا... إلا أكبر عامل هدم وتقويض لأركان الفصحىٰ)[1]. وبعد أن أطال الحديث عن الشعر العامي ومايجب نحوه ذكر الإستثناء الذي ذكرته أكثر الآراء التي تعرضت للشعر العامي والفصيح وهو الإقرار بشيء من المحافظة على الشعر العامي الذي قيل قبل توحيد المملكة وقبل إنتشار التعليم فقال: (إن الآباء والأجداد الشعراء رحمهم الله كانوا يتمنَّون أن ينظموا بالفصيح، والدليل على ذلك أن الشاعر منهم لايكاد يحفظ بيت شعر من الفصيح أو شطر بيت لشاعر جاهلي مثلاً إلا ويحاول إيجاد المناسبة في قصيدة له لكي يضمنه إياها لأنهم أكبر عقولاً وأرفع ذوقاً، أعود فأقول: يجب أن تقلل صفحات الشعر العامي لتقتصر على دراسة شعر الأجداد)[2].

---

(١) اللعبون : عبدالمحسن بن ابراهيم، تلك هي القاصمة، الجزيرة عدد ٣٩٩٦ في ١٤٠٦/١١/٣٠هـ.

(٢) المصدر السابق.

ولا تقف المعارضة عند حد النشر للعامي بل تُحدد المجال الذي يعمل فيه العامي والمجال الذي يجب أن يبتعد عنه، يقول أحد الكتاب في معرض نقده لبعض برامج الإذاعة المقدمة بالعامية: (لايجب إعطاؤه الإهتمام الزائد والمفرط بحيث أصبحت أفضل برامجنا تقدم باللهجة العامية و يتسابق المطربون إلى تأدية الشعر العامي: **وصحافتنا تبرزه** من خلال صفحات ثابته، هى عبث أطفال ومراهقين... أما أن يكون أدب أمة يصدر و يفرض على القارىء والمستمع ليكون الإنحدار والعودة إلى عصور الإنحطاط) [1]، فلا).

و يقول آخر: (أحذِّرُ من وجود صفحات أسبوعية للشعر الشعبي فهي نافذة للهدم وليس للبناء... والجامعات قد أوجدت للقضاء على اللسان الشعبى والارتفاع باللسان العربي إلى مستوى لغة القرآن ومع ذلك توجد صفحة اسبوعية أو صفحتان للشعر الشعبى وذلك ما اعتبره وسيلة هدم وليس وسيلة بناء خاصة وأن كثيرين من كتاب هذه الصفحات لايرقون إلى مستوى أقل الشعراء القدامى و بعضهم يعتمد على أفكار الشعراء الآخرين فتجد أن شعره صورة مطابقة لشعر من سبقوه مما لايضيف جديداً إلى الأدب ولايرتفع بمستوى الأدب الشعبي) [2].

وكما سبقت الإشارة فإننا نمثل بعدد من الآراء ولانستطيع الحصر والإستقصاء لكل ماطرح في وسائل الإعلام حول الشعر والفكر العامي في جانبيه المؤيد والمعارض وقد أخذنا أمثلة محددة للمؤيدين للشعر العامي وكذلك أفسحنا المجال لنماذج من الآراء المعارضة لانتشاره. ولانريد أن نطيل في إيراد الآراء المتكررة فكرة وموضوعاً، ولذا سأكتفي بالنص الآتي للتدليل على موقف بعض المفكرين والأدباء ممن يرون في الاهتمام بالعامية خطراً على الأمة يقول الكاتب: (تقوم الآن معركة حامية الوطيس بين أنصار

---

(١) الشقحاء، محمد المنصور، إنها العربية المنهل الشافي، الجزيرة، عدد ٣٩٧٣، في ١٤٠٣/١١/٧هـ.

(٢) الصالح، أحمد، قراءة في مكتبة، الجزيرة، عدد ٤٣٩٧، في ١٤٠٥/١/١٧هـ.

العامية وبين أنصار لغة الحق لغة القرآن الكريم. والمعركة التي أعنيها هي المعركة القائمة في أمر هذا الشعر الشعبي الذي ابتلينا به في السنوات الأخيرة على صفحات صحافتنا، أمر غريب فلأول مرة في تأريخ هذه الصحافة تفرد الصحف المحلية صفحات خاصة لشعر كتب بلهجة عامية. وأنا أذهل حقاً كيف تفرد الصحف جميعها للعامية صفحات خاصة، بل لقد بلغ أن ماينشر من هذا الشعر الشعبى أو النبطى أو العامي أكثر مما ينشر من التراث الشعر العربي الفصيح، القديم، وقد زاد الطين بلة أن قام مجموعة من الشباب بقرض هذا النوع من الشعر إذا صح التعبير)[1].

(١) التونسي، طاهر دكتور ــ صحافتنا والشعر الشعبى، الندوة، عدد ٧٤٤١ في ١٤٠٣/١١/٢٣هـ.

الفصل العاشر

المفكرون والعامية

كان لابد لهذا البحث من الوصول إلى نتيجة لا تقوم على هوى الباحث أو ميله ولاموقفه الشخصي بقدر ماتقوم على استقراء الآراء المطروحة في وسائل الإعلام تلك الآراء التي جعلت أمر العامية قضية تحتاج إلى مثل هذا البحث. وقد سبقت الإشارة إلى أن الشعر العامي وجد في الجزيرة منذ مائتى عام أو تزيد ولم يعترض على وجوده أحد ولاعلى إنشاده والحديث فيه أو عنه. وعندما تحرك الاهتمام به شعراً وأدباً بلغته العامية واتُّخِذَتْ وسائلُ الإعلام ميداناً لهذا الاهتمام جاءت الحاجة الملحَّةُ إلى تقويم الاهتمام بالعامية ومايكتب بها ومدى أثر ذلك على ثقافة الأمة العربية وعلى مايلامس الثقافة و يرتبط بها من علاقات إجتماعية وفكرية وسياسية لايمكن فصلها عن المحور الأساسي وهو اللغة التي تؤدى بها هذه الأغراض. ورأي الباحث لايكفي، كما أن ميله لايصبح حجة تقوم بها دعواه ولهذا فسيستعرض البحث عدداً من الآراء حول مضامين الفكر العامي في لغته العامية وماقد ينجم عن ذلك من نتائج، ومن هذه الآراء رأي يقول: (هذا الكلام الذي يسمى شعراً والصادر عن بعض الشباب في هذا العهد الحافل بالجامعات ودور العلم والمكتبات هذا بلاشك سيؤثر على اللغة فلا تقيد باللغة العربية ولابنحو ولاصرف. ومن يدافع عن الشعر الشعبي حالياً فإنما هدفة انتصار لرأي ليس إلا، فنحن في هذه البلاد المقدسة دعاة وأصحاب رسالة ومسؤولية أمام الله على ديننا ولغتنا العربية التي هي لغة كتاب الله، ومن الخطأ أن نندفع وراء هذا الهراء)[1].

ومع الرأي السابق، نورد رأياً يسانده و يتفق معه ويجعل الاهتمام بغير

(١) ابن حميد، محمد عبدالله، قراءة في مكتبة، الجزيرة، عدد ٤٥٤٤ في ١٤٠٥/٦/١٧هـ.

اللغة العربية إحدى مصائب الأمة، يقول: (والمصيبة الأخرى التي تعاني منها أمة العرب اليوم، واللغة العربية بالذات هي تلك الدعوات المشبوهة والحملات التي تنادي بأعلى صوتها... بأن يتربع الشعر العامي محل الشعر العربي الفصيح)[1].

وإذا كانت بعض الآراء أظهرت الانطباع الذاتي نحو هذه القضية، فإن البعض الآخر تناولها بتحليل علمي وعقلي كما جاء في هذا النص الذي يعد خلاصة رأي عالج فيه الكاتب المشكلة التي تعاني منها الشبيبة وتعاني منها الأمة فقال: (والجواب أن الضرر حاصل لامحالة مهما تصورنا بُعْدَ ذلك وفق قوانين صراع اللهجات، ومهما خيل إلينا من أن فنون الشعر العامي تقوم على أساس لغة الحديث التي تختلف عن لغة الآداب، لكن هذا الضرر لن يتحقق إلا عندما يبدأ الاهتمام بآداب اللغة العامية وتنشيط الدراسات حولها ونصبح نتحدث عن بلاغتها وقواعدها ودقة خصائص بعض تعابيرها)[2].

وقد حدث شيء من ذلك الاهتمام بآداب العامية والتفقه فيها وخصصت لها المناهج والدورات التدريبية[3] وقامت المؤسسات الخاصة باحتضانها. وقد تنبه بعض الأدباء إلى الفرق بين الإعجاب بالعامية وتذوقها من جهة، وبين الاهتمام بها من جهة أخرى، فجاء رأيه صريحاً في الإحساس بواقع الجمال، فقال: (أنا ممن يقرأون الشعر الشعبي أكثر من الشعر العربي وأحس بلذة في قراءته وأحب أن أستمع إليه ومع ذلك أتمنى من قلبي لو لم يشجع كل هذا التشجيع، فتشجيعه يأتي على حساب اللغة العربية)[4].

---

(١) شباط، عبدالله، مقابلة معه في الرياض الأسبوعي، الرياض الاسبوعي ٥٨٢١ في ١٤٠٤/٩/١هـ.

(٢) ابن رويشد، عبدالرحمن بن سليمان، الشعر العامي ورؤية جديدة، الجزيرة، عدد ٤٣٩٩، في ١٤٠٥/١/١٩هـ.

(٣) انظر الخبر الذي أعلن عن تنظيم «دورات في جمع التراث الشعبي بدول الخليج، الجزيرة عدد ٤٧٨٠ في ١٤٠٦/٢/١٦هـ.

(٤) النعيم، عبدالله بن عبدالعزيز، ضيف الجزيرة، الجزيرة عدد ٤٤٦٧ في ١٤٠٥/٣/٢٩هـ.

ترى ماالذي جعل هذا الرجل لايود أن يشجع الشعر الذي يحبه و يقرؤه و يستمع إليه أكثر من الشعر العربي؟ ومع ذلك يتمنى من قلبه ألا يشجع هذا التشجيع، إنه يعرف مايعني تشجيعه و يعرف مايعني الاهتمام به ولذا خشى الإنطلاق الأرعن نحو العامية. ومثل هذا الرأي الصريح الصادق رأي نورده بصراحته وصدقه وواقعيته، وهو مع (الشعر العامي وليس مع الطرح الجديد له، يقول: (أتابع معركة الشعر الشعبي و باديء ذي بدء فأنا ضد تأليه الشعر الشعبي وضد الصنمية... أنا مع الشعر الشعبي كفنٍ ضمن فنون هذا الوطن وضمن محفوظاته وكنوزه، لكنني ضد تحوله إلى «مصل» يتصور أتباعه ومريدوه وطالبوه أنه سينقلنا من النمو إلى الكمال ومن زمهرير الشتاء إلى إعتدال الربيع، وأن مائة قصيدة ستساهم في الحد من نضوب النفط، أنا ضد الشعر الشعبي حين يتحول إلى **مقرر يومي تلقيه علينا صباح مساء سبع صحف يومية** بما فيها الصادرة باللغة الانجليزية، إضافة إلى صحف مجلس التعاون الخليجي ومجلاته. وأعتبره عامل هدم حين تعطيه هذه الصحف أهمية تتضاءل أمامها أهمية التوعية السياسية والاقتصادية والبترولية، أنا ضد الشعر الشعبي... حين يتحول إلى معلقات إرتزاق وقصائد فسيخ وضده حين يكون هو الأدب المعبر عن هذه الأمة تراثاً ونموذجاً تفاخر به الأمم، وضده حين يكون وسيلة ظهور للأميين وأشباه الأميين يتقدمون إلى الصفوف ليسقونا لبن الحضارة) [1].

الإعتراض جاء في هذا الرأي موضحاً أسباب الموقف الذي لايقبل أن يوضع الأمر في غير موضعه، فهو ضد الشعر الشعبي لأنه خرج عن حدوده المقبولة ولأن الصحافة كما يقول جعلته أحد المقررات اليومية. ومثل هذا الرأي رأي أديب آخر يعترض على تسميته بالشعر الشعبي و يدعي أن الاسم الشعبي اسم ينطبق على غير هذا الفن يقول: (اللغة العربية أحق أن تسمي اللغة الشعبية لأنها للشعب كله سواء كان ذلك على المستوى المحلي أو على

---

(١) العمير، عثمان، في معركة الشعر الشعبي، الجزيرة، عدد ٤٠١١، في ١٤٠٣/١٢/١٥هـ.

المستوى العربي ثم على المستوى الإسلامي. الذي نسميه الآن الأدب الشعبي أرى أنه أدب العامة لأنه كما نرى معروف لقطاع من المواطنين السعوديين، وقد لايعرفه الأخرون في بعض الأجزاء من المملكة، ولست ضده إذا بقى في نطاقه الضيق وبقي تابعاً للغة العربية، لامنافساً لها ولاصاداً للناس عن الوصول إلى المعرفة عن طريق الفصحىٰ، أنت تتساءل عما إذا كنتُ من المادحين أو القادحين بالنسبة لأدب العامة. وأنا أقول لك بصدق: إن الموضوع بالنسبة لفهمي في هذا المجال ليست المسألة مسألة مدح أو قدح. المسألة مسألة حياة أو موت بالنسبة للغة أمة تتطلع إلى أن تصل مكانها اللائق بها بين أمم الأرض. فإذا كانت العاميات تنداح وتتسع رقعتها وتسكن في رؤوس الناس لتنزلق على ألسنتهم عند التعبير عن آرائهم فأين مكان اللغة العربية؟؟)[1].

لا أجد زيادة على توضيح فكرة الكاتب التي جلاها وعلل أسباب اعتراضه على اللغة العامية وجعلها بالنسبة له خياراً بين شيئين موت العربية أو بقائها. ومثله في معناه قول جاء على لسان كاتب آخر يقول: (تابعت ماينشر... من نقاش وأفكار حول الأدب الشعبي وضرورة المحافظة عليه، بل والتوصيات المتكررة بإقامة ندوات وحلقات للاعتناء به. إنه لاغضاضة من ذلك ولكن الغضاضة أن يتحول كل ذلك إلى شن حروب ضد الأدب الفصيح والشعر الفصيح مما ينتج عنه مغالطات ينبغي أن نترفع عنها ونحفظ للفصحىٰ مكانتها وللأدب الفصيح منزلته... إن تقوية اللهجات العامية سوف يساعد على إيجاد إنفصال كبير في الذات العربية وهو خطر على الهوية العربية)[2]

أما النص الآتي فيتصف بهدوء الرؤية وواقعية الطرح العلمى لقضية

---

(١) المشعان، محمد بن سعد، اللغة الأم، الرياض، عدد ٦٠٥٢ في ١٤٠٥/٤/٢٦هـ.

(٢) العليان، حمد، حتى لاتكون العربية كاللغة اللاتينية، الجزيرة، عدد ٣٩٨٨ في ١٤٠٣/١١/٢٢هـ.

العامية والفصحىٰ و يبعد عن جذب العاطفة إلى الموقف الذي يريد الحديث عنه فيقول: (يجب أن نعيد النظر في موضوع الاهتمام المتزايد بغثه ــ يعنى الشعر العامي ــ ورديئه من وجهة نظر موضوعية، فنحن مع القائلين بخطر العامية على اللغة العربية الخالدة، الوعاء الحقيقي لحضارتنا الإسلامية الخالدة والسلاح الثوري الذي صمدنا به في وجه كل محاولات الدس والتشكيك في مقدرتها على استيعاب مفاهيم العصر الحديثة ولا أشك أن من يدعو إلى العامية في شكل شعر شعبي أو زجل أو شعر حديث أو ماشابه ذلك وعن طريق وسائل إعلام رسمية مقروءة ومسموعة ومرئية لايدرك أبعاد وخطورة ذلك على اللغة العربية) [1].

ولانريد أن نقفل هذا الباب قبل أن نختمه بهذا النص الذي يرى أن العامية مرتبطة بفكر وليست مجرد هواية و يزعم أن هناك صلة بين سطحية الثقافة وضعف اللغة و يربط كل ذلك بالدعوة إلى العامية في البلاد العربية الأخرى فيقول: (وعلينا أن نتنبه و بشدة إلى أن انتشار التفاهة والسطحية واللامبالاة الثقافية بين الشباب وانشغالهم بوسائل الترفيه البعيد عن كل معنى ثقافي وفكري من شأنه إضعاف اللغة العربية التي هي محتوى ثقافتنا وفكرنا، وهذا سيسهل بالتالي لدعاة العامية والحرف اللاتيني نشر دعوتهم بين بعض الأوساط بحجة أن اللغة الفصحىٰ لم يعد يعايشها الشباب في حياتهم الواقعية) [2].

إذن المرمىٰ البعيد لانتشار العامية كما يرى الكاتب هو أولاً إضعاف الثقافة وعندئذ يضعف تحصيل الشباب في اللغة العربية مما يسهل إجتثاثها وإحلال العامية محلها بحجة أنها لم تعد لغة ثقافة حية يعيشها الناس في واقعهم، وهذا يسهل القضاء عليها ويجعلها قابلة للتنحي عن وظيفتها فتكون العامية هي البديل.

---

(١) العبادي، أبو هاني ــ دكتور ــ رأي آخر في الشعر الشعبى.

(٢) الأنصاري، محمد جابر ــ دكتور ــ الكشف عن خطة لإلغاء الحرف العربي، الرياض الاسبوعي، عدد ٥٥٩١ في ١٤٠٤/١/٨هـ.

مصير الشعر العامـــي :

كـان الـسؤال المـطروح الذي يبحث عن إجابة معقولة في قضيَّة العامية والفكر العامي هو: ما مصير الشعر العامي (النبطي) إذا أهملناه ولم نهتم به؟. وكـان هذا البحث منذ بدايته يحاول لمّ شتات الآراء وجمع الأفكار والتوفيق بين المواقف المتابينة ليجد الإجابة المعقولة لهذا السؤال المعقول أيضاً.

وقد عـرض البحث أكثر من جواب ونقل عن عدد كبير من الذين أدلوا بـدلـوهـم في هذا الموضوع وخلص إلى أن الشعر النبطي العامي كان له دور لـعبـه فيما مـضـى عـنـدمـا كانت الأمية منتشرة في الأمة يوم كان لايستطيع أهـلها التعبير عن خلجات نفوسهم إلا بالشعر العامي في حين كانت بواعث الـشعر موجودة قائمة في النفوس. وإن هذا الشعر العامي (النبطي) الذي قيل قـبـل تـوحـيـد المـمـلـكـة العربية السعودية كان شعراً يستحق العناية والحفظ والـرجـوع إلـيـه لـلـبـحـث فـيـه عـن بـعـض الإشـارات والقصص الاجتماعية والـفـضـائـل الإنـسـانية والبطولة العربية باعتبار أنه يمثل ثقافة قبليَّة وإقليمية كـانت موجودة مفروضة على واقع حياة المجتمع في بعض أجزاء الجزيرة قبل مـولـد أمـة تـبـنـي للتأريخ المشترك وتسعى لترسيخ وتقوية مفهوم الأمة وترفع شعار الدولة، ولم يكن هناك اعتراض على العناية بشعر تلك الفترة. وقد جمع أغـلـب الـشـعـر الـعـامـي الـذي تـنـاقـلته الرواة وحصر في مجموعات شعرية ودواوين قـبـلـيَّـة أو اقـلـيميَّة أو شخصيَّة مضت الإشارة إلى عدد كبير منها، وأماكن وجودها وأن بعضها منشور، والآخر محفوظ، وهو في متناول الباحثين والمـهـتـمين بـدراسـة أحـوال الجزيرة العربية في الفترة التي انتشر فيها الشعر الـعـامـي ومـثـلما أجمعت الكثرة من صفوة الأدباء والكتاب والمهتمين بالشعر الـعـامي على أن ماضي هذا الشعر أمر لابأس من الاهتمام به وحفظه، أجمع الـنـاس كـلـهـم حتى محررو الصفحات الشعبية على أن الشعر العامي الذي يـنشر فـي الـصـحـف فـي الـوقـت الحـاضر «غـثٌّ» و«هـراء» و«فاسد»[1]

(١) الكـلـمـات التي بين الأقواس نصوص لمحرري الصفحات الشعبية جاءت في معرض النقد للشعر العامي الحديث.

و يسيء إلى الشعر العامي نفسه، وأن الأفضل أن ينظر في أمره ولايترك له الانتشار الذي يضر بسمعته و يضر بمكانة الشعراء و يشكل خطراً على الثقافة العربية والفكر العربي و يضر بلغة الأمة و يثير النعرات الإقليمية في نفوس أبناء الوطن الواحد.

ونتيجة البحث التي وصل إليها هي أن هناك نوعين من هذا الشعر شعر قيل قبل توحيد المملكة العربية السعودية ونظمه الشعراء العاميون الذين لايعرفون غيره ولايحسنون سواه. وهذا الشعر كان نتاج البيئة التي عاشها بعض سكان الجزيرة وفيه تصوير للحياة التي يعيشها البدو والفلاحون من بعض أهل الجزيرة. وظروف نشأة الشعر في ذلك المجتمع وإقباله على العامي ظروف مختلفة كل الإختلاف عما نحن فيه في وقتنا الحاضر، والبواعث إليه ذاتية إنسانية إنطلقت من حاجة الإنسان العامي إلى التعبير عن صورة الحياة التي يعيشها و يعاني قسوتها. فكان الشعر ذوباً لنفس الشاعر ومعاناته لأنه يصف عملاً قام به أو رآه أو إنفعل بأحداثه فعكست التجربة الذاتية الطعم الخاص الذي لوّن الشعر العامي القديم بلون جعل قراءه يدركون قيمته إذا كانوا ممن يعرف لغته التي ينظم فيها.

أما النوع الثاني فهو يختص بالحديث الجديد من الشعر العامي، فهذا النوع هو نتاج بيئة مختلفة عن بيئة الشعر العامي القديم. وهي بيئة حضارية ثقافية، فيها الكثير من الوعي والفكر ويحيط بمبدعيه في الوقت الحاضر الكثير من المؤثرات في حياتهم التي لاتجعل لشعرهم طعماً أو قيمة كقيمة سابقة. ولايكون الشاعر العامي الذي ينشد اليوم شعره في المذياع والفيديو والشريط المسجل مؤثراً في نفس المتلقي لأنه ينشد شعراً تتلقفه أرقى وسائل التقنية الحديثة بينما يحاول منشده أن يصور حياة مختلفة ولغة وأسلوباً لم يعد لها في حياة الناس وجود. ومن المستحيل أن يقنع شاعر العامية الحاضر أحداً بأنه ينطلق من منطلقات التجربة الذاتية أو المعاناة التي يعبر عنها في شعره إلا في فن واحد وهو فن الغزل وهذا الفن هبط به شعراؤه إلى

إسفاف مادي ووصف مرذول جعل الحريصين على العامية يثورون ضده وضد الشعراء الذين ينشدونه. مما دعا كثيراً من نقاد الشعر العامي إلى المناداة بإقفال أبواب النشر أمام هذا النوع من الشعر الذي لايصور شعراؤه صدق التجربة وألق المعاناة وإنما يصورون الإسفاف بمعناه الواسع. ومع التسليم برأي المعارضين للشعر العامي المعاصر المبني على النظرية النقدية والتقويم الموضوعي إلا أن الخلاف يعني غير ذلك من الأمور وهي كما يأتي:

أولاً : القضيَّةُ ليست قضية جودة أو رداءة الشعر العامي، إنما القضية هي قضية ضرر أولا ضرر من جراء الاهتمام بلغة الشعر العامي، وقد مرت الأقوال التي ترى أن الضرر متحقق لثقافة العرب وللغتهم ولموروثهم الحضاري إذا وُجهتْ الجهود للنشر في العامية ووضعت حولها الدراسات وقامت من أجلها الجمعيَّات والمراكز والندوات وحوِّرتْ إليها جهود الشباب حتى يستهلكوا طاقات الإبداع في مهابط العامية لغة وشعراً، وعندئذ لايكون للثقافة العربية الفصحىٰ متسع في وجدانهم.

ثانياً : لابد للباحث من أن يميز بين شيئين، الإبداع، والتنظير. فالإبداع عملية ذاتية تلقائية وليس من العدل أن يقف الناس ضد عملية الابداع والخلق الذهني الذي يولد عند الشاعر العامي أو الفصيح على حد سواء. فعمليه الإبداع يجب أن تستمر وأن تحترم وتقدر في الحاضر كما كانت في الماضي ولايجب أن يقف أحد ضدها. ولايستطيع أحد أن يقف ضد عملية الإبداع التلقائي والانتاج الذهني كما لايجوز وضع العراقيل أمامها.

والمبدع للشعر حين يصور ذوب نفسه و يعرض تجربته للناس باللغة التي يعرفها وتنطلق سهلة على لسانه في تلقائية واضحة ليس مقصوداً بهذا الإعتراض، ولايمكن أن يطالبه أحد بما لايستطيع الإتيان به، حتى وإن كان مثقفاً ومتعلماً فله الخيار والحرية ومن حقه أن يعبر عن نفسه باللغة التي يرتاح للإنشاد بها وإن كانت العامية.

أما إذا تصدى المثقفون والعلماء وأصحاب الشهادات العليا وأساتذة الجامعات وكبار رجال المجتمع من غير الشعراء وأخذوا بالتنظير والتمجيد لعملية الإبداع باللغة العامية، و بدأوا يحبِّذون فكر العامية وشعرها ويثنون عليه و يفضِّلونه على غيره ويهتمون بدراسته والتفقه فيه مع أنهم يجيدون غيره من أصناف العلوم العربية والمعارف الإنسانية فهنا يكون المحذور و يكون السؤال الموجه إليهم: لم هذا الإهتمام؟

وقد يحتاج الجواب إلى البحث عن بواعث إهتمام هؤلاء باللغة العامية واتخاذهم الشعر العامي ذريعةً إليها. إن الشعر العامي «النبطي» أو غيره من أنواع الشعر ليس فيه خطورة ولايجب أن يمنع ذووه عن إنشاده ولا أظن أن هناك من طالب بمنعهم أو اعتراض عليهم لافي الماضي ولافي الحاضر. وإن أحداً لن يستطيع أن يأتي بالدليل على أن هناك من نادى بمنع الشعراء العوام أو غير العوام من قول الشعر وإبداعه والتغني به وحفظه في الصدور وجعله حديث مجلس وسلوة سمر. لكن الاعتراض قائم على التنظير له بخاصة من أولئك الذين لايبدعون فيه ولايحسنونه و يفضلونه على كل ماسواه. ولايمكن أن يقبل عاقل دعواهم التي تزعم أن اهتمامهم به منبعث من محض الإعجاب به وبالقيم الاجتماعية التي توجد فيه، لأن هذه القيم وجدت في الشعر العربي الفصيح الذي يعرفه هؤلاء و يستطيعون تذوقه وتمثل قيمه الاجتماعية. وإرتدادهم للشعر العامي وبحثهم فيه عن القيم الموجودة في الفصيح وادِّعاؤهم الإعجاب به دعوى لاتخلو من لجج، وليس من السهل التسليم بها وقبول مضمونها.

فهرس الأعلام

(أ)

الإسم رقم الصفحة

إبراهيم دردير ٤٨
إبراهيم رفعت ١٧٢
إبراهيم بن صالح بن عيسى ١٧٦
إبراهيم بن ضويان ١٧٦
إبراهيم بن عبيد ١٧٧
إبراهيم بن محمد القاضي ١٧٦
إبراهيم البازجي ٤٣
٤٧، ٤٨، ٥٠
أحمد أمين ٥٩
أحمد البسام ١٧٦
أحمد أبو الخضر منسي ٥٠
أحمد الصالح ٢٣٣
أحمد فارس الشدياق ٣٥
أحمد عبد العفور عطار ٨٠
أحمد مختار ٤٨
أحمد بن محمد المنقور ١٧٦
١٧٨،
أحمد اللكوس الحفيكي ١٧٢
أحمد بن ناصر الدرعي ١٧١
أحمد والي ٣٤
أسعد داغر ٤٨، ٤٩
ألبرت سوسن ٥٣
أمين معربس ٣٤
أنولتمان ٥٤

(ب)

بارون نولد ٧٨
بديوي الوقداني ٧٤
بركات الشريف ٧٤، ١٩٧
ابن بشر ٧٨، ١٧٤، ١٧٥
١٧٦، ١٧٧
أبو بكر ..... ١٣٣، ١٣٤، ١٥٦
بلقريف ١٧٨
بوسيبه ٥٣

(ت)

تركي بن عبدالله بن سعود ٦٧
تميم بن أُبي بن أبي مقبل ٤١
التميمي عبدالله بن علي بن صقيه ٨٤
١٤٧، ١٦٨

(ج)

الجاحظ ٢٢٠
جبر بن سيار ١٧٣
جمال الدين الأفغاني ١٠٩
ابن جني ١٣٣

جهير عبدالله المساعد ١٤١
چورچ كمبغاير ٥٣
جيوسب فورلاني ٥٢

(حـ)

حاتم الطائي ٢٢٦،٢٥٥
أبو حاتم ٤١
حبيب أنطون السلموني ٣٥
الحجاج بن يوسف الثقفي ٤٩
الحريري ٤٣
حزام العتيبي ٨٧،٨٩
حسن ظاظا (الدكتور) ٢٠٠
حسن المصري ٣٢
حسن نصيف (الدكتور) ٧٢
حسين سرحان ٦٤، ٧٨، ١١٣
حسين بن سليمان ١٨٣
حسين الشريف ٢٢١
الحطيئة ٢٢٣
حسين بن عائض ١٨٢
حسين بن غنام ١٧٦، ١٧٨
حمد الجاسر ٦٢، ٦٥، ٦٧،
.....٦٩، ٧٠، ٧٨،
..... ٨٣، ٨٩، ٩١،
.....١٢٢، ١٢٤، ١٣٠،
..... ١٣١، ١٧٧
حمد الحقيل ١٨٣
حمد بن علي المدحوس المري ١٨١
حمد العليان ٢٤٠
حمد بن لعبون ١٧٦
حمزة سحاته ٥٨
أبوحمزة العامري ١٧٣
حميدان الشويعر ٦٦، ١٧٤، ١٨٢
الحميد حمد الحربي ٨٩، ٩٠، ١٠٧
حمود ناصر البدر ١٨١
أبو حنيفةالدنيوري ٢٣٩

(خ)

خالد الفرج ٦٢، ٦٥، ٦٦،
..... ٦٧، ٦٨، ٦٩،
..... ٧٠، ٧٢، ٨٢،
..... ١٦٦، ١٧٢، ١٨١،
..... ١٨٨، ٢١٧،
خليل إبراهيم الفزيع ٧٩
خير الدين الزركلي ١٨٣

(د)

دسبارمي ٥٢
دفرين «اللورد» ٥٤
أبو دواد الأيادي ٤١
دوتي ٧٧
دي ساسي ٣٢، ٥١، ٥٥

دي لانديرج ٥٢،٥٥

(ذ)

ذاكر حسين ٧٣

(ر)

راشد بن جريس ١٧٦
راشد الخلاوي ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٠، ١٩٧
راشد فهد الراشد ٩٠، ٩٢، ٢٣٢
الراعي النميري ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥
راكان بن حثلين ٦٦، ١٢٧
الربيعي ١٨٣
رشدان بن موزة ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥
رمضان عبد التواب «الدكتور» ٣٩، ٤١، ٤٢

(ز)

الزبيدي ٣٩، ٤٠
أبو بكر محمد بن حسن بن مذحج زهدي جارالله ٤٨
زايد بن سلطان بن نهيان ١٨٢

(س)

سايمون جارجي ٥٤
السجستاني ٣٩، ٤٠
سعد بن رويشد ٦٤
سعد الصويان، «الدكتور» ١٣٢، ١٦٥
سعد بن عبدالله بن جنيدل ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٩٠، ٩١، ١٨٣، ١٩١
سعود بن هذلول ١٧٧
سعيد الأفغاني ١٠٩
سعيد بن المسيب ١٥٦
سلامه موسى ٧٦، ٨٠
سلفستر ٣٢
سلدن والمور ٧٥
سلمان بن حمدان الخليفة ١٨٠
سلطان البازعي ١٢١
سليمان الصالح الدخيل ١٧٧، ١٨٣
سليمان بن شريم ١٨٣
سليمان النقيدان ١٠٣
سيِّد قطب ١٥٩

(ش)

الشرقي الإسحاقي ١٧١
شفيق الكمالي ٨٣، ١٨١
شكري عياد «الدكتور» ١٦١
شليويح العطاوي ١٨٠

(ص)

صادق محمد بخيت ١٨٠
صبحي البصام ٤٨

(ض)

ضاوي بن فهيد الرشيد ١٧٦، ١٨٣

(ط)

طاهر التونسي، «الدكتور» ٢٣٦
الطبري= محمد بن جرير ١٥٦

طه حسين «الدكتور» ٤٨، ٧٦، ٨٣
.....١٩٠، ١٩١
الطفيل الغنوي ٢٢٨
أبوالطيب اللغوي ١٣٣

(ع)

عاتق غيث البلادي ١٨١، ١٨٣
عبدالحميد «السلطان» ١٠٩
عبدالحميد يونس ١٩٥
عاشق الهذال ٨٥
عبدالرحمٰن الأبنودي ١٣٦
عبدالرحمن محمد العمري ٧٣
عبدالرحمن بن خلدون ٨٣، ١٢١، ١٢٢، ١٦٣
عبدالرحمن بن أبي القاسم النساوى ١٧١
عبدالرحمٰن بن سليمان بن رويشد ٢٣٨
عبدالرحمٰن العبيد ١٨٣
عبدالرحمن بن عقيل المحمد ١٨٣
عبدالقادر المغربي ٤٨
عبدالشافي غنيم ١٧٧، ١٧٨
عبدالعزيز الأحيدب ١٨٣
عبدالعزيز الخويطر ١١٩
عبدالعزيز مطر ٣٩، ٤١، ٤٢
عبدالعزيز المساعد ١٨٣
عبدالعزيز بن عبود بن فايز ٦٦
عبدالكريم الجهيمان ١٨٠، ١٨١
عبدالكريم الجويعد ١٨٣
عبدالله بن ثنيان ١٧٦
عبدالله بن جعيثن ٨٣، ١٨١
عبدالله بن خالد الحاتم ٦٢، ٨٣، ١٧٠، ١٧٨، ١٧٩
عبدالله بن الحسين ١٨٣
عبدالله الدويش ١٨١
عبدالله الربيعة ٦٦
عبدالله بن صالح بن عثيمين «الدكتور» ١٨٢
١٧٠، ١٧٢
عبدالله بن سبيل ٦٠، ٦٦، ١٢٧
عبدالله شباط ٢٣٦
عبدالله الشبل ٦٠
عبدالله بن سليمان ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٤
عبدالله الفرج ٦٢، ١٨١
عبدالله الفيصل ١٨٣
عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس ٨٨، ٢٣٥
عبدالله بن عبدالعزيز النعيم ٢٣٨
عبدالله بن عضيب ١٧٦
عبدالله العبادي «الدكتور»= أبوهاني العبادي ٢٤١
عبدالله بن على الزامل ١٨٢
عبدالله اللويحان ١٨٢
عبدالله الماجد ١٨٢
عبدالله بن محمد بن بسام ١٧٦
عبدالله بن محمد بن خميس ٧٠، ٧١، ٧٢، ٨٣، ٩٢، ١٠٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٤٤، ١٧٢،

١٧٣، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٦،
١٨٧، ١٩١
عبدالله بن محمد بن حميد ٢٣٣
عبدالله بن محمد بن رداس ١٨٠،
١٨١
عبدالمجيد بن على الزيادي ١٧٢
عبدالمحسن أبا بطين ١٨٢
عثمان بن سند، ١٧٦
عثمان العمير ٢٣٩
أبو عثمان المازني ٣٩، ٤٠
العجاج ٤٠
عدنان عطار ١٨٣
عزيز ضياء ٥٨
علي بن الحسين ٢٢١
على بن حمزة الكسائي ٣٩، ٤٠
عمر بن الخطاب ١٣٣، ١٣٥، ١٤٧
ابن عمر الصَّقلي ٤٣
ابن عويويد ٦٥
عياد الخمعلي ٢٢٨
أبو عبيدة ٣٩، ٤٠

(غ)

غاندي ٦٧

(ف)

فاتن عبدالله ١٣٩
فاسك ٥٢
الفخر الرازي ١٥٩
فشر..... ٥٣
فهد الرشيد ١٨١
فهد الربيعان ١٨٣
فهد الفريان ٨٧، ٨٩، ٩٠
فهد المارك ١٨٢، ١٨٣، ٢٢٧
ابن فوزان ٦٥
فؤاد حمزة ١٨٣
فيصل بن الحسين ١٣١

(ق)

قاسم بن محمدبن ثاني ١٨٢
قطن بن قطن ١٧٣

(ك)

كارل بروكلمان ١٩٠
كارل نيللو ٥٤
كرومر ٧٦
كريم عبدالكريم ١٧٢
كعب بن زهير بن أبي سلمىٰ ٤٠

(ل)

لطفي السيد ٧٦
العديل ٧٦
لويس عوض ٨٠، ٨١
مارتمن هرتمن «الدكتور» ٣٤
محمد أحمد الثميري ١٨١
محمد أحمد السديري ٨٣، ١٨٠
محمد أحمد العقيلي ٧٢، ٨٤
محمد الأمين المحبي ٤٤
محمد الحلبي ٤٤
محمد البادي ١٨١
محمد جابر الأنصاري «الدكتور»
٢٤١

محمد البسام ١٧٦، ١٨٣
محمد الحمدان ١٠٥، ١٨٢
محمد الحمد العمري ٧٣، ١٠٥، ١٨٣
محمد بن سعد بن حسين ٨٣
محمد بن سعد بن مشعان ٢٤٠
محمد سعيد كمال ٧٢، ٧٤، ١٨٠
محمد بن سلام الجمحي ٦٦
محمد سليمان الفوزان ١٨٢
محمد الطنطاوي ١٣٣
محمد بن الصغير الدرعي ١٧٢
محمد الطويل ١٨٣
محمد عبدالرحمن الشامخ «الدكتور» ٥٩، ٧٧
محمد بن عبدالرحمن بن عقيل
— أبو عبدالرحمن بن عقيل —
٨٤، ١١٢، ١٢٧، ١٤٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤
محمد بن عبدالسلام الناصري ١٧٢
محمد بن عبدالوهاب بن عثمان ١٧٢
محمد بن عبدالوهاب ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨
محمد بن عبدالله بن بليهد ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٧٢، ٧٣، ٧٨، ١١٣، ١٨٣
محمد عبدالله بن حميد ١٣٧، ١٧٦
محمد بن عثيمين ٦٤، ٧٨، ١١٣
محمد العبودي ١٨١
محمد بن عمر الفاخري ٦٠- ١٧٦، ١٧٨
محمد العناني ٤٨
محمد العوني ٨٣، ١٨١
محمد عيّاد الطنطاوي ٣٣
محمد عيد الضويحي ٤٨
محمد عيد ٤٨
محمد بن القاضي التونسي ٤٣
محمد كرد علي ٦٧
محمد بن لعبون ٦٦، ١٧٦
محمد بن لطفي الصباغ «الدكتور» ٦٧
محمد بن مانع ١٧٧
محمد محمود شاكر ١٥٦
محمد مشعي الدوسري ١٨١
محمد منصور الشقحاء ٢٣٥
محمد موسى السليم ١٤٤
محمد الهاجري ١٨٢
جارالله محمود بن عمر الزمخشري ٤٩، ١٥٦
محمد بن يحي ٨٣، ١٨١
محيسن ١٨٢
مخائيل ٣٣، ٥١
مخيمليا نوسنطون ٥٢
مرزوق بن راشد بن تنباك ٢٢١
المرزوقي = أحمد بن محمد بن الحسن ٤٩
مرشد البذالي ١٨٣
مزاحم ٣٩
مسعودبن سند بن صيحان ١٨٢
مصطفي جواد ٤٨

مطلق بن صالح بن مطلق ١٧٧
مطلق مخلد الذيابي ٨٥
مقبل العيسى ٥٨، ٥٩، ٢٣٣
مقبل الذكير ١٧٧، ١٨٣
مقبول السراني ٢٢١
منديل بن محمد بن فهيد ١٨٠، ٢٢٨
مكس لوهر ٥٣
منير العجلاني ٦٧

(ن)

النابغة الجعدي ٤٢
النابغة الذبياني ٤٢
نايف زابن الحربي ١٨١
ناصر المحمد الحميد ١٨١
نفروتسكي ١٣٣
أبو نفلا ١٨٢

(هـ)

هوبر..... ٧٧
أبو هاني العبادي = عبدالله العبادي
«الدكتور» ٢٤١
هس ٥٢
هورغرونجي ٥١
هنس ٥٣
هوداس ٥٢
هويش بن عبدالله ١٨١

(و)

والفرد ٧٧
ولن ٧٨
وهبة = توفيق علي وهبة ٨٥
١٢٠، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ٢٠٧

(ي)

ياقوت الحموي ١٣٣
يحيي المعلمي ٨٨
يوسف حمد البسام ١٨٣
ابن يوسف ١٧٦

المراجع

(١) **الأصفهاني** : أبو الفرج علي بن الحسين:
الأغاني،
دار الثقافة ، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ ــ ١٩٧٨م.

(٢) **الأفغاني** : سعيد،
حاضر اللغة العربية في الشام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨١هـ ــ ١٩٦٢م.

(٣) **ابن بشر** : عثمان بن عبدالله،
عنوان المجد في تأريخ نجد، تحقيق عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز بالرياض «٢٧»، ط ١ تأريخ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٤) **بروكلمان** : فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبدالتواب، مطبوعات جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) ــ تأريخ ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م.

(٥) **البصام** ، صبحي،
الإستدراك على كتاب قل ولا تقل، دار المعارف بغداد، الطبعة الأولى ــ تأريخ ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م.

(٦) **ابن بلهيد** : محمد بن عبدالله
صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٧)..... ابتسامات الأيام ديوان شعر فصيح نشر بعناية الدكتور محمد بن سعد بن حسين ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٨)..... بقايا الإبتسامات ..ديوان شعر عامي، نشر بعناية الدكتور محمد بن سعد بن حسين ط١، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.

(٩) جارالله : زهدي،
الكتابة الصحيحة، الأهلية للنشر تأريخ ١٩٧٧م.

(١٠) الجاسر، حمد،
مؤرخون نجد من أهلها، ثلاث مقالات ربيع الأول والثاني وجماد الأولى، مجلة العرب، م١ السنة الخامسة عام ١٣٩١هـ.

(١١) الجعدي، النابغة،
شعر النابغة الجعدي، تأليف عبدالعزيز رباح منشورات المكتب الإسلامي الطبعة الأولى، بدون تأريخ.

(١٢) الجمحي : محمد بن سلام:
طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، بدون تأريخ.

(١٣) الحاتم، عبدالله بن خالد:
خيار ما يلتقط من شعر النبط، دمشق المطبعة العمومية تأريخ ١٣٧٢هـ ــ ١٩٥٢م.

(١٤) ابن حسين، محمد بن سعد :
الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وآثاره الأدبية، مطابع اليمامة، ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م.

(١٥) ابن خلدون، عبدالرحمٰن:
مقدمة بن خلدون، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت بدون تأريخ.

(١٦) ابن خميس، عبدالله بن محمد:
الأدب الشعبي في جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.

(١٧) ..... راشد الخلاوي، حياته، شعره، حكمه، فلسفته، نوادره حسابه الفلكي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

(١٨) الذبياني، الشماخ بن ضرار:
ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق صلاح الدين الهادي دار المعارف ــ بدون تأريخ.

(١٩) الذبياني : النابغة الذبياني:
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور نشر الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٦م.

(٢٠) الرازي، الفخر الرازي:
التفسير الكبير، تحقيق عبدالرحمٰن محمد، المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧هـ.

(٢١) ابن ردَّاس، عبدالله بن محمد:
شاعرات من البادية، دار اليمامة للنشر، بدون تأريخ.

(٢٢) الراعي، الراعي النميري، عبيد
ديوان الراعي النميري، جمع وتحقيق، راينهرت فايبرت (بيروت ١٤٠١هـ ــ ١٩٨٠م) دار النشر فرانتس.

(٢٣) الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن بن مذحج،
لحن العوام، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٩٦٤م.

(٢٤) الزبيدي، أبوبكر محمد بن حسن بن مذحج:
لحن العامة، تحقيق الدكتور عبدالعزيز مطر، مكتبة الأمل ــ الكويت ــ ١٩٦٨م.

(٢٥) الزمخشري: جار الله محمود بن عمر،
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت ــ بدون تأريخ.

(٢٦) الشامخ، الدكتور محمد بن عبدالرحمن:
الصحافة في الحجاز، دار الأمانة بيروت ــ ١٣٩١هـ ــ ١٩٧١م.
(٢٧)..... نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، دار العلوم ــ الرياض ــ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨١م.
(٢٨) سعيد، نفوسه زكريا:
تأريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، الطبعة الثالثة ــ١٤٠٠هـ ــ١٩٨١م ، دار المعارف.
(٢٩) شحاته، حمزه
الرجولة عماد الخلق الفاضل، نشر تهامة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.
(٣٠) ابن صقيه، عبدالله بن علي،
ديوان التميمي، طبعة عام ١٣٩١هـ.
(٣١) ضياء، عزيز:
حمزة شحاته، «قمة عرفت ولم تكتشف»، نشر المكتبة الصغيرة، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧م.
(٣٢) الطبري، محمد بن جرير:
جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر دار المعارف ــ بدون تأريخ.
(٣٣) الطنطاوي، محمد:
نشأة النحو، وتأريخ أشهر النحاة، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م.
(٣٤) أبو الطيب، اللغوي:
مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م.

(٣٥) ظاظا، حسن
الشخصية الاسرائيلية، دار القلم، الطبعةالأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣٦) عبيد، محمد
المظاهر الطارئة على الفصحى، نشر عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٠م.

(٣٧) عبدالتواب، رمضان:
فصول في فقه اللغة العربية، دار الحمامي، القاهرة ١٩٧٣م.

(٣٨) عطار، أحمد عبد الغفور:
الزحف على لغة القرآن، دار العلم للملايين، بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٦م.

(٣٩) ابن عقيل، أبو عبدالرحمٰن:
تأريخ نجد في عصور العامية، أو الشعر العامي بلهجة أهل نجد، الطبعة الأولى ١٠٤٢هـ ــ ١٩٨٢م ــ دار العلوم بالرياض.

(٤٠) ..... اللغة بين القاعدة والمثال، مطبوعات نادي القصيم الأدبي، بريده، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

(٤١) العقيل ، عبدالرحمن، وسليمان الهطلاني:
شعراء عنيزة النبطيون، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ المطابع الوطنية.

(٤٢) العقيلى، محمد بن أحمد:
معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان، منشورات تهامة سلسلةالكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

(٤٣)..... الأدب الشعبي في الجنوب.

(٤٤) عمر، أحمد مختار:
العربية الصحيحة، عالم الكتب القاهرة.

(٤٥) الفاخري، محمد بن عمر،
الأخبار النجدية، تحقيق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، منشورات جامعة الإمام، بدون تأريخ.

(٤٦) الفرج، خالد بن محمد :
علاج الأمية في الحروف العربية، الترقي بدمشق ١٣٧٢هـ ــ ١٩٥٢م.

(٤٧) الفرج، خالد بن محمد:
ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي، مطبعة الترقي في دمشق ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢م.

(٤٨) الفرج، عبدالله:
ديوان عبدالله الفرج، منشورات ذات السلاسل، الكويت الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ.

(٤٩) الفرزدق، همّام بن غالب:
ديوان الفرزدق، دار صادر بيروت ١٣٨٦هـ ــ ١٩٦٦م.

(٥٠) ابن فهيد، منديل بن محمد:
من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية، دار اليمامة للنشر ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م.

(٥١) قطب، سيّد:
في ظلال القرآن، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية بدون تأريخ.

(٥٢) كريّم، عبدالكريم،
بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية، بحث مقدم

للندوة العالمية الأولى لتأريخ الجزيرة، مصادر تأريخ الجزيره منشورات جامعة الرياض.١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٥٣) الكسائي، أبو الحسن على بن حمزه،
تحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب، الطبعة الأولى، دار الرفاعي ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٢م.

(٥٤) كعب، ديوان كعب بن زهير:
تحقيق، عبدالعزيز الميمني.

(٥٥) كمال، محمد سعيد:
الأزهار النادية من أشعار البادية (مختارات) الطبعة الثانية ١٩٦٠ مكتبة دار المعارف، الطائف.

(٥٦) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن:
شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين، وعبدالسلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٣٨٧هـ ــ ١٩٦٧م.

(٥٧) مصادر تأريخ الجزيرة العربية.
مجموعة البحوث المقدمة إلى الندوة الأولى لدراسات تأريخ الجزيرة المنعقدة في الرياض، منشورات جامعة الرياض (الملك سعود حالياً) تأريخ ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م. ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى.

(٥٨) ابن مقبل، تميم ابن أبيّ،
تحقيق الدكتور عزة حسن،
مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ــ دمشق ١٣٨١هـ ١٩٦٢.

(٥٩) منسي، أحمد أبو الخضر،
حول الغلط والفصيح على ألسنة الكتاب، دار العروبة ــ القاهرة ١٩٦٣م.

(٦٠) ابن هشام، عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد:
أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٨٦هـ — ١٩٦٧م.

(٦١) وهبة، توفيق علي:
الشعر الشعبي، شعر أم زجل، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.

(٦٢) اليازجي، إبراهيم:
لغة الجرائد، مطبعة التقدم بدون تأريخ.

المجلات والصحف والدوريات

جريدة البلاد :

صحيفة يومية تصدر في جدة.

جريدة الجزيرة : صحيفة يومية تصدر في الرياض.

جريدة الرياض: صحيفة يومية تصدر في مدينة الرياض

الرياض الأسبوعي :

صحيفة أسبوعية صدرت عن مؤسسة جريدة الرياض تهتم بالفكر والأدب، وقد توقفت عن الصدور.

جريدة عرب نيوز :

صحيفة يومية تصدر في جدة وتكتب باللغة الأنجليزية.

جريدة المسائية:

صحيفة يومية مسائية تصدر في الرياض.

جريدة الندوة:

صحيفة يومية تصدر في مكة المكرمة

اقرأ: مجلة تصدر في جدة.

الدوحة : مجلة تصدر في دولة قطر.

مجلة المجلة: مجلة سعودية تصدر في لندن.

الوطن : تصدر في دولة الكويت.

اليمامة : مجلة اليمامة تصدر في الرياض.

مجلة العرب : مجلة علمية متخصصة تصدر في الرياض.

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: مجلة علمية متخصصة تصدر في دمشق.

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

مجلة علمية متخصصة تصدر بالقاهرة.

مجلة المأثورات الشعبية:

مجلة علمية متخصصة تصدر عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية في مدينة الدوحة، دولة قطر.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المدخل	٩
دعاة العامية في البلاد العربية ومحبو العامية في الجزيرة العربية	٢١
موقف العلماء من الدعوة إلى العامية	٢٥

الفصل الأول

مدارس الإستشراق	٢٩
أولى المدارس	٣١
التأليف والنشر باللهجات العامية	٣٦
التأليف في عصر النهضة	٤٤
مؤلفات المستشرقين بالعامية	٥١

الفصل الثاني

بداية الاهتمام المنظم بالعامية في الجزيرة العربية	٥٧
الشعر العامي «النبطى»	٦٠
ابن سليمان والعامية	٦٥

الفصل الثالث

دور الصحافة ٧٥

البداية ٧٦

الفصل الرابــع

النشر والتاليف بالعامية في الجزيرة العربية ٨٥

الصفحات العامية ٨٥

الشعر العامي الحاضر في رأي العارفين به ٨٩

أسباب الاتجاه إلى العامية ٩٣

لماذا الاهتمام بالعامية ٩٦

الفصل الخامس

تأصيل العامية وإثراؤها ١٠١

تأصيل العامية ١٠١

العوامل المساعدة على النشر بالعامية ١٠٦

الفصل الســادس

العامية والفكر العامي ١٠٩

أ ــ العامية ١٠٩

ب ــ الفكر العامي ١١٤

قراءة في آراء محبي العامية ١١٧
أ ــ الفئة الأولى ومنطلقاتها الفكرية ١١٧
ب ــ الفئة الثانية ١٢٨
ركائز الفكر العامي ١٤٢
الركيزة الأولى ١٤٦
« الثانية ١٤٨
« الثالثة ١٥٠
« الرابعــة ١٥٤
« الخامسة ١٦٤
« السادسة ١٦٦
« السابعة ١٦٨
« الثامنة ١٨٥

الفصل السابع

تقعيد العامية وتقنينها ١٩٣
مركز التراث الشعبى ٢٠١
الأبجدية العامية مع الأبجدية العربية ٢٠٧

الفصل الثامن

الشعر الفصيح والشعر العامي ٢١٧

المعاني والقيم الاجتماعية ٢٢٠

أ ــ الضيافة ٢٢٠

ب ــ المروءة ٢٢٦

جـ ــ الجــوار ٢٢٧

اللغة والفكر ٢٢٩

الفصل التاســع

العامية والإعلام ٢٣١

الفصل العاشــر

المفكرون والعامية ٢٣٧

مصير الشعر العامي ٢٤٢

فهرس الأعلام ٢٤٧

فهرس المصادر والمراجع ٢٤٥

فهرس الموضوعات ٢٦٥

★ ٢٥٪ من ريع هذا الكتاب لصالح معاهد تعليم اللغة العربية.

★ ٢٥٪ لدور الأيتام.